

مع الأمام البخاري  
في كتاب  
العلم من طيحه

المؤلف

الشيخ معوض عوض ابراهيم

أصدره هذا المكتب لربنا  
العزيز من كتابه  
مع أطيب التحيات

الدار السلفية

الكويت



## بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد رب العالمين بيده الخير وله الامر واليه المصير، والصلاة والسلام على خيرة الله من خلقه سيدنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، وجزى الله عنا نبينا بقدر ما أدى الى البشرية بأسرها من هدى ورحمة، وكان هوبها صلوات الله عليه، واقعا يمشى فى الناس، وما يزال، متمثلا فى سنته وسيرته، أسوة حسنة كما أراد الله. ورضى الله عن آل نبينا وصحبه، ومن تبعوهم على نهجه ودر به، يحفظون الدين صادقين، و يدبون عنه باطل المبطلين.

وبعد فهذه محاولة «مع الامام البخارى» اود ان يزداد بها الذين امنوا إيماننا بحفظ الله لسنة مصطفاه، وهو يقبض لذلك مثل أبى عبد الله محمد بن اسماعيل البخارى، ليكون بأخذه وعطائه برهانا يتجدد ولا ينفد على الجهد الذى بذل لتتقى السنة وصيانتها من كل دخيل عليها، لتبقى كفلق الصبح صفاء ونورا وعطاء.

واود ان تكون هذه المحاولة أسلوبا جليا يهتف بالاسوياء الاوفياء لله ولرسوله، أن يأخذوا من الامام البخارى بعض ما رَصَدَ من دأب، وأنفق من مشابرة وتوفر منذ صباه الباكر على السنة المطهرة، حتى نجد الحراس بمكانهم على حدود الحديث النبوى، يردون عنه باطلا وتحاملا بتعالى ضجيجهما، ولكنها سيأخذان بأعناق فا عليهما، ويبقى دين الله — كتابا وسنة — على أصالته وشموخه، قة تطيش دونها سهام الظالمين وسيجد الاخوة القارئون بين يدى الامام البخارى مدخلال يجلودوا فاع تلك المحاولة وعجالة عن تدوين السنة نفل بها على الامام البخارى، تعريفا به، وابرازا للهبات الالهية التى اختصه الله بها، ومنها حبه للحديث النبوى، ومسيرته البرة بتوفيق الله فى هذا السبيل، حتى كان امير المؤمنين فى الحديث بمجدارة وأهلية..

واذا كان كثيرون قد تناولوا هذه الجوانب من الامام البخارى رضى الله عنه، فعسى ان يكون فيما اعرض له من «كتاب العلم» فى صحيح البخارى، مزيد تذكير بأن الله مع الذين أخلصوا العزم، وصدقوا الله النية فى اشرف ميدان، فكانوا أهلا لرضى الله وحده عباده الذين يترسمون خطاهم فى رعاية السنة النبوية بكل ما اوتوا من قوة...!! والله المستعان على كل خير، فلا بلاغ إلى خير إلا بالله، وهو يتولى الصالحين.



# الباب الاول



## « الفصل الاول »

### ١ - رصدوا اعمارهم للسنة

تعود بى الذاكرة إلى العام الدراسى ١٣٥٨ - ١٣٥٩ هـ وانا استعد للتخرج من كلية اصول الدين فى الازهر منذ اكثر من اربعين عاما ..  
لقد كنا ندرس صحيح الامام مسلم بشرح النووى .. رحمها الله .. وكنا نحب ان نضيف الى الكتب المقررة وان كانت كشرح النووى لمسلم ما فى الامهات التى تناولها ايدينا، وتكون فى متناولنا، ولقد اتيح لى فى ذلك العام ان اجمع من شوارد العلم فيما يتصل بهذ، الاحاديث ما صَنَّف كشكولا كبيرا، ولئن صنع هذا التاريخ الطويل بهذى الاوراق ما صنع، فاننى مازلت اذكر اننى كتبت فى مقدمتها من خفقات قلبى ..

فانى احب المصطفى، وحديثه  
شفائى من ادواء عالمنا الرجس  
ولو كنت فى أيامه لفديته  
بنفسى، كمن فدوه فى الامس بالنفس  
اليك رسوله الله أسمى تحية  
تردها الدنيا، لمنزلك القدسي

وكم من مرة حاولت فيها أن اجمع شتات هذه الاوراق، لاقدمها للناس شعاعا على طريق السنة النبوية، وكانت تردنى مهابتى لرسول الله عما حَافَر، وخطر فى النفس .. وصحيح أن عملى فى مجال الدعوة كان يربطنى برسول الله صلوات

الله عليه، وأننى دعيت لتدريس أبواب مختاره من فتح البارى على صحيح البخارى، لطلبة السنة الاولى فى قسم التفسير فى الدراسات العليا بكلية أصول الدين عام ١٣٩٢ — ١٣٩٣ هـ فى الأزهر، وأعان الله على تقديم دراسة للطلاب — مُعَدَّة للنشر .. لكن هيتى لمقام رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت تنمو مع الأيام، حتى تداركنى الله بمشاعر من حب رسول الله كانت مع هيتى له صلوات الله عليه إحساسا جديدا دافعا الى ضرورة التصدى للكرات الشرسة التى تواجه السنة النبوية وأعان على ذلك أننى أعيش مع السنة النبوية والأطوار التى مرت بها منذ انطلق بها لسان المصطفى صلوات الله عليه وألسنة الكرام البررة الذين رَوَوْا عنه، ونقلوا كلامه وصفاته وتقريراته بتوابعها والذين جردوا هذا التراث الكريم، وردوا عنه ما ليس منه، وكان حبى لهؤلاء الرواد الأوائل الذين عنوا بالمصدر الثانى للتشريع فى دين الله الخاتم، أمراً توجيه دواع كثيرة فى طبيعتها، جدُّ هؤلاء فى التحصيل، وأنهم رصدوا حياتهم، وجندوا نشاطهم فى تقديم الحديث النبوي للأجيال فوق كل مقال، وأنهم رضى الله عنهم بأثارهم العلمية المتوارثة، وسلوكهم الذى التزموا به الاسلام التزاما كاملا بقوا علامات مضيئة يستهدى بها الذين استحضروا شرف الكلمة وأمانة القلم، ليتضاعف جدهم فى دعوة المسلمين إلى مزيد من استرعاء كتاب الله، والاستهداء بسنة رسول الله بكل حال.

فبذلك — مرة أخرى — يمكن أن نحيا أيقاظاً حول كتاب الله وسنة مصطفاه، ولن يهلك من منحها عنايته وأولاهما رعايته، واتخذها منهجه فى كل ما يأخذ وما يدز .. ولقد صدرت منذ قريب بحثا لمجلة مشكاة النبوة — حولية كلية الحديث الشريف فى الجامعة الاسلامية فى المدينة المنورة — لعددتها الأول .. وقلت فيه .. تجيء «مشكاة النبوة» فى إبانها، والحاجة اليها ماسة لترد باقلام الحق إلى صدور المبطلين سهاماً صوبوها إلى السنة المطهرة.

وتسكت بالحجة المسفرة ألسنة تقول — بغيا وعدواً — فى المصدر الثانى للتشريع فى الدين الخاتم ..

وتتقدم من طارف الاضافات ما يقوم شهادته بتجدد، وتؤكد جهدا واثلا رضا الله عليهم في خدمة السنة النبوية، وارساء قواعد بقائها ونقاها، واعلاها على الشبهات والشهوات، وإن كان حفظ الله لكتابه العزيز مصداق قوله تعالى .. «انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون» (١) ايذانا بحفظ السنة، والله في ذلك الفضل والسنة والكلمات صدى لأسف مرير من صنيع أقوام يلقون سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير ما هي أهله من اكبار وتوقير، وهي أهل ذلك كله، ومثله معه، بمصدرها الأقدس، وبما أدته وتؤديه إلى أن يرث الله الارض ومن عليها من حوافظ عقيدة المسلم، وعبادته، ومنهاج حياته، وما وراء ذلك من جليل العطاء على النحو الذي تخاطب به العقول والقلوب والمشاعر الكريمة جميعاً، بالعبارة النبوية، والأسلوب الفذ الذي يكاد يخلص له وصف الاعجاز بين كلام الناس بعد كلام الله تعالى، والذي يعكس كمال النبي النفسى وما طبعه الله عليه من أدب نوه به رب العالمين في مواضع من كتابه ومنها «وانك لعلى خلق عظيم» (٢)

«لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم» (٣)

«فما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الامر فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين» (٤)

إن السنة النبوية تعكس هذه السنن الالهية فى رسول الله على نحو قد نعرض له عما قليل لمن يريدون على ذلك الدليل، وطوبى لمن رأى نور الحق وسار فيه إلى منتهاه.

(١) الحجرات/ ٩

(٢) القلم/ ٤

(٣) التوبة/ ١٢٨

(٤) آل عمران/ ١٥٩

## ٢ — ضلال يتجدد بأقوام ليتهم يسألون انفسهم ماذا حفظوا من السنة، وماذا عرفوا عنها؟؟

واذا كان التحرش بالاسلام، قد أخذ صوراً شتى فى عهود تضرب فى اعماق التاريخ فإنه اليوم — أكثر من أى عهد مضى — قد جاوز المدى، واستهدف السنة النبوية أكثر من غيرها من ركائز الدين العظيم، ومقوماته الجلية..

وتظاهرت على ذلك قوى شريرة، بعضها .. وأسفاً — من أقوام ينتسبون إلى الاسلام، ويُخسبون عليه، وما هم فى الحق منه ولا قلامة ظفر، وإن انعقدت لهم الزعامة فى بعض ديارنا، فهم أتباع كل ناعق!!

«يبيغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين» (٥)

إنهم يستعلنون تارة، ويستخفون تارات، ويصارع بعضهم، ويخافت آخرون بكيدهم للاسلام، وضيقتهم بالسنة رواية ودراية فى محاولة يعتبرونها إن هزت فى الأنفس إجلالها والتزامها لحديث رسول الله .. أقوالاً وافعالاً وصفات وتقريرات .. وهى حقيقة السنة — كان الانقضاى بعد ذلك، أهون على القرآن وأمكن فى التعفية على الاسلام..

«ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين» (٦)

هؤلاء وأولئك الذين عرفناهم فى مؤتمرات يتداعون إليها باسم السنة، ومن خلال دراسات لم يكتبوها بجداد، ولكن بمواد زريته من سواد قلوبهم وسخائم أنفسهم، وفى جامعات أقيمت للعلم، وهى تغلف فى بعض جوانبها أدوات التخريب، ومعاول الهدم، .. هؤلاء وأولئك، يجمع بينهم المرض وسوء الغرض، والتماس جوائب من السنة، يحسبونها (تلين) تليق لمغامزهم، لينطلقوا منها إلى ما توهموا .. وهيئات .. فبعضهم يقول اليوم مقالة: موروثة من أمثالهم، وهى :

(٥) التوبة/ ٤٧

(٦) الأنفال/ ٣٠

«حسبنا كتاب الله» !! وهم أفرأخ الذين عناهم رسول الله صلوات الله عليه بقوله:

«ألا إننى أوتيت الكتاب ومثله معه، ألا يوشك رجل شبعان على أن يكتنه يقول: عليكم بهذا القرآن، فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه» (٧)

«وإنَّ ما حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما حرم الله» (٨) ... وما صدق القوم فى قولهم: «حسبنا كتاب الله» قيد شعرة، وإنها لمقالة تشف عن كيد فيهم، وخقد، وسوء قصد. فكتاب الله ينادى من يسمعون وينصفون. ... «وما اتاكم الرسول فخذوه، وما نهاكم عنه فانتهوا، واتقوا الله إن الله شديد العقاب» (٩)

### ٣ - السنة والقرآن متحدان المنيع ..

وهل أتى الرسول صلى الله عليه وسلم، الناس بشيء من عند نفسه؟ والله تعالى يقول «وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى» (١٠) ويقول «ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين، ثم لقطعنا منه الوتين، فما منكم من أحد عنه حاجز بن» (١١)

ولو أن أيسر شيء من ذلك كان، لتناقله عداه، ولما خفى على الرواة، وقد تركوا للأجيال من أقواله وأفعاله ما يجلى وَيَدَّق، وما يخفى من شئونه الخاصة، صلوات الله عليه، وما ذكر الذين افتروا عليه الأكاذيب، وقالوا فيه بغير الحق!! إن القرآن والسنة متحدان المنيع والمصدر، أخرج الدارمى قول حسان بن عطية

- 
- (٧) أخرجه أبو داود برواية المقدم بن معد يكرب جـ ٢ ص ٥٥٠  
(٨) هذه زيادة على ما ذكر أوردها ابن ماجة ص ٩ ح ١ والدارمى في سننه ج ١ ص ١١٧ ويجمع ذلك كله الترمذى عن المقدم حديث ٢٦٦٤ ط الاسلامية.  
(٩) الحشر/ ٧  
(١٠) النجم/ ٣ - ٤  
(١١) الحاقة/ ٢٤ - ٢٧

«كان جبريل عليه السلام ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم بالسنة كما ينزل عليه بالقرآن» (١٢)

وعن مكحول قال «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: آتاني الله القرآن ومن الحكمة مثلية» (١٣) وقد ذهب كثيرون إلى أن الحكمة والحكم، هما الفقه والعلم والقضاء بالعدل، وهل أجل مقاصد النبوة إلا هذه؟ كما يفهم من قرأ ص ٧٨ — الرسالة للإمام الشافعي واليغوي ح ١ ص ٢٠٢ «شرح السنة» والله تعالى يجلو لنا مقصداً من مقاصد: انزال كتابه على مصطفاه فيقول «وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون» (١٤)

والامام الشافعي يقول «كل ما حكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو مما فهمه من القرآن» قال لقوله صلى الله عليه وسلم .. «انى لا أحلُّ إلا ما احل الله فى كتابه، ولا أحرم إلا ما حرم الله فى كتابه» ويقول «جميع ما تقوله الاثمة شرح للسنة، وجميع السنة شرح للقرآن» (١٥) فلا عجب أن يوجب الله .. جلّت حكمته .. طاعة رسوله، واتباع سبيله، فى آيات ذوات عدد من كتابه مثل قوله تعالى..

« من يطع الرسول فقد أطاع الله» (١٦) ولا أدري، ولا أحد من المنصفين يدري، كيف كنا نوحّد الله، ونعبده ولا كيف نستجيب لمثل قوله «فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة» (١٧) وقوله « وأتموا الحج والعمرة لله» (١٨) وما وراء ذلك من احكام وتكاليف، لو لم نأخذ المنهج فيها من عمل النبي صلوات الله عليه، وقد علمه مولاة ما لم يكن يعلم؟! ومن عمل صحابته الذين خرجتهم مدرسته؟! وقد قال صلي الله

(١٢) سنن الدارمي ج ١ ص ١١٧

(١٣) أخرجه — وما قبله — أبو داود في مراسيله

(١٤) النحل/ ٤٤

(١٥) قواعد التحديث للقاسمي، والحديث أخرجه الطبراني في الأوسط عن عائشة..

(١٦) النساء/ ٨٠

(١٧) الحج/ ٧٨

(١٨) البقرة/ ١٩٦



عليه وسلم «صلوا كما رأيتموني أصلي» (١٩) وقال «خذوا عني مناسككم» (٢٠)

#### ٤ - الاعتصام بالسنة ..

عن أبي نجيح العر바 بن سارية السلمى رضى الله عنه قال: وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة وجلت منها القلوب، وزرقت منها العيون، قلنا يا رسول الله كأنها موعظة مودع، فأوصنا. قال: «أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد، وإنه من يمشى منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة» (٢١)

وقد أورد هذا الحديث بسنده العلامة القاسمي في كتابه «قواعد التحديث» وعرض طرقات أخرى تزيد على الفاظه هنا بما يضاعف حق السنة النبوية في الأهتمام والالتزام، وأورد قول المنذرى في قوله صلى الله عليه وسلم «عضوا عليها بالنواجذ» فقال «أي اجتهدوا على السنة» والزموها، واحرصوا عليها، كما يلزم العاض على الشيء بنواجذه خوفاً من ذهابه وتقلته .. قال: «والنواجذ الأنياب أو الأضراس» (٢٢)

ويقول ابن الأثير الجزري «هذا مثل في شدة الاستمسك بأمر الدين، لأن العض بالنواجذ عض بجميع الفم والأسنان، وهى أواخر الأسنان، وقيل التى بعد الأنياب» (٢٣)

ومهما اختلف القول فى القواطع والأنياب — والأضراس فإن الأمر النبوى جلى فى إيجاب الاستمسك بالسنة، والاعتصام بها فهى شارحة للقرآن،

(١٩) متفق عليه من رواية مالك بن الحويرث

(٢٠) الشيخان من حديث أبي موسى الأشعري

(٢١) الترمذي في كتاب العلم وأخرجه أحمد وأبو داود وغيرهم

(٢٢) قواعد التحديث/ ١٣ - ١٤ ط مکتب النشر العربى

(٢٣) النهاية ج ٣ ص ٢٥٢ دار إحياء التراث - بيروت

مفصلة لما اجل منه مقيدة لما أطلق، مخصصة لما عمم، وبقدر حاجتنا للقرآن باعتباره المصدر الأول للتشريع، تكون حاجتنا للقرآن والسنة معاً في الالتزام بأحكام الدين، وتبقى الحاجة للسنة .. وهي بيان الرسول صلى الله عليه وسلم قولاً وعملاً وتقريراً لأمر في كتاب الله، أو أمور زائدة عليه وهي مع هذه الأمور الزائدة يلحظ فيها قول الذين قالوا ان السنة قاضية على الكتاب، وأنها قد تستقل أحياناً بالتشريع، وماذا في هذا؟! والرسول مبلغ عن ربه تبارك وتعالى، وهو الصادق المصدق بأمره قوله عز وجل « وما ينطق عن الهوى، ان هو إلا وحى يوحى » «النجم» « وقوله تعالى «ولو تقول علينا بعض الأقاويل لآخذنا منه باليمين .. الايات من سورة الحاقة وفي ايجاب الله على المؤمنين طاعة رسوله، واتباعه دليل من أدلة على اشتمال القرآن الكريم على السنة المطهرة (٢٤)

وأراني امام فصل ضرورى من كتاب «السنة ومكانتها في التشريع الاسلامى» تحت عنوان «هل تستقل السنة بالتشريع» قد المحت إلى مقدمته فى بيان مكانة السنة من الكتاب، واعرض بتصريف إلى شىء منه، فهو دال قاطع لكل جدال فى هذا السياق»

قال رحمه الله «لا نزاع بين العلماء فى ان نصوص السنة على ثلاثة اقسام»  
أولاً: ما كان مؤيداً لأحكام القرآن، موافقاً له من حيث الاجمال، والتفصيل، وذلك مثل الأحاديث التى تفيد وجوب الصلاة والزكاة .. من غير تعرض لشرائطها واركانها فإنها موافقة للايات التى وردت فى ذلك كحديث «بنى الاسلام على خمس ...» (متفق عليه) فانه موافق لقوله تعالى «واقموا الصلاة وآتوا الزكاة» (٢٥)

---

(٢٤) شرح السنة للبغوي ج ١ والسنة ومكانتها فى التشريع الاسلامى للشيخ السباعي ويقول الامام ابن تيمية «فالحكمة منزلة عليه، وهي منقولة في غير القرآن» ص ١٢٨ ج ٤ «الجواب الصحيح لمن بطل دين المسيح»

ولقوله «يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم...» (٢٦) ولقوله «ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً...» (٢٧) ومثل قوله صلى الله عليه وسلم «لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيب من نفسه» (٢٨) فإنه موافق لقوله تعالى «يأيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم» (٢٩)

ثانياً : ما كان مبيناً لأحكام القرآن من تقييد مطلق، أو تفصيل مجمل، أو تخصيص عام كالأحاديث التي فصلت أحكام الصلاة والصيام والزكاة والحج والبيع والمعاملات التي وردت مجملة في القرآن، وذلك أغلب ما في السنة.

ثالثاً : ما دل على حكم سكت عنه القرآن، فلم يوجبه ولم ينهه، كالأحاديث التي أثبتت حرمة الجمع بين المرأة وعمتها أو...، وأحكام الشفعة، ورجم الزاني المحصن، وتغريب الزاني البكر، وإرث الجدة، وغير ذلك قال «ولا نزاع بين العلماء في القسمين الأولين أى في ورودهما، وثبوت أحكامهما، وكونها الغالب على أحاديث السنة»

واختلفوا في القسم الذي أثبت أحكاماً لم يثبتها القرآن ولم ينهها بأى طريق كان ذلك؟! اعن طريق الاستقلال بأثبات أحكام جديدة؟! أم عن طريق دخولها تحت نصوص القرآن ولو بتأويل؟! وذكر أن الجمهور ذهبوا إلى الأول، وذهب الشاطبي في الموافقات إلى الثاني واستأنس بكلام للامام الشافعي في الرسالة ص ٩١ ننقله عنه بنصه:

قال «فلم اعلم من اهل العلم مخالفاً في ان شَتَّ النبي صلى الله عليه وسلم من ثلاثة وجوه، فاجتمعوا منها على وجهين، والوجهان يجتمعان ويتفرعان.. أحدهما : ما أنزل فيه نص كتاب، فبيّن رسول الله مثل ما نص الكتاب

- 
- |      |                |
|------|----------------|
| (٢٦) | البقرة/ ١٨٣    |
| (٢٧) | آل عمران/ ٩٧   |
| (٢٨) | الدليل على أنس |
| (٢٩) | النساء/ ٢٩     |

والآخر : ما أنزل الله فيه جملة كتاب، فبين عن الله معنى ما أراد.. وهذان الوجهان اللذان لم يختلفوا فيهما.

والوجه الثالث : ما سن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيما ليس فيه نص كتاب

..

١ — فمنهم من قال: جعل الله له بما افترض من طاعته، وسبق في علمه من توفيقه لرضاه، أن يسن فيما ليس فيه نص كتاب ..

٢ — ومنهم من قال: لم يسن سنة قط إلا ولها اصل في الكتاب، كما كانت سنته تبين عدد الصلاة وعملها على أصل جملة فرض الصلاة، وكذلك ما سن من البيوع وغيرها من الشرائع، لأن الله تعالى قال «ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل».

وقال وأحل «أحل الله البيع وحرم الربا» البقرة/٢٧٥

فأحل وحرم فأنما بين بين فيه عن الله، كما بين الصلاة..

٣ — ومنهم من قال: بل جاءت به رسالة الله، فأثبتت سنته بفرض الله .

٤ — ومنهم من قال: ألقى في روعه كل ما سن، وسنته الحكمة التي ألقى في روعه عن الله، فكان ما ألقى في روعه سنته.

قال الشيخ السباعي — رحمه الله — وواضح أن مراده بالخلاف في القسم الثالث، إنما هو الخلاف في مخرجه، هل هو على الاستقلال بالتشريع كما قال اصحاب القول الأول والثالث والرابع؟ أم بدخوله ضمن نصوص القرآن كما قال اصحاب القول الثاني؟!

وأورد رحمه الله حجج هؤلاء وأولئك وقرر أن الخلاف بينهم لفظي فقال .. «و يتلخص الموقف بين الفريقين في انها متفقان على وجود أحكام جديدة في السنة، لم ترد في القرآن نصا ولا صراحة، والفريق الأول يقول: ان هذا هو الاستقلال في التشريع، لأنه اثبات أحكام لم ترد في الكتاب..

والفريق الثاني — مع تسليمه بعدم ورودها بنصها في القرآن — يرى أنها داخلة تحت نصوصه بوجه من الوجوه التي ستذكر فيما بعد، وعلى هذا فهم يقولون : إنه لا

يوجد حديث صحيح يثبت حكماً غير وارد في القرآن، إلا وهو داخل تحت نص أو قاعدة من قواعده، فإن وجد حديث ليس كذلك، كان دليلاً على أنه غير صحيح، ولا يصح أن يعمل به».

ثم قال الشيخ السباعي رحمه الله «وانت ترى أن الخلاف لفظي، وإن كلا منها يعترف بوجود أحكام في السنة لم تثبت في القرآن، ولكن أحدهما لا يسمى ذلك استقلالاً، والآخر يسميه، والنتيجة واحدة» (٣٠)

#### ٥ — مقتضى الإيمان بالله ورسوله.

لا يؤمن بالله ورسوله كما أمر الله من قدم بين يدي الله ورسوله كلام سواه. «وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً» (٣١)

وينزع الله الإيمان عن أقوام فيقول «ويقولون آمنا بالله وبالرسل وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين، وإذا دُعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم مُّغرضون..» (٣٢)

والخلاف عن أمر رسول الله في حياته وبعد مماته صلوات الله عليه انطلاقة حمقاء إلى خزي الحياتين وشر الدارين «فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم» (٣٣)

وكتاب الله وسنة مصطفاهما نظام دين الله، وما يؤدي أوجب حق لله وهو طاعة — وطاعة رسوله صلوات الله عليه من طاعته — إلا بمنهج القرآن والسنة، اللذين لا يرتفع إلى مستواه قول قائل، ولا ينال من سموها تطاول متناول

(٣٠) السنة في التشريع الإسلامي للدكتور الشيخ مصطفى السباعي ٣٧٦ — ٢٨٣

(٣١) الأحزاب / ٣٦

(٣٢) النور / ٤٧ — ٤٨

(٣٣) النور / ٦٣

«وما يعيب «الحق» إلا عيَّاب، ولا يضر الشمس — كما قالوا — نباح الكلاب، ولقد حكى الله مقالة قر يش «لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون» (٣٤)

فبقى القرآن، وباء اللاغون بالمهانة والخذلان، الا من عصم الله بالايمان  
ما يضر البحر أمسى زاخرا  
إن رمى فيه غلام بحجر  
وما على القرآن والسنة من بأس ان قصرت عن ادراكها مدراك بعض الناس،  
وراحوا كالحمقى الذين يرمون الشجرة بالأحجار وهي تلقى اليهم بيانع الثار!!  
ولقد أرسل الله رسله وانزل كتبه كما قال «وما ارسلنا من رسول الا  
ليطاع باذن الله» (٣٥)

وإن هدى الله وحبه ثمرة طاعة رسول الله، وأتباعه، وما أيسرهما حين  
نجرّد اليهما القصد ونستعين عليهما بالله الذي يتولى الصالحين «قل ان كنتم تحبون  
الله فاتبعوني يُخَبِّبْكُمْ الله و يغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم، قل اطيعوا الله  
والرسل فإن تولوا فان الله لا يحب الكافرين» (٣٦)

«وإن تطيعوه تهتدوا وما على الرسول الا البلاغ المبين» (٣٧)... وليت الذين  
يتناولون القرآن والسنة بجهالة وسفاهة يسألون أنفسهم ماذا حفظوا منها؟! وماذا  
وعَوْا من معانيها؟! وهل أخذوا بعض الوسائل التي لا بد منها لمن يحاول دراستها،  
وتعميق النظر فيها، وراء ما يلقيانه من عبر وعظات وأحكام بدون معاناة ولا  
عسر؟! وصدق الله العظيم «ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر» (٣٨)

وفي غيبة الدين، وغفلة دعاة الحق تظهر الإمعات، وتسري في الحياة  
دعوات الإثم وقد يلقى الأذعياء المادمون من الحفاوة بباطلهم، وتسليط أضواء  
الشهرة عليهم ما يغريهم بالمزيد من الضلال، والإيغال في ابتذال آلفكر، حتى تطلع

- 
- (٣٤) فصلت/ ٢٦  
(٣٥) النساء/ ٨٠  
(٣٦) آل عمران/ ٣١ - ٣٢  
(٣٧) النور/ ٥٤  
(٣٨) القمر/ ٢٠

شمس الحقيقة فتختفى الخفافيش لاجالة، ويولى الباطل الأدبار خاسئا وهو  
حسير» وما يبدئي الباطل وما يعيد (٣٩)

وهكذا اتصل صراع الحق والباطل منذ كان الناس، وهكذا واجهت  
السنة وتواجه من الأغرار، ولكنها تظفر دائما بالغلبة والانتصار، وهي أمانة في  
اغتناق الذين تأسؤا بخير القرون».

عن عمران بن حصين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « خيركم  
قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم.. قال عمران فلا ادري اذكر بعد قرنه قرنين  
أو ثلاثة..

ثم إن بعدهم قوما يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون،  
وينذرون ولا يوفون، ويظهر فيهم السمن» (٤٠) ج ٨ ص ٥٤٧ وما بعدها  
«جامع الأصول» للجزري.

.. قال ابن الأثير الجزري، وزاد في رواية « ويحلفون ولا يستحلفون» وأشار الى  
أخراج البخاري ومسلم والترمذي وأبى داود والنسائي له بألفاظهم..، والى  
رواية البخاري ومسلم والترمذي عن عبد الله بن مسعود، ورواية مسلم عن أبي  
هريرة، وروايته عن عائشة،

.. وأبادر فأذكر أن كثيرين اجتروا على سنة رسول الله صلوات الله عليه،  
ويجتري فثام مثلهم عليها فى أعصار وأقطار، ويقولون بغير الحق في صحابة  
الرسول رضوان الله عليهم، وإن دَيَّنْتَهُمْ لَفَى عُقُقُ كُلِّ مُسْلِمٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ  
وإذا كانت صفات الخلوفا تصرخ في دنيا الناس كما ذكرها الصادق المعصوم  
صلوات الله عليه، فأننى الفت الأنظار الى قوله صلى الله عليه وسلم « ويظهر  
فيهم السمن»

(٣٩) سبأ/ ٤٩

(٤٠) رواه البخاري في الشهادات، وفضائل اصحاب النبى والرقاق وغيرها.. ومسلم في فضائل الصحابة  
والترمذي في الفتن، وابو داود في السنة والنسائي في الايمان والنذور.

أو كما أخرج الامام مسلم من رواية أبي هريرة رضى الله عنه «ثم يخلف قوم يحبون السَّمانه»

.. ولن يُعوّزَ أولى البصائر جهد لمعرفة أولئك في غير قطر، عبيد دنيا مؤثّرة، وهوى متبع، وانطلاق فى تيار قوى سياسية كافرة، يحسبونها تغنيهم يوم يغار الحق على دينه، و يأخذ الطغاة فلا يفلتهم ..  
«وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهن ظالمة ان أخذه أليهم شديد  
«هود/١٠٢»

.. إن من هؤلاء من شغل وسائل الاعلام بلغو الكلام ومنكر الحديث فى هذه الأيام، وألف كتباً، ورغم أنه حاور العلماء في بلاده فى زور ما رأي و يرى فى القرآن والسنة، ويثس ما قال، فهو دلالة على خواء الروح، وعمى البصيرة، وفساد العقل، وماذا نذكر من قول رجل زعم وادعى وأفك وافترى وتناول على كتاب الله وسنة مصطفاه، ثم هدد وتوعد المسلمين ان هاجوه، ونقموا منه مايقول أن يخرج على الاسلام، و يضع المصحف على «الرف» ويكتب بلغة غير عربية تبدأ من الشمال كما فعل اتاتورك في تركيا..» (٤١)  
و يرحم الله الامام النووي فقد أورد في شرحه للحديث في رواية مسلم قوله:

«وقيل المراد بالسَّمن هنا، انهم يتكثرون بما ليس فيهم، وَ يَدْعُوْنَ ما ليس لهم من الشرف وغيره (٤٢)

إن الأقزام يركبون الصعب والذلول، و يصطنعون الأباطيل، و يتطاولون الى مالم يؤهلهم له علم ولا دراسة، ولا سؤال للمذنبين قال الله فيهم «فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون» (٤٣)

(٤١) المجلات الاسلامية في السعودية والكويت وراجع البلاغ — الكويت العدد ٤٧٨ في ١٩/١/٢٤ في مقال للاستاذ مختار اسماعيل .. وراجع المجتمع الكويتية والدعوة السعودية.

(٤٢) شرح النووي على مسلم جـ ١٦ ص ٨٧

(٤٣) الأنبياء/ ٧



يفعل هؤلاء ذلك، تاركين مقتضيات الزعامة، ومتطلبات السياسة، التي لم يثبت لهم فيها أصبع، فينبهون الأذهان إلى ضآلتهم وهم ينطحون بقرونها الكليلية صرح السنة النبوية عادين جاهلين.. قبل أن ينصفوها بالنظر فيها.. ويا لله لسنة مصطفىاه..

#### ٦ — من مدرسة الوحي..

ومن بحث بهذا العنوان مجلة رابطة العالم الاسلامي في جمادي الآخرة ١٣٩٩ هـ قلت وفي اتباعه — صلوات الله عليه — الهدى، وفي الخلاف عن أمره الملكة والرّدّي، فاختر لنفسك موضعا من موضعين يقول فيها رب العالمين.

«وان تطيعوه تهتدوا..» النور — ٥٤

«ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نُؤَلِّهِ ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا.. النساء/ ١١٥.

«فليس لأحد في أي مقام من مقامات الحياة أن يولّي عن القرآن وجهه، أو يبتغي بعده غير هدايات النبي سبيلا.

وحقّى موزلون في الحماسة أولئك الذين أوتوا بعض السلطان في غيبة الدين، وعَفَلَة الزمان، وهم يصدعون الرؤوس، و يغثون النفوس بما يتحدثون به عن القرآن والسنة، وأجناد السلف قبل أن يؤتوا من علم ذلك ولاقلامه ظفروا به حاقة بل صفاقة أقبح من صنيع هذا الذي يريد.. في أقل القليل — أن يحذف من القرآن الكريم مثل كلمة — قل.. التي خاطب الله بها مصطفىاه صلوات الله عليه، بزعمه أن ما وراء هذا الأمر هو الذي يُحفظ ويؤثر..

وعلى ذلك الذي يقحم أنفه فيما لا يحسن، وزرما شقشق به في كلام عن القرآن والسنة القولية والعملية والغزوات الاسلامية، وتفسير الأئمة الأعلام للقرآن الكريم..

«بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه، ولم يأتهم تأويله كذلك كذب الذين من

قبلهم فأنظر كيف كان عاقبة الظالمين.. (٤٤) ومن جهل شيئاً عاداه كما يقولون..

ان اقوال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأفعاله وتقريراته هي الحكومة المرضية والحق المتبع، وصفاته مجال الاقتداء به كما أمر الله المؤمنين..

«فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكوك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسلياً» (٤٥)

وأقواله وأفعاله وتقريراته هي.. كما أسلفت مما هو اجماع الأئمة — بيان يوحى الله وشرح وتفصيل وتأصيل لشرعه تعالى

«انا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيماً.. (٢٧) أهـ (٢٨)

«ومرة أخرى أراني أمام كلمات دالة لابن قيم الجوزية رحمه الله، هي في ذلك المقام، أكثر من جهيزة التي قيل فيها «قطعت جهيزة قول كل خطيب» إنه يقول في تفسير قوله تعالى»

«وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمراً من أمرهم ومن بعض الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً» (٤٦)

«فدل هذا على أنه إذا ثبت لله ورسوله في كل مسألة من المسائل حكم طلبى أو خبرى فانه ليس لأحد أن يتخير لنفسه غير ذلك الحكم فيذهب اليه، وان ذلك ليس لمؤمن ولا مؤمنة فدل على ان ذلك منافٍ للإيمان»

«وقد حكى الشافعي — رحمه الله — إجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم على أن من استبان له سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن له أن يدعها تقول أحد قال ابن قيم رحمه الله « ولم يسترب أحد من أئمة الاسلام في صحة

---

(٤٤) يونس/ ٣٩

(٤٥) النساء/ ٦٥

(٤٦) النساء/ ١٠٥

قول العصوم الذي لا ينطق عن الهوى وأما أقوال غيره فقانغ أن تكون سائغة الاتباع فضلا عن أن يعارض بها النصوص أو تقدم عليها، عياذا بالله من الخذلان (٤٧)

أجل تعوذ بالله من الخذلان، وأي خذلان أشتت من الريب في كلام الرسول، والاجترأ على الأئمة الأعلام الذين يحترزون من القول عن الله وعن رسوله بغير تثبيت أو تبين في الفكر الاسلامي كله لا في القرآن والسنة والغازي والرجال وحدهم!

ولا بأس بأن أشبع الكلام في هذا المقام بالأسرار اللطيفة التي هي لمحات من نور الله هدى اليها فها هدى اليه من الكثير الطيب ابن قيم رحمه الله فهو يقول في قوله تعالى

«يأياها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم من النساء/ ٥٩» «فقرن بين طاعة الله والرسول وأولى الأمر، وسلط عليها عاملا واحدا، وقد كان ربما يسبق الى الوهم أن الأمر يقتض عكس ذلك، فانه من يطع الرسول فقد أطاع الله ولكن الواقع هنا في الآية المناسب.

» وتحت سر لطيف، وهو دلالة على أن ما يأمر به رسوله يجب طاعته فيه، وان لم يكن مأمورا به بعينه في القرآن، طاعة الرسول مفردة ومقرونة، فلا يتوهم متوهم أن ما يأمر به الرسول ان لم يكن في القرآن، وإلا فلا تحجب طاعته فيه (٤٨) والعبارة واضحة البنى، وإن كانت تحتاج الى تحرير ليس لعدم دقة ابن قيم ولكن يفعل النساخ فيما اعتقد!!

#### ٧ - الرحمة المهداة

الرحمة المهداة او النعمة المسداة رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عزفت نفسه عن زخرف الدنيا وترك للناس الذين الذى دانت به لهم الحياة، وكان به المؤمنون خير أمة أخرجت للناس، وصارت الى بعضهم مقاليد سلطان لم يقع لهم

(٤٧) ص/٢٢ مجلة رابطة العالم الاسلامي

(٤٨) الأحزاب/ ٣٦

في خاطره، وليسوا هم بأولى به من غيرهم لكنها الأقدار التي يلقي لها أهل  
(الايان) الايمان العتات و يتقبلونها من رهم بارتياح وإذعان، ولا يفتط الأغرار  
الى ان كل حال لضده يتحول، وإن الحياة كلها متاع يضمحل غدا، وفيها لا ريب  
حكم وسلطان لم يدوما لمن مضوا.. ورحم الله من قال  
إذا كنت أعلم علم اليقين .. ان حياتي جميعاً كساعة  
فلم لأكون ضنينا.. بها واصرفها في صلاح وطاعة؟!!

عن أبي هريرة رضى الله عنه إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال..  
«بعثت بجوامع الكلم ونصرت بالرعب، وبيننا أنا نائم رأيتني أتيت بفاتيح خزائن  
الأرض، فوضعت في يدي» قال ابو هريرة فقد ذهب رسول الله صلى الله عليه  
وسلم وانتم تلغثونها او ترغثونها أو كلمة تشبهها (٤٦) وليت كثير ين يسمعون كلمة  
أبي هريرة ان غابت عنهم عظة الحديث الذي رواه، إن الذين ينعمون اليوم برغد  
العيش الذي أتتهم بشراه من رسول الله، ووضع لبقائه وفمائه منهجه الهادي  
فاشتغلوا بالنعمة، وجحدوا مُسديها، وشكر من أفرغ وسعه وهو يؤديها رسالة وديناً،  
ورموا الشجرة وهى تهديهم يانع الثمر بالحجر وراء الحجر، هؤلاء يَلْغَثُونَ خزائن  
الأرض أو يرغثونها..

قال ابن الاثير الجذرى «وانتم تلغثونها» أي تأكلونها، من اللغث وهو  
طعام يُغَلَّث بالشعير.. أي يخلط به.. قال «ويروى» ترغثونها اي  
ترضعونها» (٥٠)

— وعن ابي موسى الأشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:  
«إنما مثلي ومثل ما بعثنى الله به كمثل رجل أتى قوماً، فقال يا قوم اني  
رأيت الجيش يعينى، واني أنا النذير العريان، فالتجاء فاطاعه طائفة من قومه،  
فأدجلوا، فأنطلقوا على مهلمهم فتجوا، وكذبت طائفة منهم، فأصبحوا مكانهم،

(٤٩) كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة صحيح البخاري

(٥٠) النهاية لابن الأثير ج ٤ ص ٢٥٦

فصبحهم الجيش، فأهلكهم واجتاحهم، فذلك مثل من أطاعنى، فاتبع ماجئت به، ومثل من عصانى، وكذب ماجئت به من الحق.. (٥١)

فليُنظر كل قائل في كتاب الله وفي سنة رسول الله أين يضع نفسه؟! — «قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه، ومن عمى فعليها وما أبا عليكم بحفيظ (٥٢)».

ورحم الله ابن قيم الجوزية فقد ختم في ص ٨ — ١ من «مدارج السالكين» كلاماً عن أهل التعصب والهوى فقال «فحقيق لمن لنفسه عنده قدر وقيمة ألا يلتفت لهؤلاء، ولا يرضى لها بما لديهم وإذا رفع له علم السنة النبوية شمر إليه ولم يحبس نفسه عليهم.. (اهـ) والهدى هدى الله..

---

(٥١) البخاري في الاعتصام، ومسلم في الفضائل

(٥٢) الأنعام/١٠٤



## الفصل الثاني

### السنة بين التلقى والتدوين

#### ٨ - كيف تلقى الصحابة السنة؟!

لم يتح لشيء من الكلام بعد القرآن الكريم من الحواظ ما يتيح لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو لم نسلف أن تأذن الله بحفظ كتابه الباقى، أذان الهى بحفظ السنة المطهرة؟! لتتم بها منة الله على المؤمنين بأنزال كتابه فى مثل قوله لمصطفاه.

«وأُنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون» (٥٣)  
٤٤ قال الشيخ الأمين الشنقيطى فى «أضواء البيان»  
وقد ذكر الله تعالى فى هذه الآية

حكمتين من حكم انزال القرآن على النبى صلى الله عليه وسلم..  
احداهما: أن يبين للناس ما نزل إليهم فى هذا الكتاب من الأوامر والنواهى والوعد والوعيد، ونحو ذلك، وقد بين هذه الحكمة فى غير هذا الوضع ايضا كقوله تعالى..

«وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه..» (٥٤)  
«انا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما اراك الله..» (٥٥)

(٥٣) النحل/

(٥٤) النساء/

(٥٥) أضواء البيان جـ ٣ ص ٢٧٥

الحكمة الثانية: هي التفكير في آياته..... اهـ (٥٦)

وقد كان بيان الرسول لكتاب ربه أقوالاً وأفعالا وصفات وتقريرات.. كما مر بين يديك مرات — وكان حَرَضُ الصحابة رضوان الله عليهم على الإحاطة بكل ذلك منقطع المثال، فهم يريدون أن يتبعوا ما أنزل إليهم من ربهم «لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة..» فإذا أرتوت أنفسهم بما سمعوا ورأوا منه، وما حدثهم به الثقات الأدنون من أهله وصحابته، سألوا أمهات المؤمنين في بعض شأنه مما لا يقع في مجتمعاتهم، وكن رضوان الله عليهن يذكرن ما يتلى في بيوتهن من آيات الله والحكمة، لمن يفتزع اليهن من الرجال والنساء ابتغاء مزيد من العلم للعمل والافتداء.

يقول الشيخ مصطفى السباعي رحمه الله في معرض الدلالة على حرص الصحابة في التلقى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتباعه «وقد بلغ من اقتدائهم به أن كانوا يفعلون مايفعل، و يتركون مايترك دون أن يعلموا لذلك سببا أو يسألوه عن علته وحكمته...» (٥٧) وأورد من صحيح البخاري عن ابن عمر رضى الله عنهما حديثا فيه نزع الرسول لخاتم اتخذته من ذهب وان الذين اتخذوا مثلها اتخذ نزعوه كما نزع صلوات الله عليه.

وساق مثلا هو في الطاعة والتلقى على سواء يثير كل معاني حرص الصحابة في ذلك فيقول «بل بلغ امتثالهم أمر النبي صلى الله عليه وسلم ان فعلوا ذلك حتى في شئون الدنيا فقد أخرج أبو داود (٥٤) وابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» عن ابن مسعود رضى الله عنه «أنه جاء يوم الجمعة والنبي يخطب فسمعه يقول: «اجلسوا».. فجلس بباب المسجد أي حيث سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول ذلك، فرآه النبي عليه الصلاة والسلام فقال له: «تعال يا عبد الله ابن مسعود» (٥٨)

---

(٥٦) السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي ص ٥٣ — ٥٤

(٥٧) سنن أبي داود

(٥٨) السنة ومكانتها...



والصحابة رضوان الله عليهم بذلك الحرص و يغيره خليقون بأن يسلكهم الله مع نبيه في سمط الإشادة به وبهم في قوله تعالى.

«محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما.. (٥٩) ... كان هؤلاء الذين نوه الله بهم ذلك التنويه وضرب بهم الأمثال في التوراة والانجيل والقرآن، من شرف التلقي عن الرسول صلوات الله عليه في حياته مالا يداينهم فيه سواهم، وما يرشحهم للثقة في روايتهم عنه صلوات الله عليه، وان رغمت أتوف!!

يقول الامام ابن القيم الجوزية رحمه الله.. وكان التلقي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، حظ أصحابه الذين حازوا قصب السبق، واستولوا على الأمد، فلا مطمع لأحد من الأمة بعدهم في اللحاق، ولكن المبرز من اتبع صراطهم المستقيم، واقتفى منهاجهم القويم، والمتخلف من عدل عن طريقهم ذات اليمين وذات الشمال، فذلك المنقطع التائه في بيداء المهالك والضلال.. وأشيع الامام القول في الصحابة فما غلا، ولا جاوز الحد فيمن جعلهم الله وزراء لنبيه، ونصراء مصطفىين لدينه.. فلنرهدف السمع اليه وهو يقول.

«فأي خصلة خير لم يسبقوا إليها؟ وأي خطة رشد لم يستولوا عليها؟ تألله لقد وردوا رأس الماء من عين الحياة، عذبا صافيا زلالا، وأيدوا قواعد الاسلام، فلم يدعوا لأحد بعدهم مقالا فتحوا القلوب — بعد لهم بالقرآن والايمان، والقرى بالجهاد بالسيف والسنان، وألقوا الى التابعين ماتلقوه من مشكاة النبوة خالصا صافيا، وكان سندهم فيه عن نبيهم صلى الله عليه وسلم، عن جبريل، عن رب العالمين، سندا صحيحا عاليا، وقالوا: هذا عهد نبينا اليها، وقد عهدنا اليكم،

(٥٩) سورة الفتح/ ٢٩ وانظر عنها للكاتب في السنة/ ٣١ من مجلة التضامن الاسلامي السعودية

وهذه وصية ربنا وفرضه علينا، وهي وصيته وفرضه عليكم، فجری التابعون لهم باحسان على مناجهم القوم، واقتفوا على آثارهم صراطهم المستقيم، ثم سلك تابعو التابعين هذا المسلك الرشيد، وهدوا الى الطيب من القول، وهذوا الى صراط الحميد، وكانوا بالنسبة الى مَنْ قبلهم كما قال أصدق القائلين « ثلة من الأولين، وقليل من الآخرين. (٦٠) »

لقد اصطفى الله لمصطفاه هؤلاء الصحابة اخوانا وأعوانا على أداء تكاليف أقوم رسالة، فَأَرَوْا الله من أنفسهم صفاء العقيدة وخالص العبادة، وجلال السلوك في غير مجال.. وكان حرصهم على السنة بقدر شغفهم بالقرآن الكريم، يكتب الكاتبون ما يبلغهم الرسول من آياته و يعمقونها في عقولهم وأفكارهم ويترجمونها أفعالا وأحوالا، حتى جمع الله لهم بذلك العلم والعمل كما قال صحابة رسول الله. —

ويحفظون ما سمعوا من حديث رسول الله، ويتناوبون على شهود مجالسه ان شغلته تكاليف الحياة التي هي بمكانها من الدين الخاتم حتى ينقل الشاهد الى من لم يشهد ما كان من حال وما سمع من اقوال فيرتبطون جميعا بكل ذلك، وتقر في أعماقهم، وترسخ في خواطرهم.. كما رسجت في الراحتين الأنامل!!  
و يصعدون عن ذلك فيما يقولون و يعملون بدوافع من حبه لنبيهم، و يقينهم الواثق في أن التآسي به هو متطلبهم الى كمال دينهم ونظام دنياهم وآخرتهم»

#### ٩ — وهكذا حرصوا بعد مماته

ما كان أصحاب النبي صلوات الله عليه، ورضى عنهم، على سواء في استيعاب السنة، وحفظهم للحديث، ولا كان شيء من الصحف يجمع لهم عن

(٦٠) سورة الواقعة/ ١٣ — ١٤ وانظر أعلام المؤمنين ج ١ ص ٦ .

نبيهم كل ذلك، وكان القرآن وحده محفوظاً في الصدور، مسطوراً في الرقاع والخاف (٦١) ولم يلق رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه، الا وهذه الأشياء متكاملة تعطى القرآن كله مرتبة الاستيعاب والتتابع والانتظام، الذي لا ينقصه الا ماتت به نعمة الله تعالى بعثمان ذو النورين والمصحف الامام.. وفي نهاية بحث « جمع القرآن وتاريخه » يقول الشيخ محمد علي سلامة رحمه الله « و يتلخص في هذا أمرين أحدهما: أن القرآن كله جمع — بمعنى أنه كتب جميعه — بين يدي الرسول صلى الله عليه وسلم بواسطة كتاب الوحي الذين كان يأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم بالكتابة، بعد أن كان مفرقا في التُسبب والاكتاف، وغيرها، ولم يكن مجموعا بين دفتين..

ثانيها أن كثيرا من الصحابة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب كثيرا منه على قدر ما أتبع له

وكانت كتابتهم له أيضا متفرقة غير مجموعة في مصحف واحد، وان صار مكتوبا جميعه عند مجموعهم، بمعنى ان هذا كتب كذا وذاك كتب كذا.. وقد يتفق عدد منهم فيما كتبوا، وقد يزيد أحدهم عن الآخر.. أي في عدد ما كتب — وقد يكتب أحدهم سورة أو أكثر غير ما كتبه الآخر وهكذا.. ولم يجمع النبي صلى الله عليه وسلم القرآن في مصحف لما كان يترقبه من ورود ناسخ لبعض أحكامه أو تلاوته، ولما كان يترقبه أيضا من تتابع الوحي... » (٦٢)

وأشار رحمه الله — الى جَمْع القرآن في عهد أبي بكر كما روي البخاري عن زيد ابن ثابت رضي الله عنه ( ) وأن المَعُول عليه من المصادر في جمع القرآن كانا

---

(٦١) الرقاع: واحداؤها الرقعة التي تكتب — مختار الصحاح

اللفظ: اللخفة وهي حجارة بيضاء رقيقة — النهاية لابن الأثير

الاكتاف: الكتف وهو عظم عريض يكون في الكتف كانوا يكتبون عليه لقلة القراطيس — النهاية

الاعصاب: عسيب وهي سعة النخلة لبي عليها خوض النهاية

(٥٣) جامع الأصول ج ١ ص ٤٠.

(٦٢) من محاضرات ألقاها علينا ونحن طلاب في كلية أصول الدين بالأزهر عام ١٩٣٧ هـ.

الحفظ والكتابة، وذكر ميزة الجمع على عهد أبي بكر بعد مظاهر الجمع في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، ثم الملامح المميزة للمصحف الامام الذي لم يهتد إليه عثمان الا بعد أن أشتار في ذلك الصحابة كما ذكر ابو داود قال الحافظ ابن حجر وكان ذلك في آواخر سنة أربع وعشرين واول سنة خمس وعشرين للهجرة.. ومع هذه العناية بكتاب الله كانت عناية الصحابة بالحديث النبوي بعد حياة النبي رواية من حفظهم، ونادراً مما كتبه نفر مثل عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنها، وكان تحرى من يروى ومن يسمع بارز الملامح، دالا على مز يد توقيهم وصيانتهم للسنة أن يشوها ما ليس منها، اذ كان اعتمادهم — رضى الله عنهم — كما قال ابن الأثير الجزري «أولا على الحفظ والضبط في القلوب والخواطر، غير ملتفين الى ما يكتبونه، ولا معولين على ما يسطرونه، محافظة على هذا العلم كحفظهم بكتاب الله عز وجل» (٦٣)

ولا ريب أبدا في أنه قد تجتمع في حياة الرسول من السنة ما كان عند علي وابن عمرو، وأبى شاه وأبى هريرة، وما كتب الرسول صلوات الله عليه لهرقل وغيره في البلاد في جوانب الجزيرة يدعوا أهلها الى الاسلام، وفي فتح الباري والنسائي والدارمي والترمذي ومسنند أحمد من ذلك تفصيل لا يعوزك بعده دليل، وكذلك تجد في «السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي» (٦٤)

ولقد مريبك لماذا لم يجمع القرآن في حياة النبي صلوات الله عليه، وقد يفيد هنا أن نذكر أن الأحاديث النبوية لم تدون كلها في حياة رسول الله لأسباب نعرض لها عما قل، لكن عرفان الصحابة لقدر السنة واعتبارهم لمكانتها في دين الله وحذرهم من وعيد الرسول لمن كذب عليه متعمدا صلوات الله عليه وتطلعهم الى عدة رسول الله لمن بلغ عنه.. كل ذلك وقر في أنفس صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم تدون السنة — كما قال الشيخ مصطفى السباعي رحمه الله —

---

(٦٣) ص ٩٨ وما بعدها — والحديث لأبي ابي داود  
(٦٤) ص ٥٦ وما بعدها.. الدكتور الشيخ السباعي

تدوينا رسميا في حياة النبي صلى الله عليه وسلم كما دَوَّن القرآن، وكيف تدون والوحي كان يتتابع علي النبي، وكان على عهده من القول والعمل، اللذين يؤلفان جوانب هامة من السنة مع سلوكه وصفاته صلوات الله عليه.

### كتابة السنة بين الجواز والمنع

وكيف يكتبون رضوان الله عليهم واوامر الرسول وتوجيهاته قد صحت كلها، وهو يأمره مرة بالكتابة عنه وينهي عن ذلك مرة أخرى!! ولعل مراده صلوات الله عليه من الجواز تارة، والمنع أخرى أن الكتابة كانت عسيرة على الصحابة حينئذ، ولأنه صلوات الله عليه، خشي أن يتداخل ما كان لفظه ومعناه من عند الله وهو القرآن بما كان معناه من عند الله دون لفظه وهو الحديث النبوي كما مَرَّبَكَ في الأثر الذي رواه حسان بن عطية (٦٥)

ورحم الله الخطيب البغدادي (٦٦) فقد ألف في هذا السياق كتابه «تقييد العلم»، وأفرد القسم الثاني منه «لبیان العلة في كراهة الصحابة كتابة الحديث» وأورد في الفصل الأول من هذا القسم النصوص الدالة على خوفهم الانكباب على درس غير القرآن، وأن يُضَاهَى بكتاب الله غيره» فقال رحمه الله «فقد ثبت أن كراهة من كره الكتاب من الصدر الأول، إنما هي لثلاث يُضَاهَى بكتاب الله تعالى غيره، أو يُشغَلَ عن القرآن بسواه، ونهى عن الكتب القديمة أن تتخذ — ولعله يقصد أن لا يعتمد عليها — لأنه لا يُعرف حقها من باطلها، وصحيحها من فاسدها، مع أن القرآن كفي عنها، وصار مهيمنا عليها، ونهى عن كتب العلم في صدر الاسلام وجده، لقلَّة الفقهاء في ذلك الوقت، والمميزين بين الوحي وغيره، لأن أكثر الأغرار لم يكونوا فقهوا في الدين ولا جالسوا العلماء العارفين، فلم يؤمن أن يلحقوا ما يجدون من الصحف بالقرآن، ويعتقدوا أن ما اشتملت عليه؛ كلام الرحمن (٦٧)

(٦٥) أبو داود في مراسيله وانظر قوله عن التحديث ص ٣٢

(٦٦) وهو من علماء القرن الخامس الهجري

(٦٧) تقييد العلم ص ٥٧

والحق بهاتين العلقين علة أخرى وهى «خوف الاتكال على الكتاب، وترك الحفظ به وأورد في ذلك نصوصاً، وفيمن كانوا يكتبون، حتى اذا حفظوا ما كتبوه مَحَّوه، وفيمن نَدِموا على انهم لم يكتبوا به (٦٨)

وانتهى الخطيب في الفصل الثالث من هذا القسم، بإيراد علة أخيرة لكراهتهم كتب العلم وهى «صيرورة العلم الى غير أهله»..

وفيه أخبار من دفن الكتاب، وشواهد ونصوص من اعمال الجَلَّة، وأقوال الأئمة رضى الله عنهم (٦٩)

ولقد أرخص الرسول صلوات الله عليه — كما أشرنا قبلاً — لنفر من الصحابة، في كتاب الحديث، وقد مَرَّبَك أسماؤهم على نحو ما ذكر البغدادي وغيره من الأئمة، وكان أكثرهم بعد هذا الاذن في الكتابة عبد الله بن عمرو (٧٠) رضى الله عنه.. ولقد ركز الخطيب البغدادي في بقية لأقسام على مناقشة حديث أبي سعيد الخدري رضى الله عنه «كننا لانكتب الا القرآن والتشهد» (٧١)

و يسعف الامام ابن حجر وهو يشرح ترجمة الامام البخاري، بكلام في هذا السياق فيقول رحمه الله:

«باب كتابة العلم» لحديث أبي جحيفة: قلت لعلى: هل عندكم كتاب؟ قال: لا، الا كتاب الله، أو فهم أعطيه رجل مسلم، أو ما في هذه الصحيفة» قال قلت: فما في هذه الصحيفة؟! قال: العقل وفكاك الأسير، ولا يقتل مسلم بكافر (٧٢) وأورد ابن حجر لطيفة.. من لطائفه قد يرد مثلها وهويين طريقة البخارى في الأحكام التي يقع فيها الاختلاف «ان لا يجزم فيها بشيء بل يوردها على الاحتمال» قال

(٦٨) المصدر السابق ٥٨ — ٦٠

(٦٩) المصدر السابق ٦١ — ٦٣

(٧٠) حديث أبي هريرة في مسند أبي هريرة لأحمد

(٧١) وقد أورده ابن عبد البر في «جامع بيان العلم» ج ١ ص ٧٦ و «تقييد العلم» ٩٣ — ٩٤

(٧٢) المصدر السابق

«وهذه الترجمة من ذلك لأن السلف اختلفوا في ذلك عملاً وتركاً وإن كان الأمر قد استقر والاجماع اعتقد على جواز كتابة العلم، بل على استحبابه، بل لا يبعد وجوبه على من خشي النسيان ممن يتعين عليه تبليغ العلم» (٧٣)

وانتهى ابن حجر من الكلام عن حديث أبي هريرة رضي الله عنه «مأمن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أحد أكثر حديثاً مني إلا ما كان من عبد الله بن عمرو فإنه كان يكتب ولا أكتب» الفتح ح ١ ص ٢٠٦ كتاب العلم فقال:

و يستفاد منه ومن حديث علي رضي الله عنه، ومن قصة أبي شاه، أن النبي صلى الله عليه وسلم اذن في كتابة الحديث عنه، وهو يعارض حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال » لا تكتبوا غير القرآن — الحديث رواه مسلم وهو في شرح النووي ج ١ ص ١٨ ١٢٩ — ١٣٠ «باب الثبوت في الحديث وحكم كتابته»

#### ١٠ — مقطع الكلام في هذا المقام

وجمع ابن حجر رحمه الله بن الأحاديث الأولى وحديث ابن سعيد فقال «أن النهي خاص بكتابة غير القرآن مع القرآن في شيء واحد، والأذن في تفريقهما» أو النبي متقدم، وإذن ناسخ له، عند الأمن من الالتباس، وهو أقربها، مع أنه لا ينافيها»  
دليل النهي خاص بمن خشي منه الاتكال على الكتابة دون الحفظ، والأذن لمن أمن منه ذلك»  
قال «ومنه من أعل حديث أبي سعيد رضي الله عنه، والصواب وقفه على أبي سعيد كما قال البخاري وغيره»

---

(٧٣) فتح الباري ج ١ ص ٢٠٤ السلفية

قال «قال العلماء» كره جماعة من الصحابة والتابعين كتابة الحديث واستحبوا أن يوحّد عنهم حفظاً، كما أخذوا حفظاً، لكن لما تقاصرت الهمم ونحش الأئمة ضياع العلم دُونه (٧٤) ومن المفيد أن أذكر قول الخطيب البغدادي (٧٥) من جليلته «تقييد العلم» قال أبو سعيد هو الذي روى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «لا تكتبوا عني سوى القرآن، ومن كتب عني غير القرآن فليمحّه» ثم هو يخبر أنهم «كانوا يكتبون القرآن والتشهد» وفي ذلك دليل على أن النهي عن كتب ما سوى القرآن، إنما كان على الوجه الذي بيّناه من أن يُصاهاي بكتاب الله تعالى غيره، وأن يُشتغل عن القرآن بسواه، فلما أُفِرَ ذلك، ودعت الحاجة إلى كتب العلم، لم يكره كُتُبُه، كما لم تكره الصحابة كتب التشهد.. ولا فرق بين التشهد وبين غيره من العلوم، في أن الجميع ليس بقرآن.. ولن يكون كتب الصحابة ما كتبوه من العلم، وأمرُوا بكتبه إلا احتياط كما كان كراهتهم احتياطاً.. (٧٦)

١١ — وللشيخ مصطفى السباعي رحمه الله في كتابه «السنة ومكانتها...» ص ٦١ تلخيص واعٍ لما أوردت من كلام الأولين نصر الله وجوههم.. أورد ههنا منه قوله

«واعتقد أنه ليس هناك تعارض حقيقي بين أحاديث النهي، وأحاديث الإذن.. إذا فهمنا النهي على أنه نهى عن التدوين الرسمي كما كان يدوّن القرآن.. وأما الإذن فهو سماح بتدوين نصوص من السنة لظروف وملازمات خاصة.. أو سماح لبعض الصحابة الذين كانوا يكتبون السنة لأنفسهم..»

«وقد أورد في ذيل.. هذا الكلام ما يؤكده وهو قول الخطيب البغدادي في تفسير العلم» (٧٦) عن الضحاك — أحسبه ابن قيس — من قوله «لا تتخذوا للحديث كراريس ككراريس المصاحف» ثم أتم كلامه الأول فقال

(٧٤) جـ ١ الفتح ص ٢٠٨ كتاب العلم  
(شرح النووي على مسلم جـ ١ ص ٢٤٤ — ٢٤٥ وجواز كتابه الحديث «وجـ ١٨ ص ١٢٩ — ١٣٠ باب التثبيت منه

(٧٥) من علماء القرن الخامس الهجري  
(٧٦) «تقييد العلم» ٩٣ — ٩٤



«والتأمل في نص حديث النهى قد يؤيد هذا الفهم، اذ جاء هذا مخاطبا فيه الصحابة جميعا، لا يقال: ان ذلك يقتضى أن يكون الحكم باقيا على الحرمة مادام السماح لظروف خاصة، ولأشخاص معينين. لأننا نقول :  
ان سماح الرسول لعبد الله بن عمرو بكتابة صحيفته، واستمراره في الكتابة حتى وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، دليل على ان الكتابة مسموح بها في نظر الرسول، إذا لم يكن تدوينا عاما كالقرآن.

و يؤكد الاذن بالكتابة، ما جاء في البخاري عن ابن عباس «أنه لما أشتد بالنبي صلى الله عليه وسلم وجعه قال: ايتوني بكتاب اكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده (٧٧) ولكن عمر حال دون ذلك بحجة أن الرسول قد غلبه الوجع، وهذا مما يؤيد الرأي القائل بأن آخر الأمرين، كان هو الإذن لا كما ذهب اليه المرحوم رشيد رضا — مجلة المنار مجلد ١٠ جـ ١٠ «من أن الإذن وقع أولا ثم تسخ بالنص..

## ١٢ — استرسال ضروري

ان هذا الاسترسال هادف، ومن أبرز مغازيه ما يجملوه من حرص الصحابة على حديث رسول الله كتابة أو تركا.

هذا الى ما وراء ذلك من كراهة كثيرين من الصحابة أن يقللوا كل حديث حتى يقدموا عليه الشهود على أنه من كلام رسول الله، من الصحابة أنفسهم كما فعل عمرو بن عباس وغيرهما، وكما فعل أبو بكر على قلة في ميراث الجدة بخاصة وقد اعلها ابن حزم في الاحكام

— وكان الصحابة رضوان الله عليهم في موقف الحذر والاحتياط أبدا حيال حديث رسول الله فكلما دعته انفسهم الى رواية حديث نبوي تمس الحاجة اليه،

---

(٧٧) والحديث أخرجه كذلك مسلم... وغيره

ورغبة في نضرة الوجوه من دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم «نضر الله امرء سمع منا شيئاً فبلغه كما سمعه قرب مبلغ أوعى من سامع» (٧٨) .. أخذ منهم الخوف مأخذه من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم «من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار» رواه أنس رضي الله عنه (٧٩)

وهو في روايات أخرى «فليجلج النار» إن كذباً على ليس ككذب على أحد» .. يقول الدكتور مصطفى السباعي رحمه الله وهو يذكر حديث «نضر الله امرء .. الحديث» وحديث «ألا ليبلغ الشاهد منكم الغائب» (٨٠)

وهكذا أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم صحابته بتبليغ السنة إلى من وراءهم مع التشبث فيما يروون «كفى بالمرء اثماً أن يحدث بكل ما سمع» أخرجه مسلم عن أبي هريرة فلم يكن بد من أن يصدع الصحابة بالأمر، وبلغوا أمانة الرسول إلى المسلمين وخصوصاً وقد تفرقوا في الأمصار، وأصبحوا محل عناية التابعين والرحلة إليهم، فكان التابعون يتتبعون أخبارهم ومواطنهم، فيرحل إليهم من يرحل على بعد الشقة وعناء الأسفار، ( )

«هذا كله كان عاملاً في انتشار الحديث وانتقاله إلى جمهور المسلمين» (٨١) .. وكلامه رحمه الله بعد ذلك خليق بالاعتبار، فهو يناقش به غيره من المتحدثين في خبر الواحد وفي صنيع أبي بكر وعمر وعلي مع الرواة، وفي بيان من اشتهروا بكثرة الرواية عن رسول الله بعد وفاته، ورحلتهم رضوان الله عليهم في طلب حديث رسول الله إلى الأمصار حتى قال

«وبذلك ابتدأت رواية الحديث تأخذ في السعة والانتشار، وبدأت الأنظار تتجه بعناية شديدة أكثر من قبل إلى صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، يحرص التابعون على لقيهم ونقل ما في صدورهم من علم قبل أن ينتقلوا

(٧٨) أخرجه أحمد والترمذي وابن حبان عن ابن مسعود

(٧٩) متفق عليه وهو بألفاظ متقاربة من ابن أنس

(٨٠) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم ج ١ ص ٤١ عن أبي بكر

(٨١) ص ٦٢ من «السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي»

الى الرفيق الأعلى، وقد كانت زيارة الصحابي لمدينة من المدن الاسلامية كافية لأن تجمع اهل المدينة كلهم حوله، ويشد الزحام ساعة وصوله وتشير الأصابع أن هذا صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم» (٨٢)

أجل (ان) انداحت رقعة العالم الاسلامي وصارت أمصاره منازل لهؤلاء الصحابة بعد فتحها، وسلكت السنة النبوية بتوفيق الله من العصر الأول وهي بيضاء نقية كفلق الصبح، وماء السماء، الى العصور التالية بصحف قليلة وضوء واعية تفرقت في الأمصار بفعل الأحداث والحروب الاسلامية وضرورة قيام الاسلام حكماً وتطبيقاً في تلكم الديار.

فلقد عاش عبد الله بن عمرو بن العاص جل حياته في مصر، بعد أن أعزها الله بالاسلام وخلصها من ظلم وضميم ما ينبغي أن يتجاهلها الأقوام، وهم قبل غيرهم الى الانصاف والائتلاف! يقول الامام ابن حجر «والذي انتشر عن ابي هريرة مع ذلك — أي من الحديث النبوي — أضعاف ما انتشر عن عبد الله بن عمرو، لتصدي أبي هريرة لذلك، ومقامه بالمدينة النبوية بخلاف عبد الله بن عمرو في الأمرين» (٨٣)

وقالت لجنة احياء كتب السنة:

«ورزق الله هؤلاء الأصحاب — بصائر نيرة، وعقولا مفكرة، والسنة معبرة، وحافظة واعية، ونفوسا شريفة عالية، فَوَعَوْا ذلك كله — سنة رسول الله وسيرته — وحفظوه، وتحدثوا به فيما بينهم، ثم تفرقوا — بعد الفتوح — في الأقاليم والأمصار، فنقل كل واحد منهم ماوعاه صدره الى من اتصل به من أهل هذه الأقاليم، وهذه الأمصار نقلاً أميناً» (٨٤)

فكانوا رضوان الله عليهم آية الله في حفظ سنة مصطفاه، وكانوا سدوداً دون وضع الوضعين ودس الدسائين، بما حفظوا كثيراً في الصدور، وبما رووا

(٨٢) عن أبي بكر .

(٨٣) المصدر السابق ص ٦٢ — ٧٤ .

(٨٤) فتح الباري ج ١ ص ٢٠٧

قليلًا في السطور، وبارووا من ذلك كله فكان النور الذي يكشف الأمور، و يُبدي  
المواقف على حقيقتها.. ورحم الله الربيع بن خيثم فقد قال  
«ان من الحديث حديثا له ضوء النهار تعرفه به،» (ان بين الحديث  
حديثا له ظلمة كظلمة (الليل) لعركة به العيين تعرفه بها) (٨٥)

---

(٨٥) كتابها «التعريف بأمر المؤمنين في الحديث» البخاري

## الفصل الثالث

### تدوين السنة

#### ١٣ - البدء بتدوين السنة

لم تدون السنة في حياة النبي صلوات الله عليه، اللهم الا ما اشتهر وعرف من صحف ابن عمرو وابى شاه وغيرهما.. وقد أراد عمر بن الخطاب رضوان الله عليه أن يدون سنة رسول الله باعتبارها المصدر الثاني للتشريع الاسلامي، واستشار في ذلك نفرا من كبار الصحابة فوافقوه على ما أراد حرصا منهم على السنة ولحاجتهم اليها في حفظ دينهم، وقيام حياتهم على خير وجوها.. لكن عمر لم يلبث ان عدل عما أراد وارتضوا..

أخرج البيهقي في المدخل عن عروة بن الزبير أن عمر بن الخطاب أراد ان يكتب السنن، فاستشار في ذلك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاشاروا عليه أن يكتبها، فطفق عمر يستخير الله فيها شهرا ثم أصبح يوما وقد عزم الله له فقال:

«انى كنت أردت أن اكتب السنن، واني ذكرت قوما كانوا قبلكم كتبوا كتباً فأكبوها عليها، وتركوا كتاب الله - وإي - والله - لا ألبس كتاب الله بشيء ابدا» (٨٦) فلما مرجت الفتنة وظهر الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وواجه التابعون رضوان الله عليهم حركة الوضع في الحديث بما ورثوا عن صحابة رسول الله من حرص على السنة، وسهر عليها، وأفادهم في الاضطلاع بما ينبغي للسنة من بقاء ونقاء ماعرفوه ومن تبعهم بإحسان من ضوابط وموازين وحواظ للأصيل وبيان للدخيل على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتتابع روايتهم للسنة من حافظتهم حتى دونت والتقت بفضل الله وجهد الاباء أطرافها، تقول لجنة إحياء كتب السنة.

(٨٦) ص ٢٦ من «معرفة علوم الحديث» للهاكم

«وتتابع النقل من الحافظة حتى كتب الأمير المرواني العادل عمر بن عبد العزيز الى أبي بكر بن حزم: «أنظر ما كان من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأكتبه فإنني خفت دروس العلم، وذهاب — العلماء، ولا تقبل الا حديث النبي صلى الله عليه وسلم، ولتفشوا العلم ولتجلسوا حتى يعلم من لم يعلم، فان العلم لا يهلك حتى يكون سرا» (٨٧)

#### ١٤ — العلم

واذا كانت كلمة «العلم» تتسم في هذا الكلام بطابع الشمول، فأنها — كما قرر الامام الخطيب البغدادي في كتابه «تقييد العلم» ذهابا مع كثيرين من العلماء — كانت تطلق بخاصة على «الحديث النبوي» باعتباره القسم الثاني للوحي، وفي القمة من أصول فروض الكفايات من العلوم الشرعية.. وفي كلمات دالة يفتتح ابن حجر مقدمته بعد حمد الله والصلاة على مصطفاه فيقول

«أما بعد. فان أولى ما صرفت فيه نفائس الأيام، وأعلى ما خص بمزيد الاهتمام؛ الاشتغال بالعلوم الشرعية، المتلقاه عن خير البرية، ولا يرتاب — عاقل في أن مدارها على كتاب الله المقتفي، وسنة نبيه المصطفى، وأن باقي العلوم اما الآت لفهمهما، وهى الضالة المطلوبة، أو أجنبية عنهما، وهى الضارة المغلوقة» (٨٨) ويثبتون ابن الأثير الجزري لانتشار علم الحديث وجمعه وتأليفه، فيقول «حيث ثبت ما قلناه في المقدمة من كون علم الحديث من العلوم الشرعية، وأنه من أصول الفروض، وجب الاعتناء به، والاهتمام بضبطه وحفظه؛ ولهذا يشر الله سبحانه وتعالى أولئك العلماء الأفاضل، والثقات الأمثال، والأعلام المشاهير الذين حفظوا قوانينه، واحتاطوا فيه، فتناقلوه كابرا عن كابر، وأوصله كما سمعه أول الى آخر، وحببه الله اليهم لحكمة حفظ دينه، وحراسة شريعته، فازال هذا

(٨٧) «جامع بيان العلم» لابن عبد البر ج ١ ص ٧٦.

(٨٨) صحيح البخاري للمجلس الأعلى للشئون الاسلامية القاهرة ص ٨٨ والفتح ج ١ كتاب العلم «ص ١٩٤ — السلفية»

العلم من عهد الرسول صلوات الله وسلامه عليه، والاسلام غض طرى، والدين محكم الاساس قوي، اشرف العلوم، واجلها لدى الصحابة رضوان الله عليهم والتابعين بعدهم وتابعي التابعين خلفاً بعد سلف لا يشرف أحد منهم بعد حفظ كتاب الله عز وجل الا بقدر ما يحفظ منه، ولا يعظم في النفوس الا بحسب ما يسمع من الحديث عنه، فتوفرت الرغبات فيه، وانقطعت الهمم على تعلّمه...» (٨٩)

#### ١٥ — عود الى بدء تدوين الحديث

لقد كان أمر عمر بن عبد العزيز للامام الزهري أو لأبي بكر بن حزم رحمه الله — كما قال الامام البخاري — اشارة بدء لحركة برة كريمة كانت ضرورية بعد مضيّ العصر الأول، وتفرق كثيرين من أصحابه والتابعين في الأقطار ممن لم تختزم المنية وبعد ظهور الابتداع والروافض ومنكرى الأقدار كما قال ابن خيبر في المقدمة (٩٠) ونقله عنه السيوطي في مقدمته لشرح الوطأ (٩١) وأضاف الامام ابن الجزري الى ذلك «قلة الضبط» ثم أردف يقول «احتاج العلماء الى تدوين الحديث، وتقييده بالكتابة، ولعمري انها الأصل، فان الخاطر يغفل، والذهن يغيب، والذكر يهمل، والقلم يحفظ ولا ينسى، فانتهى الأمر الى زمن جماعة من الأئمة مثل عبد الملك بن جريج، ومالك بن أنس وغيرهما ممن كان في عصرهما، فدوتوا الحديث، حتى قيل:

«ان أول كتاب صُتِفَ في الاسلام كتاب ابن جريج، وقيل موطأ مالك رحمه الله تعالى» (٩٢)

وقد ذهب الى غير ذلك ابن حجر رحمه الله فقال «فأول من جمع ذلك الربيع بن صبيح، وسعيد بن أبي عروبة، وغيرهما، وكانوا يصنفون كل باب

(٨٩) هدى الساري ج ١ ص ١٥

(٩٠) جامع الأصول ج ١ ص ٣٩

(٩١) ج ١ ص ١٧ — الحلبي

(٩٢) ج ١ ص ٤٠ — الحلبي

على حده، الى أن قام كبار أهل الطبقة الثالثة فدونوا الأحكام، فصنف الامام مالك الموطأ، وتونخى به القوى من حديث أهل الحجاز، ومزجه بأقوال الصحابة وفتاوي التابعين ومن بعدهم فيه» (٩٣)

وذكر طائفة ممن كانوا في عصره وطبقته في منازل من ديار الاسلام في مكة، وبلاد الشام والكوفة والبصرة، ملمحاً الى أن كثيرين من أهل عصرهم نسجوا على منوالهم وتابعوا السير في مجالهم، وكان المجتمع الاسلامي يطل على رأس المائتين والهمم تتلاحق في ظهور نوع جديد من التدوين وهي المسانيد قال ابن حجر:

فصنف عبد الله بن موسى العباسي مسندا

وصنف مسدد بن مسرهد البصري مسندا

وصنف أسد بن موسى الأموي مسندا

وصنف نعيم بن حماد الخزازي نزيل مصر مسندا

«ثم اقتفى الائمة بعد ذلك أثرهم، فقلَّ امام من الحفاظ الا وصنف حديثه على المسانيد كالامام احمد بن حنبل، واسحق بن راهوية، وعثمان بن ابي شيبه، وغيرهم من النبلاء...»

«ومنهم من صنف على الأبواب وعلى المسانيد معا، كأبي بكر بن أبي شيبه» (٩٤) وفي الفصل الرابع من كتاب «السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي» يذكر الدكتور الشيخ السباعي رحمه الله أن الاجماع يكاد ينعقد على ان أول من فكر في جمع الحديث وتدوينه عمر بن عبد العزيز حفيد أبي حفص عمر رضوان الله عليها الذي اعتزم ذلك وعدل عنه مع توافر الدواعي لذلك احتياطا لكتاب الله وخشية أن يلبسه بسواه، فكان شرف التدوين في خامس الخلفاء الراشدين عمر بن عبد العزيز رضوان الله عليه.

(٩٣) ج ١/٤٠ - الى جامع الأصول وهما من أئمة القرن الثاني الهجري.  
(٩٤) هدى الساري ص ١٧ - ١٨



و يرى الدكتور السباعي أن ابن عبد العزيز لم يخص بالأمر قاضية وواليه على المدينة المنورة ابن حزم فحسب، فقد كتب بما كتب اليه كذلك الي ولاية الأمصار كلها وكبار علمائها واستأنس في هذا بما رواه أبو نعيم في تاريخ أصبهان..

و يقرر أن ابن حزم أنفذ ما أراد الأمير منه، فأرسل اليه ما عند عمرة بنت عبد الرحمن الأنصاريه (٩٨ هـ) والفاسم بن محمد بن أبي بكر (١٠٦ هـ) ولم يدون كل ما في المدينة من سنة وأثر، وإنما فعل ذلك الامام محمد بن مسلم بن شهاب الزهري (١٢٤ هـ) وهو خليف بما قال أئمة العلم في عصره (لولا الزهري لضاع كثير من السنن) (٩٥).

ومنهج الامام الزهري في التدوين كان أشبه شيء به منهج الامام مالك في الموطأ، كما ظهر بعد... يقول الشيخ السباعي «كان عبارة عن تدوين كل ما سمعه من أحاديث الصحابة غير مبوب على أبواب العلم، وربما كان مختلطاً بأقوال الصحابة وفتاوي التابعين، وهذا ما تقتضيه طبيعة البداءة في كل أمر جديد، وقد تستأنس لهذا بما روى عنه من أنه كان يخرج لطلابه أجزاء مكتوبة يدفعها اليهم ليرووها عنه»

قال «و بذلك كان الزهري رضى الله عنه أول من وضع حجر الأساس في تدوين السنة في كتب خاصة، بعد أن كان عدد من علماء التابعين يكرهون كتابة العلم خشية من ضعف الذاكرة بل كان الزهري نفسه في بدء شهرته العلمية يكره كتابة العلم ويمتنع عنه، حتى رغب اليه بذلك عمر بن عبد العزيز» (٩٦)

ثم تتابع التدوين بعد الزهري علي النحو الذي أسلفنا بيانه حتى جاء العصر الثالث وكان أحفل العصور وازكاها بظهور أئمة الحديث وعلية الرواة، وفي هذا الجو الفواح بأنسام الخير، عاش الامام محمد بن اسماعيل البخاري «أبو عبد

(٩٥) المصدر السابق ص ١٨

(٩٦) ص ١٠٣ وما بعدها من «السنة ومكانتها»

الله» (٢٥٦هـ) واستجلى سناه، واستنشق رياه، وتدرج في مدارجه، حتى ظهرت  
خصالة، وبهرت في تحصيل العلم خلاله، وأجدر بمن التزم جليل المناهج، وتدرج  
في مثل هاتيك المدايرج — مع توفيق الله ولّٰى من اتقاه — أن يخلق في سموات  
الكمال، ويتفوق في العلم، اكتساباً وعطاء، على الأقران والأمثال، وأن يترك  
للدين والدنيا ما تركه البخاري من كريم الآثار والأعمال.  
فمن هو ذلك الرجل يرحمه الله؟!

## الباب الثاني



## الفصل الاول

### «بين يدي الامام البخاري»

#### ١٦ — خصيصة نادرة

حسب الذين يحاولون الكتابة عن الامام البخاري، أمير المؤمنين في الحديث — كما قال غير واحد من الائمة — أن يراجعوا الفيض الغدق من تراجم من ترجموا له فأحسنوا.. وسيجدون قيد أنظارهم كلام شيوخ البخاري عنه، وهو دلالة فريدة من دلالات الجدارة بالفضل والامامة، والتفرد بخصيصه لا تتكرر كثيرا في تاريخ الفكر الانساني، علي النحو الذي ذهب به أكثر من سواه الامام عبد الله يرحمه الله.

وهذا ابو علي بن المديني شيخ البخاري يقول فيه ماروى اسحق بن احمد بن خلف.. «سمعت البخاري غير مرة يقول: ماتصاغرت نفسي إلا عند علي بن المديني، وذكر ذلك لعلي بن الديني فقال «ذروا قوله، هو ما رأي مثل نفسه» (٩٧) والامام احمد بن حنبل، وقد روى ابو عبد الله عنه بلا واسطة، وعن رجل، يقول.. «ما أخرجت خراسان مثل محمد بن اسماعيل..» (٩٨) وقال «انتهى الحفظ الي أربعة من أهل خراسان.. وذكر محمد بن اسماعيل ثانيهم (٩٩) وعن محمد بن بشار شيخ البخاري ومسلم «حفاظ الدنيا أربعة، وذكرهما مع أبي زرعة والدرامي» (١٠٠)

(٩٧) المصدر السابق ص ١٠٥

(٩٨) تهذيب الاسماء واللغات ج ١ ص ٦٩ من القسم الأول للامام يحيى النووي

(٩٩) المصدر نفسه / ٦٨

(١٠٠) نفس المصدر / ٦٨

وعنه قال «ماقدم علينا — يعنى البصرة — مثل البخاري، ولما دخلها قال ابن بشار «دخل اليوم سيد الفقهاء» وروى أنه قام اليه فأخذ بيده وعانقه، وقال: «مرحبا بمن أفتخر به منذ سنين» (١٠١)

ذلك جانب من جوانب شخصية كلفت بالكمال، وشغفت بالرجال، وكأنه كان ينظر في قول الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود «لا يزال الناس بخير ما أخذوا العلم عن أكابرهم» (١٠٢)

وعن أبي بطة قال «سمعت الحسين بن اسماعيل المحاملي يقول، سمعت محمد بن اسماعيل البخاري يقول، سمعت احمد بن حنبل يقول.

«انما الناس بشيوخهم فاذا ذهب الشيوخ تُودع من العيش» (١٠٣)

وفي طبقات الشافعية» ج ٢ ص ١٥٧ للإمام السبكي..

«قال البخاري: قال لي محمد بن سلام البيكندي، أنظر في كتبتي فما وجدت فيها من خطأ فاضرب عليه» فقال له بعض اصحابه: من هذا الفتى؟! فقال له: هذا الذي ليس مثله» وابن سلام هذا، من شيوخ البخاري كذلك..

ولقد كان عنده أحد الرواة فدخل محمد بن اسماعيل، فلما خرج قال ابن سلام — لصاحبه — (١٠٤) «كلما دخل على هذا الفتى تحيرت، والتبس علي أمر الحديث، ولا أزال خائفا ما لم يخرج» يقول ابن حجر «كان يخشى ان يخطيء بحضرته» (١٠٥)

انها مشاعر تقدير واكبار لفتى يزداد توقيير شيوخه له كلما تردد عليهم فرأوا المزيـد من مشاهد نبوغه، وشواهد تبحره في الحديث رواية ودراية، وكم فضله على أنفسهم، ولم يأنفوا من التلمذة عليه، والاعتزاز بالجلوس بين يديه ليستملوا عليه، ويضيفوا من زيادات حفظه ما سبقهم اليه، والفضل يعرفه ذووه.. وانه وإياهم كما قيل..

---

(١٠١) المصدر نفسه/ ٦٨

(١٠٢) نفس المصدر/ ٦٨ — ٦٩

(١٠٣) طبقات الحنابلة لأبي يعلى ج ١ ص ٦٩

(١٠٤) طبقات الحنابلة ج ١ ص ٢٧١

(١٠٥) طبقات الشافعية ج ٢ ص ٢٢٢

كالبحر يطره السحاب وماله فضل عليه لأنه من مائه.

قال محمد بن حاشد «كنا يوما عند اسحق ابن راهوية، وعمر بن زرارة وهو يستملي على أبي عبد الله، وأصحاب الحديث يكتبون عنه واسحق يقول:

«هو أبصر مني» وكان أبو عبد الله انذاك شابا» (١٠٦)

قال الحافظ ابن حجر: قال أبو عبد الله الفريري «رأيت عبد الله بن منير يكتب عن البخاري.. وسمعتة يقول «أنا من تلامذته»

ويعقب ابن حجر على هذا الخبر بقوله «عبد الله بن منير من شيوخ البخاري، قد حدث عنه في الجامع الصحيح، وقال «لم أر مثله» وكانت وفاته سنة مات أحمد بن حنبل» (١٠٧) ولقد تجاوز شيوخ البخاري — بله أقرانه — مدى التقدير القولي، والاملاء العملي بالكتابة عنه، الى ما وراء ذلك من اعتبار رأيه هو الرأي، وقوله هو القول، حين يشجر بينهم الخلاف في حديث أو أمر يتصل به، وهذا البخاري رحمه الله يقول:

«ذاكرني أصحاب عمرو بن علي القلاس بحديث، فقلت: لا أعرفه، فُسروا بذلك، وصاروا الى عمرو فقالوا له: ذاكرنا محمد بن اسماعيل بحديث فلم يعرفه، فقال عمرو بن علي «حديث لا يعرفه محمد بن اسماعيل ليس بحديث» (١٠٨)

و يورد ابن حجر قول بن حاشد بن اسماعيل «رأيت اسحق بن راهويه جالسا على المنبر، والبخاري جالس معه، واسحق يحدث، فربح بحديث فأنكره محمد، فرجع اسحق الى قوله وقال يامعشر أصحاب الحديث انظروا الى هذا الشاب، واكتبوه عنه، فانه لو كان في زمن الحسن بن أبي الحسن البصري لاحتاج اليه لمعرفته بالحديث وفقهه» (١٠٩) قال النووي «وروينا عن عبد الله بن محمد

(١٠٦) هدى الساري ج ٢ ص ٢٥٥

(١٠٧) هدى الساري ج ٢ / ٢٥٦

(١٠٨) هدى الساري ج ٢ / ٢٥٦

(١٠٩) هدى الساري ج ٢ / ٢٥٦

السندي — وهو من شيوخ البخاري — «محمد بن اسماعيل إمام فن لم يجعله اماماً فاتهمه» (١١٠) وماذا عسى ان يقول القائلون في رجل عرض نتاج فكره على شيوخه فحمدوها جميعا ماخالف منهم في أيسر شيء واحد من أمثال «يحيى بن معين المتوفي سنة ٢٣٣ هـ وعلي بن المديني المتوفي سنة ٢٣٥ هـ، واحد بن حنبل المتوفي سنة ٢٤١ هـ و يروي ابن حجر في مقام ثناء الناس عليه «سئل قتيبة عن طلاق السكران، فدخل محمد بن اسماعيل فقال قتيبة للسائل: هذا احمد بن حنبل، واسحق بن راهوية، وعلى بن المديني قد ساقهم الله اليك، وأشأ الى البخاري «المقدمة»

وأورد النووي في «مذكرة الحفاظ» ص ٥٥٥ ج ٢ «قول البخاري «كتبت عن أكثر من ألف رجل» ولا عجب في ذلك والنووي يقول «شدا وصنف وحدث وما في وجهه شعره» وأورد هنا من السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي للدكتور مصطفى السباعي ص ٤٨٧ قوله «ولم يُعَرَّ علماء الاسلام بكتاب — بعد القرآن — كما عنوا بصحيح البخاري، حتى بلغ الذين كتبوا حوله، ما بين شرح وإختصار وترجمة رجال، عددا كبيرا جدا، وحسبك أن تعلم أن عدد شروحه فحسب بلغت اثنين وثمانين شرحا كما ذكر ذلك صاحب كشف الظنون ومن اشهر هذه الشروح أربعة: شرح الامام بدر الدين الأركشي ٧٩٤ هـ) واسمه بدر الدين التنقيح (— ٧٩٤ هـ) وشيخ الاسلام ابن حجر (— ٨٥٣ هـ) في فتح الباري وهو أجل هذه الشروح وأوفاه وأكثرها شهرة وفائدة.

والعلامة العيني الحنفى (— ٨٥٥ هـ) في عهدة القاري .. والجلال السيوطي (— ٩١١ هـ) في التوشيح .. ١ هـ

وهذه النبذة وان كانت حول الجامع الصحيح، فهي تبرز جانبا واحدا من جوانب امام جليل، رحمه الله ونَصَّرَ وجهه في عليين»



## الفصل الثاني

### البخاري مولدا ونشأة

#### ١٧ — مولده.

ولد أبو عبد الله لأبوين فاضلين في بخاري من تركستان.. رد الله غربتها، وأنهى غيبتها لتعود مرة أخرى إحدى معاقل الاسلام، ومنازل علمائه، وكان أبوه أحد هؤلاء العلماء، له أسهام جادة ومشاركة بارّة في العلم وبخاصة خدمة حديث النبي صلى الله عليه وسلم، وهى «العلم» يحق كما سيبرز لك بعد.. وكان مولده بعد صلاة الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من شوال سنة اربع وتسعين ومائه ببخاري كما أخرج هو ذلك بخط أبيه للمستنير بن عتيق (١١١) نشأته

لبنى أبو الحسن اسماعيل بن ابراهيم نداء مولاه وخلفه وأخاه الذي يكبره — احمد بن اسماعيل، تتعاهدا أم برة صالحة يقر عينها أن ترى ابنها محمداً يتردد مع لداته على الكتاب، يتلقون ما يقدم لأمثالهم من معارف.

ولقد ظهرت مخايل نجابة محمد في طفولته، ولم يناهز العاشرة من عمره الا وهو أحد الطلاب الذين يؤثرون مجالس العلماء، وما كان أكثرهم في خراسان حينئذ، وكان أبوه قد خلف للأسرة تركة مباركة لم تشبه شبهة حرام، روى احمد ابن حفص تلميذ أبي الحسن انه دخل عليه عند موته فسمعه يقول «لا أعلم في جميع مالى درهما من شبهة»

وخلف ثروة أخرى أجل وأبقى هى حسن الأحذوثة، وجميل الذكر، ولسان الصدق في الناس، لعلمه المذكور، وأثره الحى المشكور، فطالما رحل الى

(١١١) تهذيب الاسماء واللغات جـ ١ ص ٦٩ وهدى الساري جـ ٢ / ٢٥٦

كبار الأئمة، وحدث عنهم ونال ثقة النقاد والمحدثين بكفاءة علمية وأمانة وأهلية، وروي بالسماع عن مالك بن أنس، وحامد بن زيد، وصاحب عبد الله بن المبارك، وروي عنه العراقيون، ومنهم أحمد بن حفص، وترجم له ابنه أبو عبد الله في كتابه «التاريخ الكبير» ووثقه ابن حبان، وترجم له كذلك مع رجال الطبقة الرابعة في كتابه «الثقات» (١١٢)

وإذا كان المال عصب الحياة، والغنى بمثل ماورث أبو عبد الله عن أبيه مما تطيب به الأنفس، ويستوجب ذكر الله وشكره، فلقد كانت ذكرى أبيه العلمية تحفزه الى انتهاب العلم، والجد في تحصيله واستيعابه، يشد عزمه في ذلك ويثبت خطوه على هذا الطريق امل أم يخايلها ان ترى ابنها يشب في رحاب الاسلام ويعب من علومه بأوفى جام ليكون امتدادا لشوط بعيد قطعه والده في هذا السبيل.

وانه لمناخ صالح، وتربة يزكفها غراس الفضل..

وهل ينبت الخطى الا وشيجه وتغرس الا في منابتها التحل.

كانت بدايات أبي عبد الله أنواراً كاشفة استجلى الناس فيها أكرم النهايات.. وكان محمد بن اسماعيل — وسيبقى — آية من آيات الله الكبرى في خدمة حديث نبيه صلوات الله عليه بخاصة، وخدمة دينه وعلومه بعامة.

ولقد اتصل غدوه ورواحه في بكرة العمر، وفور استكمال سنته العشر، على حلقات الشيوخ ومجالس الرواية للسماع من أمثال البيهقي محمد بن سلام، ومحمد بن يوسف البيهقي، وشيخه الداخلي وهرون بن الاشعث ونفر من مشاهير بخاري!!

وأعطاه الله من الثقة في نفسه بقدر طموحه وحرصه على أن يكون من رجال الحديث النبوي فأقبل بكل جهده وجده على سماعه وحفظه والمحاورة فيه بصورة تثير انتباه عارفه!.. قال الفريري «سمعت محمد بن أبي حاتم، وراق البخاري يقول سمعت البخاري يقول.. «أهملت حفظ الحديث وأنا في الكتاب.. قلت:

(١١٢) هدى الساري جـ ٢ ص ٢٥٠

كم أتى عليك اذ ذاك؟! قال: عشر سنين أو أقل، ثم خرجت من الكتاب فجعلت أختلف إلى الداخل وغيره، فقال يوما، فيما كان يقرأ للناس.. «سفيان عن أبي الزبير عن ابراهيم» فقلت:

«ان ابا الزبير لم يرو عن ابراهيم» فانتهرني، فقلت له: «ارجع إلي الأصل ان كان عندك»

فدخل فنظر إليه، ثم رجع فقال: كيف هو يا غلام؟!

فقلت: هو الزبير وهو ابن عدي عن ابراهيم!!

فأخذ القلم، وأصلح كتابه، وقال لي: صدقت..

قال: فقال له انسان. ابن كم حين رددت عليه؟!

فقال: ابن احدى عشرة سنة

قال: فلما طعنت في سِتِّ عشرة سنة حفظت كتب ابن المبارك ووكيع وعرق كلام هؤلاء — يعني أصحاب الرأي» (١١٣)

ان ابن الأثير الجزري ينظر — لا ريب — في مثل هذا الخبر الحافل بكثير من الكرائم وهو يقول «ورّد على المشايخ وهو ابن احدى عشرة سنة، وطلب القلم وله عشر سنين» (١١٤)

— أرايت كيف تتسع خطوات أبي عبد الله في طريق التحصيل؟!

وكيف راجع شيخه في الرواة وهو ما يزال غصّ الإهاب، قريب عهد الكتاب حديث الدخول من باب التخصص في الحديث، وإيثاره على ماسواه، عرفانا منه بحاجة ماسواه من العلوم إليه، وان كان — رحمه الله — له شأن في ذلك وهو يقول «وعرفت كلام هؤلاء — يعني أصحاب الرأي وهو مذهب أبي حنيفة رضوان الله عليه وأقوام..

---

(١١٣) كتاب «التعريف بأمر المؤمنين في الحديث» ص ١٤ وما بعدها.. وهو اجمال لما في هدى السارث ج ٢ و«تهذيب الاسماء واللغات» ج ١ ص ٦٧ وما بعدها.  
(١١٤) ج ٢ ص ٢٥٠ هدى الساري — الحلبي

## ١٨ — ظاهرة دالة

ان مراجعة أبي عبد الله لشيخه الداخلي، وانتهاز الشيخ له، وإصرار التلميذ في أدب على ما يرى انه الحق، ظاهرة مبكرة دالة على امانة علمية تلزمه، وثقة في النفس تنمو مع الأيام كما ينمو النبات، وتغتذى بحفظ دائب، وتحمل موصول وإعمال للعقل والقلب.. معا — في كل ذلك على النحو الذي دعا شيوخه الى التنويه به والاشارة بخصائصه من فجر شبابه.

وهي جوانب من طالب علم نود أن نجعلها في أنفسنا، وأن يأخذها طلبة العلم سبيلا لما نحب ومحبون أن يكونوه غدا على طريق الرجال.

## ١٩ — رحلاته

.. وخرج ابو عبد الله لأول مرة من بخاري الى مكة مع أمه وأخيه احمد الذي يكبره، فلما مجؤا رجع أخوه بأمه وبقى هو رغبة في طلب الحديث (١١٥) قال ابن حجر «فكان اول رحلته على هذا سنة عشر ومائتين، ولورحل أول ما طلب لأدرك ما أدركه أقرانه من طبقة عالية ما أدركها، وإن كان أدرك ما قاربها، كيزيد بن هرون وأبي داود الطيالسي» (١١٦) ولقد روى عن الطبقة العالية التي فاتته بواسطه، وأدركها من دونه أقرانه، لتأخر رحلته عنهم، والأمور تجري بقدر لطيف.. ولقد أحسنت لجنة احياء كتب السنة، وهي تقول..

«فلا شك أن هذه الفرصة التي فاتت على البخاري لها قيمتها في ذاتها، ولكن التلبث الذي كان سببها، هو من زاوية أخرى — في نظر اللجنة — رحمة من الله بهذا الصبي الغض العود، وبالأمة التي ادخره لها، وهيأه ليعمل أصلا من أصول دينها.. رحمة واسعة، وتدبير لطيف تأخرت بها رحلة البخاري عن أول طلب العلم الى أن يصلب عوده، ويستحكم بناؤه، ويقوى على مواجهة الاسفار ومشاقها، ويستعد لاحتمال الغربة ومتاعبها النفسية والاجتماعية والاقتصادية..

(١١٥) جامع الأصول ج ١ ص ١٨٦

(١١٦) طبقات الشافعية ج ٢ ص ٢١٦

« ولقد تصدى البخاري لتلقى الحديث عن الشيوخ، وهو في الحادية عشرة من عمره، فهل كان في استطاعته أن يواجه الرحلة والاعتراب بهذه السن الناشئة؟! »

وبما يذكره المؤرخون من صفاته الجسمية والخلقية؟ (١١٧)  
وفي طبقات الشافعية «أنه كان نحيفا ليس بالطويل» (١١٨)

ويقول الامام النووي «وروينا من أوجه عن الحسن بن الحسين البزاز — بزائين — قال «رأيت محمد بن اسماعيل البخاري نحيف الجسم، ليس بالطويل، ولا بالقصير» (١١٩) وكان يصاب في بصره منذ صباه الى حد العمى، ذكر ابن حجر في «هدى الساري» ج ٢ ص ٣٥ وغيره أنه فقد بصره في صباه فكريت لذلك أمه، ودعت الله تعالى، فرأت الخليل إبراهيم في النوم يبشرها بأن الله سمع دعاءها ورد على ابنها بصره.!!

وقال جبريل بن ميكائيل: سمعت أبا عبد الله البخاري يقول..  
«لما بلغت خراسان أصبت ببصري، فعلمني رجل أن أحلق رأسي، وأغلفه بالخطمي ففعلت فرد الله على بصري» (١٢٠)

وذكرت لجنة احياء كتب السنة ص ٢٦ — ٢٨ ظروفًا وملاحظات تؤكد أن عناية الله بالناشئ الكريم عوّقت رحلته حتى تشتد أوصاله، وبقوى على مواجهة الارتخان احتماله، مبرزة — وبحق — أن أعوام البخاري الأولى في بلده لم تذهب سدى، ولكنها أكسبته حفظًا مالا يتيسر لمثله، والنظر فيه، والقدرة على مراجعة مثل الداخل، وأهملته لما اكتشفه من لقي من الشيوخ من المواهب والاستعداد الذي كان يعوزه فيه لو ارتحل من قبل — الى — زمن طويل،

(١١٧) هدى الساري ج ٢ ص ٢٥٠ — الحلبي

(١١٨) التعريف / ٢٥

(١١٩) ج ٢ ص ٢١٦ للسيكي

(١٢٠) «تهذيب الاسماء واللغات» ج ١ ص ٦٨ وفي «مذكرة الحفاظ» للمذهب ج ٢ ص ٥٥٥ وذكر ان لونه يضرب الى السمرة.

وجهد ليس بالقليل.. وانها لعناية الله بالبخاري أن يكون أول خروجه الى حج بيت الله مع أكرم انسانين يومئذ عليه، أمه الرءوم وشقيقه الذي استأثرت به رحمة الله بعد عودته وأمه الى بخاري.

وأن يكون منزل الوحي المنهل الأول الذي يرده، و يرتوي من نبعه الزلال ماشاء الله، ثم تحول الى المدينة المنورة يشفى غليلا، و يتزود طيلة عام من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيرة علمائها وعام من مثل البخاري في دار الهجرة لا يدري الا الله حصيلته وثمرته!

ثم جاب أقطار الدنيا منهوما طالبا للحديث، راغبا في لقاء المتحدثين بين شرق وغرب، مستهينا في بلوغ ما رجا بكل صعب، ومن طلب الحسنة لم يغفلها المهرا.. كما قال أبو فراس قال ابو يعلى «رحل في طلب العلم الى أكثر محدثي الأمصار..» وذكر نفرا من العلماء. (١٢١) وقال النووي في الاشارة الى بعض شيوخه والآخذين عنه والمنتمين اليه، والمستفيدين منه «هذا الباب واسع جداً لا يمكن استقصاؤه، فأنبه على جماعة من كل اقليم، و بلد ليستدل بذلك على اتساع رحلته، وكثرة روايته وعظيم عنايته.. قال «فأما شيوخه.. فقال الحاكم ابو عبد الله في تاريخ نيسابور.. ممن سمع منه البخاري رحمه الله في مكة: أبو الوليد احمد بن محمد الأزرقى، وعبد الله بن يزيد المقرئ واسماعيل بن سالم الصائغ، وابو بكر عبد الله بن الزبير الحميدى وأقرانهم..

وبالمدينة: ابراهيم بن المنذر الخزامي، ومطرف بن عبد الله، وابراهيم بن حمزة وأبو ثابت محمد بن عبد الله، وعبد العزيز بن عبد الله الاريسى وأقرانهم. وبالشام: محمد بن يوسف الفريانى، وابو نصر اسحق بن ابراهيم وآدم بن أبي اياس، وأبو ايمان الحكم بن نافع، وحيوة بن شريح وأقرانهم — وذكر جملة ذكرناهم من شيوخ بخاري ومعهم عبد الله بن محمد المسندي

(١٢١) طبقات الشافعية ٢/٢١٦ والخفمى بكسر الخاء وفتحها الذى يغسل به الرأس .

ومرو: على بن الحسن بن شقيق، وعبدان، ومحمد بن مقاتل وأقرانهم  
وبيلخ: مكى بن ابراهيم، ويحيى بن بشر، ومحمد بن أبان، والحسن بن نجاح ويحيى  
بن موسى، وقتيبة وأقرانهم..  
قال: وقد أكثر بها..

وذكر شيوخه في هراة، «وواسط، والبصرة، والحكمة ومصر والجزيرة  
والبخاري رحمه الله يقول..

«دخلت بغداد آخر ثمان مرات، كل ذلك أجالس أحمد بن حنبل..  
فقال لى فى آخر ما ودعته» «ياأبا عبد الله، تترك العلم والناس وتصير الى  
خراسانى؟! قال البخاري «فأنا الآن أذكر قوله» (١٢٢)

.. وكأنما كان ابن حنبل رضى الله عنه ينظر الى الغيب من وراء ستر  
رقيق!! فلقد لقي البخاري بعد من حسد الشيوخ وكيدهم مالقى حين عاد الى  
وطنه وفاء منه للبلد الذي أقلته أرضه وأظلمته سماؤه، وحرصا على أن يقيىء الى  
اهله بعض ماأفاء الله عليه من علم جاوز حساب الحاسبين.

وتعرض لفتن ليس له فيها يد ولا أصبع، الا فضله وعلمه «أم يحسدون  
الناس على ماآتاهم الله من فضله» (١٢٣)

اذا محاسنى اللاتى أول بها كانت ذنوبا فقل لى كيف أعترز؟  
وكان الامام البخاري، من بين مكاييد بعض أهله، يذكر كلام الامام أحمد  
و يقول..

«وأنا الآن أذكر قوله» أي والنار مستعرة من حوله.

وكما أخرج الطغاة الانبياء خاتمهم محمد صلوات الله عليهم من بلادهم،  
واجتلى الرسول قول ورقة بن نوفل له «ليتنى أكون حيا اذ يخرجك قومك» وقوله  
صلوات الله عليه «أوخرجي هم»؟!

---

(١٢٢) طبقات الحنابلة ١ - ٢٧١  
(١٢٣) طبقات الحنابلة ٢٧٧ ج - ١

فلقد أخرج البخاري برغمه من وطنه مشخن القلب بجراح دونها جراح

الأجسام

وظلم ذوى القربى أشد مضاحطة على القلب من وقع الحسام المهند..

وكأنما ضنوا عليه بأن يموت في بخاري بلد أبيه وأمه وقومه فلقى ربه بعد

قليل من خروجه في «خرتنك» على فرسخين من سمرقند.. ودفن يوم الفطر بعد

رمضان بعد الظهر سنة خمسين ومائتين كما يقول النووي (١٢٤)

#### ١٩ — نفوس كبيرة

ولم تخرج هذه العداوات الباغية إمامنا عن وقاره وحلمه واصطباره، فله

أسوة حسنة برسول الله والمرسلين من قبله، وله بابن حنبل مثل ذلك، وكان كما

حدث عن نفسه فيما روى الامام النووي «أما المادح والذام عندي سواء» وقال

«أرجو أن القى الله عز وجل ولا يطالبني أني اغتبت احدا» (٩٩٤) وروى ابن

حجر عن وراقه انه استعفى أبا معشر حين ابتسم وهو يراه يحدث ويحرك (ويحرك)

رأسه، وكان أبو معشر ضريرا، فقال: أنت في حل يا أبا عبد الله يرحمك الله وقال

وراقه «سمعتة يقول: لا يكون لى خصيم في الآخرة..

فقلت: ان الناس ينقمون عليك التاريخ، يقولون فيه اغتيال الناس!!

فقال: إنما روينا ذلك رواية ولم نقله من عند أنفسنا» وقد قال النبي صلى الله

عليه وسلم: «بئس اخو العشيرة»

وروى قوله «ما اغتبت أحدا قط وقد علمت ان الغيبة حرام»

قال ابن حجر «وللبخاري تَوَقُّ زائد في كلامه على الرجال، وَتَحَرُّ بليغ يظهر لمن

تأمل كلامه في الجرح والتعديل، فأن أكثر ما يقول «سكتوا عنه»، «فيه نظر»،

تركوه، ونحو هذا، وقل أن يقول كذاب أو وضاع، وانما يقول: كذبه فلان، رماه

فلان — يعنى بالكذب —» (١٢٦)

(١٢٤) النساء/ ٥٤

(١٢٥) تهذيب الأسماء واللغات ١ — ٦٨

(١٢٦) المصدر السابق صحيفة وجزء



تلك نبذة من أخلاق البخاري مع الناس، لم نلحق بها كرمه ومياسرته مع من عامله بال، وانه لم يبيع ولم يبتع بنفسه حتى جبره وكواغده كيلا يظلم، وأنه كان ينفق على طلابه أيام يسره، ولو شاء لتراخت هذه الأيام، لكنه كان يرى ويقول وما عند الله خير وأبقى (١٢٧)

وصلته بربه وخشيته من مولاه، وتحريه لموجبات توفيقه ورضاه، قد استفاضت بها تراجم كثيرين ممن ترجوا له، وبخاصة من لازموه رحمه الله ورحمهم ورحمنا بترسم خطاهم واقتفاء آثارهم.

ولقد بلغ من نفسه مبلغا قول الله تعالى «واتقوا الله وعلّمكم الله» البقرة/ ٢٨٢ فكان يستعين بذكر الله وطاعته على ما هو بسبيله من خدمة ميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتوريث الدنيا من ذلك آثاره الجليلة، فلا يكتب حديثا في كتابه «الجامع الصحيح» الا بعد أن يغتسل و يصلي ركعتين» (١٢٨) قال النووي «وروي عن عبد القدوس عن همام قال، سمعت عدة من المشايخ يقولون: حول البخاري تراجم جامع بين قبر النبي صلى الله عليه وسلم ومنبره، وكان يصلي لكل ترجمة ركعتين» (١٢٩)

وأخرج الحاكم من شعره

اغتنم في الفراغ فضل ركوع  
فعمسى ان يكون موتك بغيته  
كم صحيح رأيت من غير سقم  
ذهبت نفسه الصحيحة فلقته  
وكان البخاري انسانا وافر الانسانية، يأسى لفقد أصحابه، ولما نعوأ اليه الحافظ الدارمي قال

ان عشت تفجع بالأحبة كلهم  
وبقاء نفسك لا أبا لك .. أفجع (١٣٠)  
ولم نذكر غير ذلك عنه قُلَّ من فضل الإمام، لكننا نسأل. لم كاد له من

(١٢٧) هدى الساري ج ٢ ص ٢٥٣

(١٢٨) الشوري/ ٣٩

(١٢٩) تهذيب الأساء واللغات ١ - ٧٤

(١٣٠) تهذيب الأساء واللغات ١ - ٧٤

كأد؟ وتأمّر عليه من تأمر؟! إلا أن يكون ذلك صنيع أقوام اقتحموا على الله حماه،  
ونقموا منه سبحانه أن حرمهم وأعطاه «أهم يقسمون رحمة ربك» (١٣١)

#### ٢٠ - أقرانه بعد شيوخه.

والامام البخاري صاحب فضل موصول على كل منتفع بحديث رسول  
الله وسنته منذ كان وإلى آخر الزمان، وإذا كنا قد ذكرنا نفرا ممن أخذوا عنه  
وتتلمذوا له، فكم يكون مفيدا ان يراجع طلاب المزيّد ص ٢٥٧ وما بعدها من  
(هدى الساري) للامام ابن حجر طبعة الحلبي ليشتقوا أسماهم و يتحفوا  
أرواحهم، و يؤنسوا بحديث أقران أبي عبد الله قلوبهم.. ولعلك تلاحظ دلالة ما كتبه  
اليه أهل بغداد، ومنه..

المسلمون بخير ما بقيت لهم وليس بعدك خير حين تفتقد!! (١٣٢)  
والخير يبقى والبر لا يبلى وإن طال الزمان، وما تعاقب الملوان .. وكان الأملي  
— وهو من شيوخ أبي عبد الله — يقول:

«لوددت اني كنت شعرة في صدر محمد بن اسماعيل»

وقال الحافظ البغدادي موسى بن هرون الجمال «عندي لو أن اهل الاسلام  
اجتمعوا على أن يصيبوا آخر مثل محمد بن اسماعيل، لما قدروا عليه».. وقال عبد  
الله بن محمد بن سعيد بن جعفر، سمعت العلماء بمصر يقولون..  
«ما في الدنيا مثل محمد بن اسماعيل في المعرفة والصلاح»  
ثم قال عبد الله «وانا أقول قوليهم»

واجتماع المعرفة والصلاح هما من الكمال البشري الذي يندر كثيرا، فكم  
ترى في واقع الحياة انفكاكا وتباعدا بين هاتين الفضيلتين

---

(١٣١) هدى الساري ٢ - ٢٥٤  
(١٣٢) الزخرف/ ٣٥

وقال الحاكم أبو عبد الله في الكُتَي « كان أحد الأئمة في معرفة الحديث وجمعه، ولو قلت اني لم أرتصيف أحد يشبه تصنيفه في الحسن والمبالغة لفعلت » وليته قال «لأصبحت»

قال ابن حجر «ولو فتحت باب ثناء الأئمة عليه، ممن تأخر عن عصره لنفد القرطاس، ونفدت الأنفاس، فذلك بحر لا ساحل له»

## ٢١ — المستقدمون والمستأخرون..

وبعد ما أورد ابن حجر من كلام المتأخرين قال:

«وبعد ما تقدم من ثناء مشايخه عليه لا يحتاج الى حكاية من تأخر لأن أولئك انما اثنوا بما شاهدوا، ووصفوا بما علموا، بخلاف من بعدهم، فان ثناءهم ووصفهم مبني على الاعتماد على ما نقل اليهم وبين المقامين فرق ظاهر، وليس العيان كالخبر»

.. ان زمرة من اخذوا عنه جلسوا اليه، اضافة جديدة شاهدة بوقرة علمه وسعة حفظه، وعمق فهمه ودرايته واحاطته، وأمانته وحرصه على الاقناع بما اولاه وآثره به الله، ومسألة البغداديين، ومسألة السمرقنديين، وهما عجبتان اخرجهما ابن حجر في جـ ٢ ص ٢٥٨ — ٢٥٩ من (هدى الساري)، كما أورد خبر المروزي عن دخول ابي عبد الله البصرة واجتماع أهلها به — كرايه — ثاني يوم، وتحديثهم بعجبية أحاديث رواها أهل بلدهم!!

.. ذلك كله مما يعجز المرء أن يصفه، الا على أنه رحمة الله يُختص بها من يشاء، وفضله وليس لفضله تبارك وتعالى نهاية.

في بغداد وسمرقند والبصرة وفي كل بلد جاءه كان لأبي عبد الله من المواقف والأحوال ما يندر كثيرا أن يكون في وسع الرجال، ولو أمليت للقلم في التسطير لصال وجال دون أن يُوقى الرجل حقه في المقال، وفي «الأمهات» من ذلك غنى ومقنع، وليكن مفترق الطريق — برغمي — في هذا المجال، ذلك المثال.

قال محمد بن ابي حاتم الوراق.

ان أبو عبد الله اذا كنت معه في سفر، يجعنا واحد إلا في القبط  
فكنت أراه في الليلة الواحدة (خمس عشرة) الى عشرين مرة، في  
كل ذلك يأخذ القداحة، فيورى نارا بيده، ويسرج ويخرج أحاديث، فيعلم عليها،  
ثم يضع رأسه.. فقلت له

«انك تحمل على نفسك كل هذا ولا توقظني!!»

قال «أنت شاب، فلا أحب أن أفسد عليك نومك» (١٣٣) انه الامام أبو عبد الله  
تتباع اطراف همته وانسانيته الى هذا المدى.. ويا لكرم الله «والله يختص برحمته  
من يشاء والله ذو الفضل العظيم» (١٣٤)

---

(١٣٣) هدى الساري طبعة السلفية ص ٤٨٥ وج ٢ طبعة الحلبي  
(١٣٤) هدى الساري ج ٢ / ٢٥٣ - ٢٥٤ الحلبي

## الفصل الثالث

### صحيح الامام البخاري

#### ٢٢ - أحصوا ما عرفوا ..

أحصت الامهات كتب الامام البخاري، وما بقى منها بأيدي الناس، وأكبر الظن أنهم أحصوا ما بلغهم، وكان ابن حجر في «هدى الساري» (١٣٥) قد أحصى من ذلك واحدا وعشرين كتابا مقرونة في اكثرها بأسماء من عرفوا بروايتها أو الذين انتفعوا بالنقل عنها وذاكرا ما عنده منها وما كان له من حظ روايتها بالسمع أو الاجازة ..

وابتداً بذكر «الجامع الصحيح» وانتهى منها بكتاب «الفوائد» الذي ذكره الترمذي في اثناء كتابه «المناقب» من جامعه .. (١٣٦)

وقال ابن حجر عن العشر الأولى منها، وهي

«الجامع الصحيح، والأدب المفرد، ورفع اليدين في الصلاة، والقراءة خلف الامام، وبر الوالدين، والتاريخ الكبير، والتاريخ الأوسط، والتاريخ الصغير، وخلق أفعال العباد، وكتاب الضعفاء .. قال «وهذه التصانيف موجودة مروية لنا بالسمع أو الاجازة».

.. وتضيف لجنة إحياء كتب السنة في المجلس الأعلى للشئون الاسلامية - مصر - إلى ما ذكره ابن حجر، ثلاثة كتب أخرى بمطابقتها وطبعاتها، نقلا عن «تاريخ الأدب العربي» لبروكليمان ١٧٣/٣ ..

(١٣٥) البقرة/ ١٠٥

(١٣٦) هدى الساري ج ٢ / ٢٦٤ - ٢٦٥

واستبعدت اللجنة أن يكون ذلك الذي ذكروه هو كل تصانيف الامام البخاري، ونحن مع اللجنة في ذلك، فإنه وإن كان بعض ذلك حسب البخاري شرفاً، فما يبعد أن يكون وراء هذه الآثار غيرها لم تتح معرفته للمتمرس المتخصص المستوعب لدراسات البخاري وأحواله وهو ابن حجر رحمه الله (١٣٧).

والامام ابن حجر بابتدائه بالجامع الصحيح، منتبها الى العاشر من تصانيف البخاري يلحظ أهمية «الصحيح» ثم ما تلاه على الترتيب، وإن لم يكن «الصحيح» أول مصنفات الامام كما ورد ذلك نصاً في كلامه حيناً طعن في الثامنة عشرة من عمره، (١٣٨) ولا بأس بأن نستكمل نصاً بدأناه (لنستجيش في الأذهان الإعداد الفريد الذي سبق تصنيف الجامع الصحيح قال الفربري) سمعت محمد بن أبي حاتم وراق البخاري يقول، سمعت البخاري يقول:

«ألهمت حفظ الحديث، وأنا في الكتاب، قلت. وكم أتى عليك إذذاك قال: عشر سنين أو أقل، «ثم خرجت من الكتاب، فجعلت اختلف الى الداخل وغيره، فقال يوماً، فيما كان يقرأ للناس، «سفيان عن أبي الزبير عن ابراهيم» فقلت: «ان أبا الزبير لم يروعن ابراهيم فأنتهرني، فقلت له: ارجع الى الأصل ان كان عندك، ندخل فننظر فيه، ثم رجع فقال: «كيف هو يا غلام؟» فقلت: هو الزبير وهو ابن عدى عن ابراهيم.

فأخذ القلم وأصلح كتابه، وقال لى: صدقت! قال فقال لى انسان: إبنُ كم حين رددت عليه؟! فقال: ابن احدى عشرة سنة!! قال فلما طعنْتُ في ست عشرة سنة حفظت كتب ابن المبارك ووكيع، وعرفت كلام هؤلاء — يعني أصحاب الرأي..

(١٣٧) المصدر السابق/ ٢٦٤  
(١٣٨) التعريف بأمر المؤمنين في الحديث ص ٧٥

قال: ثم خرجت مع أُمِّي وأُخِي إلى الحج..  
حتى قال «فلما طعنْتُ في ثمانِي عشرة سنة، صنفت كتاب «قضايا الصحابة  
والتابعين» ثم صنفت «التاريخ» في المدينة عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم  
وكنْتُ اكتبه في الليالي المقمرة، وقلَّ اسم في التاريخ إلاَّ أوله عندي قصة، إلا  
أنِّي كرهْتُ أن يطول الكتاب» (١٣٩)  
وهو كتاب يشهدُ بجلالته أن حمله اسحق بن راهوية إلى الأمير عبد الله  
بن طاهر وقال له «ألا أريك سحرا»  
وأورد السبكي كلمة الامام أبي أحمد الحاكم التي ختمها بقوله، فالله  
يرحمه فإنه الذي أصل الأصول  
ولم يبد فيما أعدنا من رواية القُربى كلام عن «الصحيح» وابتداء عمل  
البخاري فيه صراحة، وتكاد أول عبارة تطلعا بذلك هي  
«صنفتُ كتابي «الجامع» في المسجد الحرام، وما ادخلت فيه حديثا  
حتى استخرت الله تعالى، وصليت ركعتين، وتيقنت صحته»  
و يسارع ابن حجر رحمه الله في دفع اشكالا قد يرد على هذا النص بعد أن  
أشار إلى نصوص أخرى مفادها «أنه كان يصنفه في البلاد» فيقول  
«بين هذا وبين ما تقدم أنه كان يصنفه في البلاد، أنه ابتدأ تصنيفه  
وترتيبه وأبوابه في المسجد الحرام، ثم كان يخرج الأحاديث بعد ذلك في بلده  
وغيرها، ويدل عليه قوله «أنه اقام فيه — أي في عمل الصحيح ست عشرة  
سنة» (١٤٠)  
و يقول أبو يعلى «قال عبد الرحمن بن رساس البخاري، سمعت محمد بن  
اسماعيل البخاري يقول» صنفت كتابي «الصحيح» لست عشرة سنة، خرجته  
من ستمائة ألف حديث، وجعلته حجة فيما بيني وبين الله تعالى» (١٤١)

(١٣٩) ص ١٩ — ٢٠ من البحث  
(١٤٠) هدى الساري ٢/ ٢٥ — الحلبي  
(١٤١) هدى الساري ج ٢/ ٢

و يقرر ابن حجر أن أبا عبد الله لم يجاور في مكة هذه المدة كلها ص  
٢٦٢ جـ ٢ المقدمة.. ومقتضى ذلك أن يكون قد بدأ العمل فيه بعد الرحلة  
الميمونة التي بدأ بها رحلاته في بلاد الله، حيث بدأ بمكة حاجاً مع أمه وأخيه!!  
وما أعظم البذل، وأكرم التهيؤ والاحتشاد للكتاب الذي سار في الناس  
مسير الشمس.. وكم تغيب الشمس، وتستوحش لها النفس، ولكن الحياة تتتابع  
باسم الله خطواتها في نهار و يقوم في الليل هنا وهناك غير الشمس من الكواكب  
والأفلاك ما يكفي ويشفي، وحاجة الناس إلى صحيح البخاري لا تنقضي،  
فكان حديث رسول الله بعد كتاب الله تعالى مجلوة ظاهرة.. وابن حجر يروي عن  
وراق الامام البخاري قول الامام:

«لأعلم شيئاً يُحتاج إليه الا وهو في الكتاب والسنة» (١٣٤) فلا  
عجب أن يقيض الله للسنة رجالاً يحسنون فيها أعمالاً، وان تفاوتت في الحسن  
منازلها، حتى كان صحيح الامام البخاري الذي يعتبر صحيح الامام مسلم  
أصح كتابين بعد كتاب الله تعالى، على ما بينها من تفاضل. و يقيني أن أبا عبد  
الله وهو يسأل الله أن ينفع المسلمين بكتابه الصحيح، لم يشب عزمته مثقال ذرة  
من طلب الشهرة، ولا إبتغاء الجاه، ولا اكتساب شيء من أعراض الحياة، وكان  
اخلاصه وصدقه وأمانته العلمية مبعث ما أصاب من بقاء سيرة وعطاء إلى أن يرث  
الله الأرض ومن عليها.

يُخفى صنائعه، والله يظهرها ان الجميل اذا أخفيتها ظهرا  
وهل يؤنس غير التجرد في أتم صوره من الامام الذي أراد أن يكون كتابه  
«الصحيح» حجة فيما بينه وبين ربه عز وجل؟!!

ومن أجل هذا لم يضع فيه إلا صحيحاً، بعد أن يستخير الله، ثم يتوضأ  
و يصلي ركعتين كما مرّ ذلك من قوله..

وكان خير المسلمين قبالة نظره، وكده في كل ما صنف وألف، وعلم،  
روى الحاكم ابو عبد الله بسنده، سمعت البخاري يقول.



«أقمت بالبصرة خمس سنين مع كتبي، أصنف وأحج كل سنة. وأرجع من مكة الى البصرة، وأنا أرجو أن يبارك الله للمسلمين في هذه المصنفات» (١٤٢)

ولقد بارك الله للمسلمين في آثار أبي عبد الله، وصحيحه بخاصة يقتدر في الأذهان بكتاب الله تعالى، وهو أحق بذلك وأهله باعتباره الكتاب الذي لم يسبق ولم يلحق — وهيات — فيما استهدفه الامام من خدمة السنة المطهرة. بأستعداد وأمداد لم يتحهما الله لغير أبي عبد الله في الكتاب أهم حفظ الحديث وهو في العاشرة أو دونها، ثم هو يختلف الى مجالس العلماء، ويراجع الداخلي، وهو في الحادية عشرة من عمره» ومعاذ الله أن تكون مراجعته من فراغ، أو عن رعونه وهوى، فلقد صحح الداخلي أصوله على حفظ الصبي المبارك، وكم يصرف موقف كهذا كثيرين عن الجد في الطلب، والامعان في التحصيل الى الرضى عن النفس، والفتاة بما أدركت، والاقبال على الدنيا وحطامها، وانتهاز كل فرصة للمباهاة والمكاثرة والمخافة، واثارة الجدل فيما لا ضرورة له، ولا حاجة اليه الا ابتغاء باطل و «خالف تُعرف» كما يفعل الحمقى لغير الحق. . و يرتحل أبو عبد الله — كما بسطنا القول في ذلك — انتجاعا لمزيد من «العلم» من الحديث ورجاله، وتطيب نفسه بكل بذل، وتغمر السكينة فؤاده، وهو يبلغ في ذلك مراده، فلا يتوقف، ولكنه يتوسل بعون الله الى بلوغ ما وراء الذي بلغ، ينهزه على ذلك رؤيا رآها وكلام سمعه من أحد شيوخه.

يقول ابن حجر «فحرك همته لجمع الحديث الصحيح الذي لا يرتاب فيه أمين، وقوى عزمه على ذلك ماسمعه من استاذه أمير المؤمنين في الحديث والفقه اسحق بن ابراهيم الحنظلي المعروف بابن راهويه، وذلك فيما أخبرنا أبو عباس أحمد بن عمر اللؤلؤي بسنده..

قال ابو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري «كنا عند اسحق بن راهويه فقال: «لو جمعتم كتابا مختصرا لصحيح سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم»؟!«

قال: فوقع ذلك في قلبي، فأخذت في جمع الجامع الصحيح» (١٤٣)

وروى ابن حجر بسنده الثابت عن محمد بن سليمان بن فارس قال سمعت البخاري يقول.. «رأيت النبي صلى الله عليه وسلم، وكأني واقف بين يديه، وبيدي مروحة أذب بها عنه، فسألت بعض المعبرين. فقال لي: أنت تذب عنه الكذب!! فهو الذي حملني على اخراج الجامع الصحيح» (١٤٤)

والرؤيا معبرة حقاً، وهي خليقة، بأن تحمل البخاري على استثمار حصيلته العلمية، واستثارة طاقته النفسية ومواهبه التي قلّ ان تجتمع في العشرات من الخاصة!.. ولا ريب — كما قال العلماء — في أن كثيرين سمعوا مع البخاري ما قال أستاذه ابن راهويه، فما انبعث الى تحقيق طلبه، والوفاء برغبته؛ الا الرجل الذي انتدبته عناية الله لخدمة حديث رسول الله، على النحو الذي لم يدع زيادة لمستزيد، ولم يقصر عن الوفاء لكل مستفيد وقديماً قيل «قطعت جهيزة قول كل خطيب»!!

ورجاءة الشيخ ابن راهويه لم تكن كلاماً أرسل ارسالا، ولا حديثاً اتجه الى غائب، لكنه اتجه به لمن يعرف، الى ذلك الذي يجتمع في خاطره كل ما قاله هو وتحدث به شيوخ أبي عبد الله، عنه ولو كانت الكلمات أصابع لأشارت الى البخاري دون سواه «والمؤمن ينظر بنور الله»

### ٢٣ — تعدد أسماء الجامع

وكم صدق الذين قالوا «إن تعدد الأسماء يدل على شرف المسمى» وهذا القرآن الكريم يحمل في أطوائه أسماء له وصفات، أحصى الامام الزركشي

(١٤٣) هدى الساري جـ / ٢٦٢  
(١٤٤) طبقات الحنابلة جـ ١ ص ٢٧٦

منها خمسة وخمسين اسماً لكلام الله، وقرر أن أشهرها القرآن والفرقان والكتاب» (١٤٥) والسنة المطهرة يجامعها في اخص معانيها الحديث النبوي، وترادفها الاخبار والآثار عند العلماء المعترين ونرى الامام البخاري يسمي كتابه «الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته وأيامه» (١٤٦) وأورد النوري مثل هذه التسمية تماماً (١٤٧)

وخالف ابن حجر فقال من رواية البخاري «الجامع الصحيح المسند من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته وأيامه» وأنت ترى كيف سقطت كلمة «المختصر»، وترى العدول في رواية ابن حجر عن لفظ «أمور رسول الله» الى «أحاديث رسول الله»

وهولايكاد ينتهض خلافاً في عنوان، إن طال، وتعددت فيه الأسماء على خلاف المأنوس من أسماء الكتب، الا أنه أفاد فائدة جلية، هي ابراز كل ما امتاز به «الجامع الصحيح» على ما سبقه في موضوعه، ولحق به في مجال السنة النبوية.. وكل اسم من هذه الأسماء المجموعة في التعريف بالكتاب ورد مفرداً على لسان البخاري في مواقف ألمحنا اليها من قبل، كتسميته «الجامع الصحيح» في خبر اسحق بن راهويه وتسميته «الجامع» في قوله «ما أدخلت في كتابي «الجامع» الا ما صح...» وتسميته «الصحيح» في قوله «ما كتبت في كتابي «الصحيح» حديثاً الا اغتسلت...» وربما اقتصر على اسم «الكتاب» كما ورد في ص ١٨ ج ١ من «هدى الساري».. وربما اختصر كل ذلك، واقتصر على اسم «البخاري» كما في قوله «هؤلاء لم يفهموا كيف صنفت «البخاري» ص ٢٦ ج ٢ «هدى الساري»

---

(١٤٥) هدى الساري ج ٢ / ٢٢٦

(١٤٦) هدى الساري ج ٢ / ٢٦٠

(١٤٧) هدى الساري ج ١ ص ١٨

والإشارة ضرورية بما ذكرت في هذا السياق لجنة إحياء كتب السنة،  
فهو تفصيل لهذا الأجمال جليل (١٤٨)

#### ٢٤ - جوانب فذة من الكتاب

وقد يكون من المفيد أن أعرض ما نظرت اللجنة اليه، وعولت فيما أوردت عليه، في الفصل الثاني ص ١٩ جـ ١ من «هدى الساري» «من كلام ابن حجر رضى الله عنه.

فلقد بين موضوع الكتاب، وأنه هو الأحاديث الصحيحة فقال «انه التزم فيه الصحة، وأنه لا يورد فيه الا حديثا صحيحا، هذا أصل موضوعه» - وأورد ما ذكره آنفا من تعرف البخاري وتسميته لكتابه (١٤٩)

ثم قال «ثم رأى أن لا يخلية من القواعد الفقهية، والنكت الحكيمة، فاستخرج بفهمه من المتون معانى كثيرة، فرقها في أبواب الكتاب بحسب تناسبها، واعتنى فيه بآيات الأحكام فأنتزع منها الدلالات البديعة، وسلك في الإشارة الى تفسيرها السبل الوسيعة..» وهذا قول جليل وجيل في تفسير ما أراد البخاري من كلمة «الجامع» في تسمية كتابه.. وقد نظر ابن حجر في قوله ذلك الى كلام أورده للإمام النووي رحمه الله وهو.. «ليس مقصود البخاري الاقتصار على الأحاديث فقط، بل مراده الاستنباط منها، والاستدلال لأبواب أرادها» (١٥٠)

وذلك يطالع الناظر لأول وهلة في «الصحيح» وبغير خفاء، لكن الذي غنى به ابن حجر ومن تقدمه، ومن ققى على آثاره من العلماء أمور في القمة منها..

شرط الصحة عند الامام، وموافقة التراجم لأصول المتون المسندة، والحاجة أحيانا الى إعمال الفكر، والتماس الصلة بين هذين، ومعنى إيراد الحديث لما بدون سند، أو إirاده معلقا.

(١٤٨) المصدر نفسه جزء وصحيفة.

(١٤٩) الامام الزركشى بدر الدين بن محمد بن عبد الله الزركشى الشافعي من علماء القرن الثامن الهجري،

وكتابه «البرهان في علوم القرآن»

(١٥٠) مقدمة أبي عمرو عثمان ابن الصلاح

و يذكر ابن حجر إضافة — لما تقدم من كلام النووي — كاشفة للمراد فيقول:

«وانما يفعل هذا — أي البخاري — لانه أراد الاحتجاج للمسالة التي ترجم لها، وأشار للحديث لكونه معلوما، وقد يكون مما تقدم، وربما تقدم قريبا، ويقع في كثير من أبوابه الأحاديث الكثيرة، وفي بعضها ما فيه حديث واحد، وفي بعضها ما فيه آية من كتاب الله، وبعضها لاشيء فيه ألبتة» (١٥١)

## ٢٥ — الجمع بين الترجمة وما يليها من أحاديث

ولقد كان الجمع بين الترجمة والأحاديث التي تليها، شغل العلماء، وهو حاجة طلاب العلم من بعدهم، وضالة من يمشى على طريقهم، وعلى طريق من يسير الراشد، اذا لم يترسم خطى علماء الحديث؟! وقد ساق ابن حجر كلاما للشيخ النووي في ذلك استأنس فيه بقول الامام الباجي — أبي الوليد — في كتابه «في أسماء رجال البخاري» عن الذين اتحد مأخذهم وانتساخهم للصحيح، ولكن نسخهم اختلفت تقدما وتأخيرا.. فقال الباجي.. «وانما ذلك بحسب ما قدر كل واحد منهم، فيما كان في طرة أو رقعة مضافة أنه من موضع ما، فأضافه اليه، ويبين ذلك انك تجد ترجمتين وأكثر من ذلك متصلة ليس بينها أحاديث»

قال الباجي «وانما أوردت هذا لما عني به أهل بلدنا من طلب معنى يجمع بين الترجمة والحديث الذي يليها، وتكلفهم من ذلك من تعسف التأويل مالا يسوغ» «اهـ» ويجيب ابن حجر على كل سؤال، ويدفع في هذا السياق كل اشكال، ويضع المنهاج، وينهي كل لجاج، فيقول..

«وهذه قاعدة حسنة يفزع اليها حيث يتعسروا الجمع بين الترجمة والحديث وهي مواضع قليلة جدا..»

قال «ثم ظهر لى أن البخاري فيما يورده من تراجم الأبواب على أطوار»  
«إن وجد حديثا يناسب ذلك الباب ولو على وجه خفى، ووافق شرطه؛ أورده فيه بالصيغة التى جعلها مصطلحه لموضوع كتابه وهى «حَدَّثَنَا» وما يقوم مقامها، والعنونة بشرطها عنده..

وان لم يجد الا حديثا لا يوافق شرطه مع صلاحيته للحجة كتبه في الباب مغايراً للصيغة التى يسوق بها ما هو من شرطه، ومن ثمة أورد التعاليق..  
وان لم يجد فيه حديثا صحيحا لا على شرطه ولا على شرط غيره، وكان مما يستأنس به و يقدمه قوم على القياس، استعمل لفظ ذلك الحديث أو معناه ترجمة باب، ثم أورد في ذلك إما آية من كتاب الله تشهد له، أو حديثا يؤيد عموم ما دل عليه ذلك الخبر» (١٥٢) وأشير في ايجاز يواتي تفصيله — ان شاء الله — الى اعتبار ابن حجر، تراجم الامام البخاري جانباً من جوانب كماله، وشاهداً من شواهد فضله..

وهى لمحة بصيرة من ابن حجر من الخير ان تلقى القارئ على مزيد بسط الامام لها لأهميتها بعد قليل..

## ٢٦ — شرط البخاري في صحيحه..

ان بيان شرط البخاري في صحيحه ضروري لاستجلاء المستوى الذي ارتفع به على ماسبقه من كتب السنة.. وما عاصره أو تأخر منها!!  
قال ابن حجر بسنده عن أبي المعمر المبارك بن أحمد عنه..

«شرط البخاري ان يخرج الحديث المتفق على ثقة نقلته الى الصحابي المشهور من غير اختلاف بين الثقات الأثبات، و يكون اسناده متصل غير مقطوع، وان كان للصحابي راو يان فصاعداً فحسن، وان لم يكن الا راو واحد، وصح الطريق اليه، كفى» (١٥٣).. ان مدار الصحة عنده — كما يبدو — على اتصال السند، اتصال السند والرواة الأثبات وانتفاء العلة ولا عبرة عنده باتصال السند

(١٥٢) التعريف بأمر المؤمنين في الحديث ص ١٠٦ — ١١٦  
(١٥٣) هدى الساري ج ١ ص ١٩

الا اذا ثبت اجتماع المعنعن، ومن عنعن عنه، وهو اللُّثْمُ ولومرة، وذلك أمر انفرد  
بِهِ رحمه الله على كل أصحاب الصحيح حتى الامام مسلم الذي كان يكتفي  
أبالمعاصرة لإعطاء الاسناد المعنعن حكم الاتصال كما قال ابن حجر رحمه  
الله.. (١٥٤)

«وقد أظهر البخاري هذا المذهب في تاريخه وجرى عليه في صحيحه،  
وأكثر منه، حتى أنه ربما خرج الحديث الذي لانعلق له بالباب جملة الالبين سماع  
راو عن شيخه، لكونه قد أخرج له قبل ذلك شيئاً معنعناً»  
٢٧ — رواية البخاري..

ان رواه البخاري هم في الطبقة العليا التي جمعت بين الحفظ والاتقان،  
وهي إحدى خمس طبقات يؤلفون أصحاب الزهري، وكل طبقة منها تفضل  
ماوراءها، وتمتاز بميزة معتبرة على التي تليها.. وهذا ابوبكر الحازمي يقول  
«فن كان في الطبقة الأولى فهو الغاية في الصحة، وهو مقصد  
البخاري.. والطبقة الثانية شاركت الأولى في التثبت، الا ان الأولى جمعت بين  
الحفظ والاتقان، وبين طول الملازمة للزهري، حتى كان فيهم من يزايله في  
السفر، ويلازمه في الحضر، والطبقة الثانية لم تلازم الزهري الامدة يسيرة، فلم  
تمارس حديثه، فكانوا في الاتقان دون الأولى، وهو شرط مسلم (١٥٥)  
وعاد الحازمي بعد أن مثل للطبقات الخمس يقول

«فأما الطبقة الأولى فهم شرط البخاري، وقد يخرج من حديث اهل  
الطبقة الثانية مايعتمده من غير استيعاب، وأما مسلم فيخرج أحاديث الطبقتين  
على سبيل الاستيعاب ويخرج أحاديث أهل الطبقة الثالثة على نحو ما صنع  
البخاري في الثانية — أي تعليقا — أما الرابعة والخامسة فلا يخرجان عليها  
أبدا» (١٥٦)

(١٥٤) المصدر السابق جزء وصحيفة

(١٥٥) راجع في ذلك وما يليه ص ١٩ ج ١ «هدى الساري»

(١٥٦) هدى الساري ج ١ / ١٩ — ٢٠

و يعقب ابن حجر على ذلك قائلا «وأكثر ما يخرج البخاري حديث الطبقة الثانية تعليقا وربما أخرج اليسير من حديث الطبقة الثالثة أيضا ص/٢١ والمراد بالتعليق «الحديث الذي حذف من مبدأ اسناده واحد فأكثر، ولو إلى آخر الاسناد» كما قال ابن حجر/٢٧

#### ٢٨ - اشتمل الصحيح على ما غاير شرط البخاري؟

لقد التزم البخاري دواماً الصحة التي وصف بها كتابه، وصرح بها عدة مرات بمثل قوله «ما ادخلت في كتابي «الجامع» الا ما صح...» ما يضاف من ذلك قيد شعرة أن «الصحيح» اشتمل على أحاديث ليست على شرط البخاري، لأن الامام أعطى الصحيح وغيره من الأحاديث التي أوردها طابعها الخاص، ووصفها المميز.

وليس كل ما ترك البخاري اسناده في كتابه، قد فقد شرطه في الصحة، فأن فيما أورده غير موصول أحاديث صحيحة على شرطه، وأخرى لا تأخذ وصف الصحيح عنده، وهو يورد بغير اسناد ماتوفر فيه شرطه من الأحاديث لأمر... منها. قصد التخفيف لأنه ذكره في موضع آخر موصولا، فقاعدته التي التزمها كذلك ألا يكرر الحديث إلا لفائدة، ومن يضطر إلى تكرير حديث اشتمل متنه على أحكام ضرورية فانه يكرره ويتصرف في اسناده بالاختصار خشية التطويل، ويعتمد ذلك رغبة عن التكرار، وثقة في أن صحة الحديث تعرف في ذلك الوضع الذي وضعه فيه..

وهو يدع الاسناد للاستغناء بوصله عن وصل غيره، وإيراده معلقا لافادة الإشارة اليه وتجنب إهماله، أو يدع اسناده لانه لم يسمعه من شيخه، أو سمعه مذاكرة أو شك في سماعه فلم يسغ عنده سوقه مساق الأصول. ويدع الاسناد للأحاديث التي لا تكتسب وصف الصحة على شرطه، وهو يعتمد ذلك لينسبه على أنها خارجة عن موضوع كتابه «وهو الحديث الصحيح»



هذه قطوف من كتابه «التعريف بأمر المؤمنين في الحديث البخاري (١٥٧) عمدته فيها ما ذكره ابن حجر عن الحافظ أبي الفضل محمد بن طاهر القدسي في جزء سماه «جواب المتعنت» قال «اعلم ان البخاري رحمه الله كان يذكر الحديث في كتابه في مواضع و يستدل به لكل باب باسناد آخر، ويستخرج منه بحسن استنباطه وغزارة فقهه معنى يقتضيه الباب الذي خرج فيه، وقبلما يورد حديثا في موضعين باسناد واحد، ولفظ واحد، وإنما يورده من طريق أخرى لمعان نذكر منها.

أنه يخرج الحديث عن صحابي ثم يورده عن صحابي آخر. والمقصود منه ان يخرج الحديث عن حد الغرابة وكذلك يفعل في أهل الطبقة الثانية والثالثة، وهلم جرا الى مشايخه، فيعتقد من يرى ذلك من غير أهل الصنعة أنه تكرار، وليس كذلك، لاشتماله على فائدة زائدة.. ومنها أنه صحح أحاديث على هذه القاعدة يشتمل كل حديث منها على معان متغايرة، فيورده في كل باب من طريق غير الطريق الأول..

ومنها أحاديث يروها بعض الرواة تامة، و يروها بعضهم مختصرة، فيوردها كما جاءت ليزيل الشبهة عن ناقلها..

ومنها أن الرواة رُبما اختلفت عباراتهم، فحدث راو بحديث فيه كلمة تحتل معنى، وحدث به آخر، فعبر عن تلك الكلمة بعينها بعبارة أخرى تحتل معنى آخر، فيورده بطرقه اذا صحت على شرطه، و يفرد لكل لفظة بابا مفردا..

ومنها أحاديث تعارض فيها الوصل والارسال، ورجح عنده الوصل فاعتمده، وأورد الارسال منبهاً على أنه لا تأثير عنده في الوصل..

ومنها أحاديث تعارض فيها الوقف والرفع والحكم فيها كذلك.

ومنها أحاديث زاد فيها بعض الرواة رجلاً في الاسناد، ونقصه بعضهم فيوردها على الوجهين حيث يصح عنده أن الراوي سمعه من شيخ حدثه به عن آخر، ثم لقي الآخر فحدثه به، فكان يرويه على الوجهين..

ومنها انه ربما روي حديثاً عنعه راو يه، فيورده من طريق أخرى مصرحاً فيها بالسماع، على ما عرف من طريقته في اشتراط ثبوت اللقاء في المعنعن. ثم قال «فهذا جميعه قياً يتعلق باعادة المتن الواحد في موضع آخر أو أكثر (١٥٨) وأورد ابن حجر بعد ذلك سبب تقطيع البخاري للحديث على الأبواب تارة، واختصاره منه على بعضه في أخرى، في نظرات ثاقبة أشرنا الى بعضها فيما أجهلناه من كلام لجنة احياء كتب السنة ١٠٨ - ١١٠

ونضيف الى ذلك من كلام ابن حجر أن الامام البخاري كان ينظر في المتن، فإن كان قصيراً او مرتبطاً ببعضه ببعض، وقد اشتمل على حكيم فصاعداً، فإنه يعيده بحسب ذلك كما أسلفنا، مراعيًا عدم اخلائه من فائدة حديثية، وهي إيراده له عن شيخ سوى الشيخ الذي أخرجه عنه قبل ذلك، فتستفيد بذلك تكثير الطرق لذلك الحديث وربما أضاف عليه مخرج الحديث حيث لا يكون له الا طريق واحد و فيتصرف فيه حينئذ فيورده في موضع موصولاً، وفي موضع معلقاً، ويورده تارة تاماً، وتارة مقتصرًا على طريقه الذي يحتاج اليه في ذلك الباب»

ثم نظر نظرة ثانية الى المتن من حيث اشتماله على جل منفردة، لا ترتبط احداها بالأخرى فإنه يورد كل جملة على حدة في موضعها ومناسبتها..

قال ابن حجر «وربما نشط فذكره بتمامه» (١٥٩) وطريقة البخاري أنه لا يعيد في «الصحيح حديثاً بجميع اسناده ومتنه، وإن كان ابن حجر يحيز وقوع ذلك من الامام بقللة وعن غير قصد وهو يبينه الى ذلك في تواضعه، و يورد أمثلة على ما اقتصر فيه ببعض المتن ولم يذكر بعضه الآخر في موضع آخر ويقول ابن حجر «فانه لا يقع له ذلك في الغالب الا حيث يكون المحذوف موقوفاً على الصحابي، وله شيء قد يحكم برفعه فيقتصر على الجملة التي يحكم لها بالرفع ويحذف الباقي لأنه لا تعلق له بموضوع كتابه» (١٦٠)

(١٥٨) المصدر السابق.. ٢٣٠

(١٥٩) هدى الساري ج ١ ص ٢٠ / الحلبي

(١٦٠) المصدر السابق/ ٢٠ - ٢١

وأورد ابن حجر مثالا على ذلك ثم قال..

«ان هذا من أخفى المواضع التي وقعت له من هذا الجنس»

ومضى يقرر مرة أخرى أن الامام لا يعيد حديثا إلا لفائدة إن لم تظهر في الاسناد والمتن فائما يوجبها مغايرة الحكم الذي تشتمل عليه الترجمة الثانية، وفاء لما حرص الامام عليه من ان لا يخلى صحيحه من مائدة إشتادية، وحتى إخراجها الاسناد عن شيخ غير الشيخ الماضي او غير ذلك حتى قال ابن حجر «وهذا بين لمن استقرأ كتابه وانصف من نفسه.. (١٦١).

### — حسن لا يتناهى

ان جوانب الحسن والجلال في الصحيح لا تتناهى والعلماء وطلاب المعرفة الحققة يواجهون الجديد الطارف كلما أنعموا فيه النظر، وأعملوا العقول صادقين، وأبن حجر في المقدمة «هدى الساري» يجلو من ذلك وجوهاً هي أشبه بالبخاري وبابن حجر على سواء، والمرء يحار ماذا يشير اليه من تلكم الفرائد وماذا يذكر بعد؟! وما ذكرناه غيض من فيض مما لم نذكر مما ابقى البخاري، وَوَرَّث العلماءُ الناسَ من ذلك التراث الجليل..

إن معرفة الذين تتلمذوا على البخاري، ورووا عنه ضرورة في استكمال صورة الجلال العلمى الذي أنعقد للامام لواؤه.. قال الامام النووي..

«وقد قدمنا أنه كان يحضر مجلسه — اي البخاري — أكثر من عشرين ألفا يأخذون عنه.. «ومن روى عنه من الأئمة الاعلام الامام أبو الحسين مسلم بن الحجاج صاحب الصحيح وأبو عيسى الترمذي، وأبو عبد الرحمن النسائي، وأبو حاتم وأبو زرعة الرازيان، وأبو اسحق ابراهيم بن اسحق الحربى الامام، وصالح بن محمد جزرة الحافظ، وأبو بكر بن خزيمة، ويحيى بن محمد بن صاعد، ومحمد بن عبد الله مطين، وكل هؤلاء أئمة حفاظ وآخرون من الحفاظ غيرهم

(١٦١) لجنة احياء كتب السنة — القاهرة ص ١٠٨ — ١١٠

قال الخطيب: آخر من حدث ببغداد عن البخاري، الحسن بن اسماعيل الحمالي (١٦٢) وابتداء الامام النووي بذكر مسلم رضوان الله عليه على رأس من أخذوا وتتلّمذوا على البخاري له دلالة فمن العلماء من فضل صحيح مسلم على صحيح البخاري وخطوهم فيما قالوا لا يعوزه برهان، وهو الذي ذهب اليه جمهور العلماء..

وأراني أمام كلام للامام مسلم — قال النووي «ورواينا عن الامام مسلم بن الحجاج أنه قال للبخاري.. «لا يبغضك الا حاسد، وأشهد أنه ليس في الدنيا مثلك» ( )

وقال «ورواينا عن محمد بن يعقوب الحافظ عن أبيه قال «رأيت مسلم بن الحجاج بين يدي البخاري، يسأله سؤال الصبي المعلم» (١٦٣) وعمل مسلم وقوله كافيان — اذا تركنا نصوصاً أخرى لها دلالاتها — في الدلالة على أستاذية البخاري وسبق صحيحه لصحيح مسلم في مبادي الفضل.. وهذا الامام النووي في شرحه لصحيح مسلم يقول:

«اتفق العلماء رحمهم الله تعالى على أن أصح الكتب بعد القرآن العزيز، الصحيحان البخاري ومسلم، وتلقتهما الأمة بالقبول، وكتاب البخاري أصحهما وأكثرهما فوائد ومعارف ظاهرة وغامضة، وقد صح أن مسلماً كان ممن يستفيد من البخاري، ويعترف أنه ليس له نظير في علم الحديث..

وهذا الذي ذكرناه من ترجيح كتاب البخاري هو المذهب المختار الذي قاله الجماهير وأهل الاتقان والحذق والغوص على أسرار الحديث...» حتى قال..

«ومن أخصر ما يترجح به اتفاق العلماء على أن البخاري أجل من مسلم وأعلم بصناعة الحديث منه، وقد انتخب علمه ولخص ما ارتضاه في هذا الكتاب — صحيح مسلم — ثم قال.. «وقد ذكرت دلائل هذا كله في أول شرح صحيح

(١٦٢) هدى الساري ج ١ ص ٢٦

(١٦٣) المصدر السابق ص ٢٩

البخاري، ومما ترجح به كتاب البخاري أن مسلماً رحمه الله كان مذهبه، بل نقل  
الاجماع في أول صحيحه أن الاسناد المعنعن له حكم الموصول بسمعتُ بمجرد كون  
المعنعن والمعنعن عنه كانا في عصر واحد، وان لم يثبت اجتماعهما، والبخاري لا  
يحملة على الاتصال حتى يثبت اجتماعهما..

وهذا المذهب يرجح كتاب البخاري، وان كنا لا نحكم على مسلم بعمله  
في صحيحه بهذا المذهب لكونه يجمع طرقاً كثيرة يتعذر معها وجود الحكم الذي  
جوزه (١٦٤) والذي قاله الجماهير لا يقلل من قيمته قول بعض علماء المغرب الذين  
وافقوا أبا علي النيسابوري فيما روى عنه «أن كتاب — مسلم أصبح» ومن العلماء  
من قرر أنه لم يعثر على هذا القول للنيسابوري!!!

قال النووي «والصحيح الأول — أن كتاب البخاري أصبح — قال: وقد قرر  
الامام الحافظ الفقيه النظار ابوبكر اسماعيلي رحمه الله في كتابه «المدخل»  
ترجيح كتاب البخاري.

وأورد النووي قول النسائي «ما في هذه الكتب كلها أجود من كتاب  
البخاري (١٦٥) وذلك مسطور في «تهذيب الأسماء والصفات ج ١ ص ٧٣  
وذيل ٧٤ مع اضافات أجلها دلائل ترجيح صحيح البخاري على صحيح مسلم..  
وقول النسائي وهو شيخ أبي علي النيسابوري

«أصح هذه الكتب كتاب البخاري» والنسائي يعني بالصحة مجرد جودة  
الأسانيد كما قال ابن حجر؟ ويقول الجزري في ترجمته للامام مسلم قال الخطيب  
البغدادى «إنما قفا مسلم طريق البخاري ونظر في علمه وحذا حذوه» قال  
الجزري «ولما ورد البخاري نيسابور في آخر عمره لازمه مسلم وأدام الاختلاف  
اليه»

وقال الدارقطني «لولا البخاري، لما ذهب مسلم ولا جاء» (١٦٦)

---

(١٦٤) هدى الساري ج ١ ص ٢٧

(١٦٥) المصدر السابق

(١٦٦) تهذيب الاسماء واللغات ج ١ ص ٧٣

ولقد أورد ذلك ابن حجر ج ١ ص ٢١ من كلام ابن الصلاح رحمهما الله منوهاً بأن مسلم وإن أخذ عن البخاري واستفاد منه فإنه يشارك البخاري في كثير من شيوخه.. كذلك قال ابن الصلاح «وأما ما روينا عن الشافعي رضي الله عنه أنه قال.. «ما أعلم في الأرض كتاباً في العلم أكثر صواباً من كتاب مالك» أو كما قال بعضهم» أصبح من الموطأ».

فإنما قال ذلك قبل وجود كتابي البخاري «ومسلم...»

حتى قال بعد إيراد كلمة النيسابوري «فهذا وقول من فضّل من شيوخ المغرب صحيح مسلم على صحيح البخاري، إن كان المراد به أن كتاب مسلم يترجح بأنه لم يمازجه غير الصحيح، فإنه ليس فيه بعد خطبته إلا الحديث الصحيح مسروداً غير ممزوج بمثل ما في كتاب البخاري في تراجم أبوابه من الأشياء التي لم يسندوها على الوصف المشروط في الصحيح، فهذا لا بأس به!! وليس يلزم منه أن كتاب مسلم أرجح فيما يرجع إلى نفس الصحيح على كتاب البخاري» «وإن كان المراد به أن كتاب مسلم أصبح صحيحاً فهذا مردود على من يقوله» (١٦٧) ولقد ناقش ابن عبد البر ودلل في السطور التالية لكلام ابن الصلاح كلام الشافعي عن الموطأ ورد على استشكل تقديم كتاب البخاري وأصحيته على الموطأ، بكلام جزل تورد منه قوله «فقد استشكل بعض الأئمة إطلاق أصحّية كتاب البخاري على كتاب مالك» مع اشتراكهما في اشتراط الصحة والجواب عن ذلك أن ذلك محمول على أصل اشتراط الصحة.. فإلك لا يرى الانقطاع في الأسناد قَدْ حَافِلْذلك يخرج المراسيل والمتقطعات والبلاغات في أصل موضوع كتابه»

والبخاري يرى أن الانقطاع علة فلا يخرج ما هذا سبيله إلا في غير أصل موضوع كتابه كالتعليقات والتراجم»

ولا شك أن المنقطع وأن كان عند قوم من قبيل ما يحتج به، فالمتصل أقوى منه إذا اشترك كل من رواتهما في العدالة والحفظ، فإن بذلك شقوف كتاب البخاري»

«وَعَلِمَ أَنَّ الشَّافِعِيَّ إِنَّمَا أَطْلَقَ عَلَى الْمُوطَأِ أَفْضَلِيَّةَ الصَّحَّةِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْجَوَامِعِ الْمَوْجُودَةِ فِي زَمَنِهِ كَجَامِعِ سَفِيَّانِ الثَّوْرِيِّ، وَمُصَنَّفِ حَمَادِ بْنِ سَلَمَةَ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَهُوَ مُسْلِمٌ لَا نَزَاعَ فِيهِ»

ونظر ابن حجر رحمه الله إلى قول النيسابوري — أن صح فهو لم يجده — وقول بعض شيوخ المغاربة في أفضلية كتاب مسلم، فقال إن قولهم في «الأفضلية لا في الصحة، وكأنه يميز هذا فقد رد الأذهان إلى كلمة النيسابوري وفهم شيخه النسائي أن المراد بالجودة جودة الأسانيد كما هو المتبادر إلى الفهم من اصطلاح الحديث. وقال ابن حجر «ومثل هذا من مثل النسائي غاية في الوصف مع شدة تحرّية وتوقيه وثبته في نقد الرجال وتقدمه في ذلك على أهل عصره» (١٦٨) وكم أحسن ابن حجر وهو يلحق بهذا السياق كلمة الاسماعيلي في كتابه المدخل وهي

«أما بعد، فقد نظرت في كتاب الجامع الذي ألفه أبو عبد الله البخاري فرأيتة جامعاً كما سمي لكثير من السنن الصحيحة، ودالاً على جل من المعاني الحسنة المستنبطة التي لا يكمل مثلها إلا من جمع إلى معرفة الحديث والفقه، والعلم بالروايات وعللها، علماً بالفقه واللغة، وتمكناً كلها، وتبحراً فيها وكان يرحمه الله الرجل الذي قصر زمانه على ذلك، فبرع وبلغ الغاية، فحاز السبق، وجمع إلى ذلك حسن النية والقصد للخير فنفعه الله ونفع به، وقد نَحَا نَحْوَهُ في التصنيف جماعة منهم الحسن بن علي الحلواني، لكنه اقتصر على السنن..

ومنهم أبو داود السجستاني فكان في عصر أبي عبد الله البخاري، فسلك فيما سماه سنناً ذكر ما روى في الشيء وإن كان في السند ضعف إذا لم يجد في الباب غيره.

ومنهم مسلم بن الحجاج، وكان يقاربه في العصر، فرام مرامه، وكان يأخذ عنه أو عن كتبه! إلا أنه لم يضابق نفسه مضايقة أبي عبد الله وروى عن

---

(١٦٨) ص ١٤ ج ١ شرح النووي لصحيح مسلم

جماعة لم يتعرض أبو عبد الله للرواية عنهم.. وكل يقصد كذلك الخير غير أن أحدا منهم لم يبلغ من التشدد مبلغ أبي عبد الله «ولا تسبب إلى استنباط المعاني، واستخراج لطائف فقه الحديث، وتراجم الأبواب الدالة على ماله صلة بالحديث المروي فيه تسببه والله الفضل يختص به من يشاء» (١٦٩)

وأورد ابن حجر فور ذلك كلاما للحاكم أبي أحمد النيسابوري المقدم على أبي علي النيسابوري معاصرة في معرفة الرجال، وأعاد كلمة الدار قطنى التي أسلفناها له في البخاري ومسلم، وكلمة أخرى هي «وإى شيء صنع مسلم؟» أما أخذ كتاب البخاري يعمل على مستخرجه وزاد فيه زيادات وقال ابن حجر «إن هذا من كلام الدار قطنى جزم به القرطبي في أول كتابه المفهم في شرح صحيح مسلم» (١٧٠)

والحق أن ذلك كله لا يضائل من عمل الإمام مسلم في صحيحه، وإمامته رضى الله عنه في ذلك تسير في الناس مسير الشمس، وإنما القصد من تحقيق العلماء هو إثبات أن البخاري رحمه الله كان أعلم بهذا الفن من مسلم، وأن مسلم كان يشهد له بالتفوق والتقدم والإمامة والتفرد بمعرفة ذلك في عصره حتى هجر الإمام مسلم شيخه محمد بن يحيى الذهلى غنى بالبخاري عنه (١٧١)

وانها لمناسبة ماسة لإيراد هذا الموقف من الإمام مسلم لأنه اعلاء للعلم، ورفض لمغريات الحياة وجلاء لواحدة من المحن التي واجهها في آخريات حياته الإمام البخاري بغير ذنب جناء، إلا علمه وفضله فلقد قصد الإمام البخاري نيسابور بعد أن نَبَاهِ وطنه، وضاق به قومه الذين آثروا أن يرد إليهم بعلمه ديناً في اعناق الأبرار للأوطان والديار، واستقبلت نيسابور الإمام بما هو أحق به وأهله من تكريم فما رأى الإمام مسلم والياً ولا عالماً فعل له أهل نيسابور ما فعلوا بالبخاري أذ استقبلوه من وصلتين أو ثلاث من البلد (١٧٢)

(١٦٩) شرح النووي لمسلم ج ١ ص ١٤

(١٧٠) جامع الأصول للجزري ج ١ ص ١٨٦

(١٧١) هدى الساري ج ١ ص ٢١ وهو نهاية كلام ابن الصلاح

(١٧٢) هدى الساري ج ١ ص ٢١ - ٢٢



ولقد قال محمد بن يحيى الزهلي عالم نيسابور يومئذ لجلسائه وطلاب العلم منه « من أراد أن يستقبل محمد بن اسماعيل غدا فليستقبله فاني استقبله »

ولقد استقبله وكان يجلس في مجلسه مع عامة علماء نيسابور، ولكن أبا عبد الله لم يلبث غير قليل في نيسابور حتى انتاشته الأحقاد والمكايد «بعد أن قصده الناس وازدحموا على منزله في دار البخاريين، حتى امتلأت الدار والسطوح، وقالوا عن الامام البخاري ما لم يقل في ماسموه «خلق القرآن» وكلامه في القرآن لمن سألته عن اللفظ بالقرآن واضح جلي وقد قال ابو واحد بن عدى ذكر لي جماعة من المشايخ أن محمد بن اسماعيل لما ورد نيسابور واجتمع الناس عنده حسده بعض شيوخ الوقت فقال لأصحاب الحديث: ان محمد بن اسماعيل يقول «لفظي بالقرآن مخلوق» فلما حضر المجلس قام اليه رجل فقال: يا أبا عبد الله، ماتقول في اللفظ بالقرآن مخلوق هو أو غير مخلوق؟ فأعرض عنه البخاري، ولم يجبه ثلاثا، فألح عليه، فقال البخاري «القرآن كلام الله غير مخلوق، وافعال العباد مخلوقة، والامتحان بدعة»؟؟ فشغب الرجل وقال: قد قال لفظي القرآن مخلوق»

وقال الحاكم بسنده عن القُربري «سمعت محمد بن اسماعيل يقول «إن أفعال العباد مخلوقة» واستأنس بأحاديث نبوية وكلمات للبخاري (تعضد) ماقاله البخاري، على انه قال رحمه الله «حركاتهم وأصواتهم وأكسابهم وكتابتهم مخلوقة، فأما القرآن المبين المثبت في المصاحف الموعى في القلوب فهو كلام الله غير مخلوق، قال الله تعالى «بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم» العنكبوت/ ٤٩ قال وقال اسحق بن راهوية «أما الأوعية فن يشك أنها مخلوقة» (١٧٣)

ان الامام كان وهو يقصد نيسابور بعد بخاري وما لقي فيها لا يريد جهاها، ولا تتعلق نفسه بشيء من الخطام الذي يستعبد الاقوام، ولكنه ابتغى شيئا من الاستقرار بعد أن نبت به الدار.. وبتغى عليه في بخاري من كان يؤثر نفعهم، و يبرودفعهم، وكان في نيسابور بعد ذلك : كالمستجير من الرمضاء بالنار.

ولقد كان الذهلي يستطيع أن يطفئ الفتنة المطلة منذ اللحظة الأولى في نيسابور، لكن جذوة الأحقاد التي شها في قلبه علم البخاري وفضله ونبله وتساميه كانت أكبر من همة رجل افترى الكذب على البخاري وتولى كبره واتهم الذين يترددون على مجلس البخاري بالابتداع الذي وَصَفَهُ رحمه الله به وقال «ومن ذهب بعد ذلك الى محمد بن اسماعيل فاتهموه فإنه لا يحضر مجلسه الا من كان على شاكلته ومذهبه، ولقد ترك الناس مجلس البخاري الا مسلم بن الحجاج وأحمد بن سلمه وذكر ابن حجر أن مسلم لم يكذب يسمع كلام الذهلي ذاك حتى أخذ رداءه فوق عمامته وقام على رؤوس الناس، فبعث الى الزهلي جميع ما كان كتبه عنه على ظهر حمال» (١٧٤)

وللقصة بقية عاود بعدها البخاري نيسابور كيلا يخرج الناس بمكايد الذهب وأضار نفسه، فانه لما علم من احمد بن سلمه النيسابوري الحاج الرجل وضيقه بالبخاري، وعجزهم عن الكلام معه وهو مقبول بخراسان وبخاصة في نيسابور. قال ابو عبد الله وهو يقبض على لحيته..

«وأفوض أمري الى الله ان الله بصير بالعباد» غافر/٤٤ اللهم انك تعلم أنى لم ارد المقام بنيسابور أشراً ولا بطراً ولا طلباً للرياسة، وانما أبت على نفسي الرجوع الى الوطن لغلبة المخالفين، وقد قصدت هذا الرجل حسداً لما آتاني الله لاغير» (١٧٥)

### ٣٠ — الامام ابن تيمية وكتب السنة

قال الامام ابن تيمية رحمه الله في معرض الدلالة على ان الامام مالك بن أنس كان أقوم الناس بمذهب أهل المعرفة «ولهذا قال الشافعي رحمه الله» ما تحت أديم السماء كتاب — أكثر صواباً بعد كتاب الله من موطأ مالك قال شيخ الاسلام رحمه الله، وهو كما قال الشافعي (١٧٦) وهذا لا يعارض ما عليه أئمة الاسلام من

(١٧٤) هدى الساري ج ١ ص ٢١ — ٢٢

(١٧٥) المصدر السابق

(١٧٦) هدى الساري ج ٢ / ٢٦٢ — ٢٦٣

انه ليس بعد القرآن كتاب أصح من صحيح البخارى ومسلم، مع أن الأئمة على أن البخارى أصح من مسلم، ومن رجع مسلماً فإنه رجع بجمعه ألفاظ الحديث فى مكان واحد، فإن ذلك أيسر على من يريد جمع ألفاظ الحديث ...

وأما من زعم أن الأحاديث التي انفرد بها مسلم، أو الرجال الذين انفرد بهم أصح من الأحاديث التي انفرد بها البخارى، ومن الرجال الذين انفرد بهم، فهذا غلط لا يشك فيه عالم .. كما لا يشك احد أن البخارى أعلم من مسلم بالحديث والعلل والتاريخ وأنه أفقه منه، إذ البخارى وأبو داود أفقه أهل الصحيح والسنن المشهورة، وإن كان قد يتفق ببعض ما انفرد به مسلم أن يرجح على ما انفرد به البخارى فهذا قليل، والغالب بخلاف ذلك، فان الذى اتفق عليه أهل العلم انه ليس بعد القرآن كتاب اصح من كتاب — البخارى ومسلم.

ثم قال رحمه الله «وإنما كان هذان الكتابان كذلك، لانه جرد فيها الحديث الصحيح المسند، ولم يكن القصد بتصنيفهما ذكر آثار الصحابة والتابعين، ولا سائر الحديث من الحسن والمرسل وشبه ذلك، ولا ريب أن ما جرد فيه الحديث الصحيح المسند عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو أصح الكتب، لأنه اصح متقولاً عن رسول الله المعصوم من الكتب المصنفة» (١٧٧)

وهكذا يَبْدُو أنَّ موطأ مالك رحمه الله كان له منهجه — كما أسلفناه — وكما أشار الى ذلك ههنا الامام ابن تيمية في كلمته الدالة «ولا ريب أن ما جرد فيه الحديث المسند عن الرسول فهو أصح الكتب مع قوله قبلاً «ولم يكن القصد بتصنيفها — البخارى ومسلم آثار الصحابة والتابعين ولا سائر الحديث من الحسن والمرسل ..» وجزى الله الجميع عن حديث رسوله ما هم أهل له.

وليكن مقطع القول في صحيحى البخارى ومسلم قول ابن حجر رحمه الله «قررنا أن مدار الحديث الصحيح على الاتصال واتقان الرجال، وعدم العلل، وعند التأمل يظهر أن كتاب البخارى اتقن رجالاً، وأشد اتصالاً وذكر وجوه ذلك ودلالته مما لا يعوز بعد ذلك لدليل (١٧٨).

(١٧٧) المصدر نفسه ص ٢٦٣

(١٧٨) هدى السارى ج ٢ ص ٢٦٣

### ٣١ - همة البخارى ..

إن المدى العلمى الذى ارتفع الى قته الامام البخارى، يقدم اليوم - اضعاف ما قدم منذ عصر البخارى رحمه الله اعذارا للذين يحاولون دراسته، وهو الذى يقول «لا أعلم شيئاً أنفع للحفظ من همة الرجل، ومداومة النظر» (١٧٩)

ونرانا ننفق جهداً كبيراً لإحصاء احاديث الصحيح فى أبوابه، ونعجز فى محاولة ما فعل انثذ فى الوقوف امام سند كل حديث، وتقديم السير مما قيل فيه، وبيان تعاليق الصحيح المرفوعة والإشارة إلى من وصلها، والمتابعات التى تلتحق بها فى الحكم.

والمناسبة متاحة للإعراب .. مرة أخرى .. عن الجهة العظمى والجانب الهام من جوانب الصحيح التى أوجبى له التقدم والفضل، انها تراجم «الصحيح» التى يضيف لها قدراً على قدر ان أبا عبد الله حول تراجم - جامعه - كما قال أبو احمد بن عدي بسنده - وبيضها بين قبر النبي صلى الله عليه وسلم ومنبره ، وكان يصلي لكل ترجمة ركعتين» (١٨٠)

ان الترجمة للباب تقوم مقام العنوان للكتاب، فهو يدل على مضمونه، ويجمع فى عبارة قصيرة فحواء - ولكن تراجم الامام البخارى تبدو أنواعاً منها الظاهر الدال على ما اندرج تحتها من احاديث والامام ابن حجر يراها لدلالاتها ليس ذكرها غرضاً له و يرى ان فائدتها الاعلام بما ورد فى ذلك الباب ايّاً كانت تلك الفائدة. و يورد نوعاً آخر من التراجم وهو ان تكون الترجمة بلفظ المترجم له او بعضه أو بمعناه .. قال وهذا فى الغالب قد يأتى من ذلك ما يكون فى لفظ الترجمة احتمال لأكثر من معنى واحد فيبين أحد الاحتمالين بما يذكره تحتها من الحديث.

وقد يوجد فيه ما هو العكس من ذلك بأن يكون الاحتمال فى الحديث والتعيين فى الترجمة والترجمة هنا بيان لتأويل الحديث نائية مناب قول الفقيه مثلاً .. المراد بهذا الحديث العام الخصوص أو بهذا الحديث الخاص العموم، إشعاراً

(١٧٩) المصدر السابق ص ٢٦٣ - ٢٦٤  
(١٨٠) فقد كان ذلك قبل زمن البخارى ومسلم.

بالقياس لوجود العلة الجامعة.. أو أن ذلك الخاص المراد به ما هو أعم مما يدل عليه ظاهره بطريق الأعلى أو الأدنى.. و يأتي في المطلق والمقيد نظير ما ذكرنا في الخاص والعام، وكذا في شرح المشكل، وتفسير الغامض، وتأويل الظاهر، وتفصيل المجمل..

وهذا الوضع هو معظم ما يشكل من تراجم هذا الكتاب.. ولهذا اشتهر من قول جمع من الفضلاء فقه البخاري في تراجمه.. وأكثر ما يفعل البخاري ذلك إذا لم يجد حديثاً على شرطه في الباب ظاهر المعنى في المقصد الذي ترجم له.. وقد يفعل ذلك لشحن الأذهان في إظهار مضمرة واستخراج خبيثه، وكثيراً ما يفعل ذلك - الأخير - حيث يذكر الحديث المفسر لذلك في موضع آخر متقدماً أو متأخراً، فكأنه يحيل عليه، ويؤمى بالرمز والاشارة اليه..

وكثيراً ما يترجم بلفظ الاستفهام كقوله.. باب هل يكون كذا؟ أو من قال كذا؟ ونحو ذلك، وذلك حيث لا يتجه له الجزم بأحد الاحتمالين وغرضه بيان هل يشبه ذلك الحكم أو لم يثبت فيتترجم على الحكم ومراده ما يتفسر بعد من إثباته أو نفيه، أو أنه محتمل لهما، وربما كان أحد المحتملين أظهر، وغرضه أن يبقى للنظر مجالاً، وينبه على أن هناك احتمالاً أو تعارضاً يوجب التوقف حيث يعتقد أن فيه إجمالاً، أو يكون المدرك مختلفاً في الاستدلال به.. وكثيراً ما يترجم بأمر ظاهر، قليل الجدوى، لكنه إذا حققه المتأمل أجدى كقوله.. «باب قول الرجل ما صلينا» فإنه اشار به إلى الرد على من كره ذلك!! ومنه قوله: «باب قول الرجل: فاتتنا الصلاة» وأشار بذلك إلى الرد على من كره إطلاق هذا اللفظ..

وكثيراً ما يترجم بأمر مختص ببعض الوقائع، لا يظهر في بادىء الرأى كقوله: باب أستياك الإمام محضره رعيته فإنه لما كان الاستياك قد يظن انه من أفعال المهنة، فلعل بعض الناس يتوهم ان إخفاءه أولى مراعاة للمروءة.. فلما وقع في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم استاك بمحضرة الناس، دلَّ أنه من باب انتطيب لا من الباب الاخر، نبه على ذلك ابن دقيق العيد

وكثيراً ما يترجم بلفظ يومئ إلى معنى حديث لم يصح على شرطه، أو يأتي بلفظ الحديث الذي لم يصح على شرطه صريحاً في الترجمة، ويورد في الباب مايؤدي معناه تارة بأمر ظاهر، وتارة بأمر مخفي من ذلك قوله باب الأمراء من قریش» .. وهذا لفظ حديث يروى عن علي رضي الله عنه، وليس على شرط البخاري، وأورد فيه حديث «لا يزال وال من قریش» وذكر مثلاً آخر.

وربما اكتفى بلفظ الترجمة التي هي لفظ حديث لم يصح على شرطه، وأورد معها أثراً أو آية فكأنه يقول. لم يصح في الباب شيء على شرطه .. وقد المحنا الى ذلك من قبل .. وقال ابن حجر .. «وللغفلة عن هذه المقاصد الدقيقة اعتقد من لم يمعن النظر أنه ترك الكتاب بلا تبيين، ودعا ابن حجر إلى تأمل عمل الامام البخاري .. وذكر أعمال من جمع من العلماء هذه التراجم ومن تكلموا عنها ومن لخصمها وزاد عليها (١٨١)

وقد حرصت لجلالة العمل وأنا أورد فيه نص ابن حجر تقريباً، حذار ما قد يكون في اختصاره من حذف بعض المراد .. والله المستعان على كل خير.

### ٣٢- أبواب الجامع وعدد أحاديثه

أشار ابن حجر إلى ما ذكر ابن الصلاح رحمه الله أن عدد أحاديث الجامع سبعة آلاف حديث ومائتان وخمس وسبعون بالأحاديث المتكررة، وأنها باسقاط المكرر أربعة آلاف وذكر أن الشيخ محيي الدين - يحيى النووي - تبع ابن الصلاح في ذلك في مختصره، لكنه بعدها في الشرح يقول (المسندة) .. وذكر أنه أخرج بقوله المسندة (الأحاديث المعلقة)، وما أورده في التراجم والمتابعة وبيان الاختلاف بغير اسناد مرسل .. بخلاف إطلاق ابن الصلاح .. وأشار ابن حجر إلى ما استهدفه الامام النووي من إيراد الأحاديث مفصلة لتكون كالفهرس

---

(١٨١) صحة أصول مذهب أهل المدينة ٢٤ - ٢٥

لأبواب الكتاب، وتكشف مظان الأحاديث للطلاب .. وانه ساقها كما قال ابن حجر .. من كتاب [جواب المتعنت] لأبى الفضل بن طاهر، بروايته من طريق عبد الله بن احمد بن حوويه السرخسي (١٨٢).

وذكر ابن عبد البر تحت عنوان «عدد أحاديث صحيح البخاري» عدد حديث كل باب ابتداء من «بدء الوحي» إلى آخر الكتاب — بعد التوحيد كما قال النووي ثم اتبع كل باب بما عنده هو في ذلك فثلا في بدء الوحي» قال .. بدء الوحي خمسة أحاديث .. ولكنه اتبعها بقوله «قلت» بل هي سبعة وكأنه — أى النووي رحمه الله — لم يعد حديث الأعمال، ولم يعد حديث جابر في أول ما نزل .. وذكر «ابن حجر بيان كونها سبعة أن أول ما في الكتاب حديث عمر «الأعمال» الثاني «حديث عائشة في سؤال الحارث بن هشام .. الثالث .. أول ما بدى به من الوحي الرابع حديث جابر وهو يحدث عن فترة الوحي، وهو معطوف على اسناد حديث عائشة وهما حديثان مختلفان لا ريب في ذلك ..

ووافق ابن حجر الامام النووي رحمه الله فيما وراء ذلك من احاديث الباب بعد أن أورد ما فيه من التعاليق والمتابعات وفاء بوعده أن يذكر ذلك .. ثم انحى باللائمة على النقلة المقلدين لمن سبقهم بدون اعمال فكر أو تحرير للمقامات، وربما ساقوا ما قلدوا فيه على ذلك الأساس في نظم تتعلق به الأفكار، ثم قال ابن حجر. «واذا انتهيت إلى آخره .. احصاء عدد أحاديث الجامع — رجعت فعددت المعلقات والمتابعات فإن اسم الأحاديث تشملها، واطلاق التكرير يجمعها، وفي ضمن ذلك من الفوائد ما لا يخفى» (١٨٣) وتابع رحمه الله إيراد كلام الامام النووي وما أحصاه هو في ذلك .. حتى قال «فجميع أحاديثه بالمكرر سوى المعلقات والمتابعات على ما حررته واتقنته سبعة

(١٨٢) هدى الساري جـ ١/ ٢٢ — ٢٣

(١٨٣) هدى الساري جـ ٢ ص ١٦٢ والنهضة بلوغ الهمة في الشيء كما في «النهاية» في غريب الحديث والأثر ج ٥ ص ١٣٨ — المكتبة الاسلامية

آلاف وثلاثمائة وسبعة وتسعون حديثاً فقد زاد على ما ذكره مائة حديث واثنان وعشرون حديثاً» وتبرأ من دعوى العصمة من الخطأ والسلامة من السهو، مؤكداً أنه جهد المُقَلِّ وقديماً قيل: «جهد المُقَلِّ غير قليل» (١٨٤)

وذلك أدب نفسى استوجب القوم به من الله توفيقه وهدايه، وكانوا به موضع القدوة لمن يمشون على طريقهم، ويودون التأسي بهم فى خدمة الحقائق العلمية ومن سار على الدرب وصل «وما كان الله ليضيع إيمانكم ان الله بالناس لرءوف رحيم» (١٨٥)

### ٣٣ - ابواب الجامع

بلغت أبواب الجامع ثلاثة آلاف وأربعمائة وخمسين باباً جمع فيها الإمام أبو عبد الله فروعاً كثيرة من العلم فى الأحكام والفضائل والآداب والرقاق والتفسير والأخبار وما صحَّ عنده من حديث رسول الله وسنته وأيامه .. وهو فى هذه الأبواب - التى نيفت على الآلاف الثلاثة قد وفى بوعده أن ألا يخلى كل حديث من فائدة أثابه الله بذلك الحسنى وزيادة..

---

(١٨٤) المصدر السابق جـ ١ / ٢٤  
(١٨٥) هدى الساري جـ ١ ص ٢٤ - ٢٥



## الباب الثالث



## الفصل الأول

### كتاب العلم

#### ٣٤ — عدد أحاديث كتاب العلم

كتاب العلم في «الجامع» ثالث كتبه بعد كيف كان بدء الوحي، والإيمان. ولم يخالف ابن حجر من سبقوه في هذا، ولا في عدد أحاديث «العلم» فهي عند الامام النووي خمسة وسبعون حديثاً (١٨٦)

وإن قال ابن حجر بعد «فيه من التعاليق عشرون، ومن المتابعات ثلاثة» (١٨٧) والتناسب جلي بين كتب «الجامع» جميعاً، وابتدأوها بما بدأ به البخاري ضروري لأن أحوال الرسول في بدء الوحي جانب من جوانب الوحي الذي هو مصدر الايمان، وما يُعبد الله أو يُطاع أو تنتظم الدنيا والأخرى بالهوى ابداء، ولا يكون العلم نافعاً يُعتد به إلا وهو معصوم بالإيمان والامام البخاري يرى العلم قبل القول والعمل، وتلك حقيقة لا ارتياب فيها ورحم الله أبا الحسين علي بن أبي طالب فقد قال «يهتف العلم بالعمل، فإن أجابه، والا ارتحل» ومن كلمات الامام الغزالي «العلم بغير عمل جنون» والعمل بغير علم كيف يكون؟ والامام ابن عبد البر قد أشبع في ذلك القول (١٨٨) ومما ذكره من كلام معاذ بن جبل رضى الله عنه «اعلموا ما شئتم ان تعلموا قلن يأجركم الله حتى تعملوا» (١٨٩)

(١٨٦) المصدر السابق ج ٢ ص ١٣٧ — ٢٣٨

(١٨٧) هدى الساري ج ٢ ص ٢٣٨

(١٨٨) الكتاب جزء وصحيفة.

(١٨٩) البقرة/ ١٤٣

وقال الحسن «الذى يفوق الناس فى العلم جدير أن يفوقهم فى العمل» .. (١٩٠) وقد لخص ابن حجر كلام البلقينى رحمه الله فى تناسب كتب «الجامع» وتناسقها كحبات عقد انتظم فى سلك نذكر منها قوله .. «بدأ البخارى بقوله «كيف بدء الوحى، ولم يقل كتاب الوحى، ولا كتاب بدء الوحى لأن بدء الوحى من بعض ما يشتمل عليه الوحى» وقد عقب ابن حجر على قول البلقينى هذا بقوله «قلت» و يظهر لى أنه انما عرّاه من (باب) لأن كل باب يأتى بعده ينقسم منه فهو أم الأبواب، فلا يكون قسماً له».

قال البلقينى «وقدمه لأنه منبع الخيرات، وبه قامت الشرائع، وجاءت الرسائل، ومنه عرف الايمان والعلوم، وكان أوله إلى النبى صلى الله عليه وسلم بما يقتضى الايمان من القراءة والربوبية وخلق الانسان، فذكر بعده كتب الايمان والعلوم، وكان الايمان أشرف العلوم، فعقبه بكتاب العلم، وبعد العلم يكون العمل، وافضل الأعمال البدنية الصلاة ولا يتوصل إليها إلا بالطهارة .. فقال «كتاب الطهارة ..» (١٩١)

ومضى ابن حجر ينقل كلام البلقينى فى هذا السياق الطيب، مبرزاً ان البخارى عقب على بيان حق الله فى العمل بطاعته على أساس فى العلم والايمان ببيان حق عباد الله وحق الحياة عليهم بقوله «وهذه التراجم كلها معاملة العبد مع الخالق، وبعدها معاملة العبد مع الخلق» وقال: «كتاب — البيوع ..» (١٩٢)

### ٣٥ — أبواب كتاب العلم

يؤلف كتاب العلم «ثلاثة وخمسون باباً، اكتفى الامام فى بعضها بالترجمة وإيراد آية من القرآن أو آيتين كما فى الباب الاول .. وكما فى الباب

(١٩٠) هدى السارى جـ ٢ — ٢٣٨

(١٩١) هدى السارى جـ ٢ — ٢٤٠

(١٩٢) جامع بيان العلم وفضله جـ ٢ ص ٦ وما بعدها

السادس باب ما جاء فى العلم وقوله تعالى «وقل رب زدنى علماً» وأورد فيها سوى هذين البابين، أحاديث تختلف من حديث واحد اثنين وثلاثة وأربعة أحاديث (١٩٣) الى ستة أحاديث (١٩٤) وقد ذكر ابن حجر رحمه الله ما فى هذه الاحاديث من التناسق، كما فى الباب الثامن والثلاثين من الكتاب الذى اورد فيه ستة احاديث فى «إثم من كذب على النبى صلى اله عليه وسلم» فقال رتب المصنف احاديث الباب ترتيباً حسناً لأنه بدأ بحديث على وفيه مقصود الباب، ثم ثنى بحديث الزبير الدال على توقى الصحابة وتحرزهم من الكذب عليه، وثالث بحديث أنس الدال على ان اقتناعهم انما كان من الاكثار المفضى الى الخطأ، لا عن أصل الحديث، لأنهم مأمورون بالتبليغ، وختم بحديث ابي هريرة الذى فيه الاشارة الى استواء تحريم الكذب عليه، سواء كانت دعوى السماع منه فى اليقظة او فى المنام» (١٩٥)

البابان اللذان اكتفى فيهما بآيتين فى الاول، وبآية هى الآية الثانية من الايتين المذكورتين لم يورد غيرها فى الباب السادس هما فى فصل العلماء والعلم انفردت الأولى ببيان فضل العلماء، وذهبت الثانية فى البابين وهى «رب زدنى علماً» بالدلالة على فضل العلم فإن الله لم يأمر نبيه بطلب الازدياد من شىء إلا من العلم..

قال ابن حجر «فان قيل: «لَمْ يَمَّ يورد المصنف فى هذا الباب شيئاً من الحديث؟ واجاب بأنه ربما اكتفى بالآيتين فى الباب الاول وبالاية فى الباب السادس — اشارة الى ما قال صلوات الله عليه فى تفسيرهما — او انه بيض لهما ليلحق بهما ما يناسبهما، او انه اورد فيها بعد حديث ابن عمر الاتى بعد باب رفع العلم .. ولكن ابن حجر عقب على ذلك بقوله «والذي يظهر لى ان هذا — عدم

(١٩٣) المصدر السابق ص ٨

(١٩٤) المصدر السابق ص ١٣

(١٩٥) هدى الساري جـ ٢ ص ٢٤٢ وما بعدها

ايراد احاديث — محله، حيث لا يورد فيه آية او أثرا، اما اذا اورد اية فهو اشارة منه الى ماورد في تفسير تلك الآيه، وأنه لم يثبت في شيء على شرطه، وأن ما دلت عليه الآيه كان في الباب».

«والى ان الاثر الورد فى ذلك يقوى به طريق المرفوع، وإن لم يصل فى القوة إلى شرطه» (١٩٦)

وقد سبق من هذا بيان فى الكلام على تراجم الامام التى لم يقلد فيها غيره رحمه الله كما ادعى الكرمانى ورد عليه ابن حجر بقوله والذى ادعى الكرمانى يقتضى أنه لا مزية للبخاري فى ذلك لانه مقلد لمشايخه — ولا سند لهذا الكلام (١٩٧)

### ٣٦ — فرائد استلخصها العلماء

لقد استخلص العلماء فرائد من «كتاب العلم» وفى كل كتاب من كتب «الجامع» مثلها واكثر، نوردها بين يدي ما اخترنا من احاديث كتاب العلم للشرح والدراسة — فى نظرات سريعة لابوابه.

فى باب من سُئل علما وهو مشغول فى حديثه فأتم الحديث ثم اجاب السائل، ونحن على موعد — ان شاء الله — لشرحه.. نذكر ان ابن حجر رأى محصلة التنبيه على ادب العالم والمتعلم من حيث ترك العالم زجر السائل، مكتفيا بالاعراض عنه حتى استوفى ما كان فيه، ثم رجع الى جوابه ففرق به وأما المتعلم فلأنه أدب بأن لا يسأل العالم وهو مشغول بغيره لأن حق الأول مقدم، وفي الحديث.. أخذ الدروس على السبق، وفيه العناية بجواب سؤال السائل ولولم يكن السؤال متعينا ولا الجواب، وفيه مراجعة العالم اذا لم يفهم ما يجب به حتى يتضح (١٩٨) وفيه الاشارة الى ان العلم سؤال وجواب، وقد يعين الله على مزيد مما يفيد الحديث عند شرحه الموعود..

(١٩٦) المصدر السابق ٢٤٣ — ٢٤٦

(١٩٧) باب من برك على ركبته الى ص ١٩٨ ج ١ الفتح

(١٩٨) باب اثم من كذب على النبى صلى الله عليه وسلم ص ٢٠٩ — الفتح

٣٧ — باب من رفع صوته بالعلم والترجمة مطابقة تمام المطابقة  
للحديث ففيه «فنادى بأعلى صوته : وَئِيلُ لِّلْإِعْقَابِ مِنَ النَّارِ، مرتين أو ثلاثا  
والعبارة دليل المصنف على جواز رفع الصوت بالعلم — ولكن ابن حجر رحمه الله  
رأى رفع الصوت حيث تدعو الحاجة اليه، لبعده أو كثرة جمع، وألحق بذلك ما كان  
في موعظة واستظهر لذلك بحال رسول الله الذي أخرجه مسلم رحمه الله من رواية  
جابر «كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا خطب وذكر الساعة اشتد غضبه وعلا  
صوته الحديث (١٩٩)».

ولأحمد من حديث النعمان في معناه وزاد حتى لو ان رجلا بالسوق لسمعه  
(٢٠٠) وفيه كذلك، مشروعية (اعادة الحديث ليفهم) ... و يضيف ابن حجر  
ههنا كلمة لابن رشيد تشهد بأن البخاري في تبويبه المتقن رمز الى انه يريد ان  
يبلغ الغاية في تدوين هذا الكتاب، بأن يفرغ الوسع في ترتيبه وكذلك فعل

### ٣٨ — باب قول المحدث: حدثنا أو أخبرنا أو أنبأنا عن بداية (١٩)

قال ابن رشيد «أشار بهذه الترجمة الى أن البخاري بنى كتابه على  
المسندات المرويات عن النبي صلى الله عليه وسلم.  
وذكر ابن حجر، ما يفهم أن هذه الألفاظ بمعنى واحد، كما هي عند ابن  
غنيمة ويزيد عبارة «وسمعت» في التسوية بينها (٢٠١)

وأشار الى أحاديث ابن عباس، وأنس وأبى هريرة في الباب في رواية  
النبي صلى الله عليه وسلم عن ربه فقد وصلها في كتاب «التوحيد» واراد  
بذكرها ههنا التنبيه على العنعنة، وأن حكمها الوصل عند ثبوت اللقي (٢٠٢)

---

(١٩٩) الفتح ص ٢١٣ ج ١  
(٢٠٠) المصدر السابق ص ١٤٩ — ١٥٠ — الفتح  
(٢٠١) الفتح ص ١٥٦ — ١٥٧  
(٢٠٢) فتح البادي ج ١ ص ١٥

وذكر ابن حجر أنه يستفاد من الحكم بصحة ما كان ذلك سبيله، صحة الاحتجاج بمراسيل الصحابة لأنه الواسطة بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين ربه فيما لم يكلمه به - ومثل ليلة الأسراء جبريل - وهو مقبول قطعاً، والواسطة بين الصحابة وبين النبي صلى الله عليه وسلم، مقبول اتفاقاً، وهو صحابي آخر، واحترس فقال: «وهذا في أحاديث الأحكام دون غيرها فإن بعض الصحابة ربما حملها عن بعض التابعين، مثل كعب الأحبار (٢٠٣) وأشار ابن حجر إلى حديث ابن عمر قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ان من الشجر... الحديث فأن قيل» فن أين تظهر مناسبة - حديث ابن عمر للترجمة؟ ومحصل الترجمة التسوية بين صيغ الأداء الصريحة، وليس ذلك بظاهر في الحديث المذكور؟!!

واجاب ان ذلك يستفاد من اختلاف الفاظ الحديث المذكور، ويظهر ذلك اذا اجتمعت طرقه، فان لفظ رواية عبد الله بن دينار المذكور في الباب «فحدثوني ماهي»؟ «فانبئوني وفي رواية ما لم عند المصنف في باب الحياء في العلم» «حدثوني ماهي» وقال فيها فقالوا أخبرنا بها» فدل ذلك على أن التحديث ولاخبار والانباء عندهم سواء وهذا لاخلاف فيه عند أهل العلم بالنسبة الى اللغة.. ومن أصرح الادلة فيه قوله تعالى «يومئذ تحدث أخبارها» الزلزلة/٤.

وقوله تعالى «ولا ينبك مثل خبير» فاطر/١٤

واما بالنسبة الى الاصطلاح ففيه خلاف، وجهرة كبيرة على قول أهل اللغة، منهم الزهري ومالك وابن عيينة ويحيى القطان، واكثر الحجازيين والكوفيين والمغاربة ورجحه ابن الحاجب في مختصره..

ونقل عن الحاكم أنه مذهب الاثمة الأربعة، ورأى آخرون اطلاق ذلك حيث يقرأ الشيخ من لفظه وتغييره حيث يقرأ عليه «وهو مذهب اسحق بن راهوية والنسائي وابن حبان، وابن منده وغيرهم.

---

(٢٠٣) صحيح مسلم ص ٤٩ جـ ..



ومنهم من فرق بين الصيغ بحسب اقتران التحمل، فيخصون التحديث بما يلفظ به الشيخ، والاخبار بما يقرأ عليه، وهذا مذهب ابن جريج والاوزاعي والشافعي، وابن وهب وجهور أهل المشرق..

ثم احدث اتباعهم تفصيلاً آخر، فمن سمع وحده من لفظ الشيخ أفرد فقال «حدثني» ومن سمع على غيره، جمع، ومن قرأ بنفسه على الشيخ أفرد فقال «أخبرني ومن سمع بقراءة غيره جمع، وكذلك خصصوا الانباء بالاجازة التي يشافه بها الشيخ مَنْ يُجيزه..

وكل هذا مستحسن وليس بواجب عندهم، وانما أراد التمييز بين احوال التحمل وظن بعضهم ان ذلك على سبيل الوجوب فتكلفوا في الاحتجاج له وعليه بما لا طائل تحته قال نعم يحتاج المتأخرون إلى مراعاة الاصطلاح المذكور لئلا يختلط، لأنه صار حقيقة عرفية عندهم، فَمَنْ تَجَوَّزَ عَنْهَا احتاج الى الإتيان بقرينة تدل على مراده والا فلا يؤمن اختلاط المسموع على غير حقيقة بعد تقرير الاصطلاح، فيحمل مايرد من الفاظ المتقدمين على محل واحد بخلاف المتأخرين (٢٠٤)

واضاف ابن حجر فوائد أخرى منها امتحان العالم أذهان الطلبة بما يخفي، وبيانه لهم ان لم يفهموه، فذلك كما ذكر، ليس من الأغلوطات التي نهى عنها النبي صلى الله عليه وسلم فيما أخرج ابوداود من حديث معاوية رضى الله عنها (٢٠٥) مستظهرا يقول الاوزاعي (٢٠٦) «ان الأغلوطات هي صعاب المسائل» فإن ذلك محمول على مالا نفع فيه، أو ماخرج على سبيل تعنيت المسؤول أو تعجيزه، وفي الحديث: الحفص على الفهم في العلم واستحباب الحياء ما لم يؤد الى تفويت مصلحة ولهذا تمنى عمر أن كان ابنه لم يسكت، وفيه دليل؟ على بركة النخلة، وماثمره، وعلى جواز بيع الجمار، لأن ماجاز أكله جاز بيعه، وأكد أبين بطلان أن ذلك من المجمع عليه، وأجيب بان ذلك لا يمنع من التنبيه عليه، لأنه

(٢٠٤) المسند

(٢٠٥) الفتح ص ١٥٢ ج ١

(٢٠٦) ص ١٥٣ الفتح

ورد بعد حديث النهي عن بيع الثمار حتى يبدو صلاحها .. وفيه دليل على جواز تجمير النخل، وقد بوب البخاري عليه في باب الاطعمة لثلا يظن ان ذلك من اضاءة المال ..

واورد تفسير قوله تعالى «.. كلمة طيبة كشجرة طيبة..» ابراهيم/٢٤ —

٢٥

اشارة الى ان الشجرة المضروبة مثلاً هي النخلة (٢٠٧)، وذكر كلاماً طيباً عن شبهها والمسلم .. وفي الحديث ضرب الأمثال والأشباه لزيادة الإفهام، وتصوير المعاني لترسخ في الذهن، ولتحديد الفكر في النظر في حكم الحادثة، وفيه أن تشبيه الشيء بالشيء لا يلزم أن يكون نظيره من كل الوجوه، فإن المؤمن لا يماثله شيء من الجمادات ولا يعادله، وفيه توتير الكبير، وتقديم الصغير أباه في القول، وأنه لا يبادره بما فهمه وان ظن أن الصواب، وفيه أن العالم قد يخفى عليه ما أدركه من هودونه .. الى ما وراءها من الآداب التي نود ان تقدم عليها فنون الحديث.

### ٣٩ — باب طرح الامام المسألة على اصحابه ليختبر ما عندهم من العلم

اورد فيه حديث ابن عمر، وبين أنه ليس تكراراً من البخاري، لا يراده له من طريق آخر، وهي فائدة جليلة حقاً تدفع اعتراض من يدعى التكرار على الامام و يرد دعوى الكرمانى بتقليد البخاري في تكريره لشيوعه، وذلك يدفعه ما طبق الآفاق من جودة البخاري وحسن تصرفه في تراجم به (٢٠٨)

٤٠ — باب القراءة والعرض .. ولم نتناول الكلام في الباب قبله ولقاء ماتقدمه به والحمد لله.

قال ابن حجر: غاير بين القراءة والعرض بالعطف بالواو، لما بينهما من

العموم والخصوص وبين ذلك قائلا «لأن الطالب اذا قرأ كان أعم من العرض وغيره، ولا يقع العرض الا بالقراءة، لأن العرض عبارة بما يعرض به الطالب أصل

(٢٠٧) الفتح/ ١٥٣

(٢٠٨) المصدر السابق ١٥٣ — ١٥٤

شيخه معه أو مع غيره بحضرته فهو أخص من القراءة.. وتوسع فيه بعضهم فأطلعة على ما إذا أحضر الأصل لشيخه فنظر وعرف صحته، وأذن له أن يرويه عنه من غير أن يحدث به أو يقرأه الطالب عليه.

قال ابن حجر.. والحق أن هذا يسمى عرض المناولة بالتقييد لا الاطلاق، وقد كان بعض السلف لا يعتدون إلا بما سمعوه من الفاظ المشايخ دون ما يقرأ عليهم، ولهذا بوب البخاري على جوازه وأورد فيه قول الحسن «لأبأس بالقراءة على العالم» ثم أسنده اليه بعد أن علّقه وعاد يثبت أن السماع لا خلاف فيه، وأن القراءة جائزة (٢٠٩) وبعد عرض طويل قال «وبذا انقرض الخلاف في أن القراءة على الشيخ لا تجزىء، وأورد قول الخطيب البغدادي عن إبراهيم بن سعد لأهل العراق «لا تَدْعُون تنطعكم يا أهل العراق، العرض مثل السماع» وكان أهل المدينة يرون أن القراءة على الشيخ أرفع من السماع من لفظه «وتعللوا بأن الشيخ لو سها لم يتهيأ للطالب الرد عليه» وقرر ابن حجر «أن السماع من لفظ الشيخ أرفع رتبة من القراءة عليه ما لم يعرض عارض يصير القراءة عليه أولى، ومن ثم كان السماع من لفظه في الاملاء أرفع الدرجات لما يلزم منه من تحرز الشيخ والطالب (٢١٠)

#### ٤١ — خبر الواحد

في حديث ضمام في الباب العمل بخبر واحد ولا يقدر فيه مجيئ ضمام مثبتاً، لأنه قصد اللقاء والمشافهة، وكان ابن حجر قد قال في ص ١٦١ «واستنبط منه الحاكم — من حديث ضمام — اصل طلب علو الاسناد، لانه سمع ذلك من الرسول صلى الله عليه وسلم مشافهة» وقد رجع ضمام الى قومه وحده فصدقوه وآمنوا كما وقع في حديث ابن عباس.. وذلك كاف في الدلالة على العمل بخبر الواحد..

(٢٠٩) ص ٢٨٨ ج ٢ سنة أبي داود الطبعة الاولى للحلي  
(٢١٠) شيخ الاسلام أبو عمر (٨٨ — ١٥٧هـ)

## ٤٢ — باب ما يذكر في المناولة وكتاب أهل العلم بالعلم الى البلدان..

هذا وجه من وجوه التحمل — وهو المناولة بعد تقرير السماع والعرض، وصورتها أن يعطى الشيخ الطالب الكتاب، فيقول له: هذا سماعي من فلان، أو هذا تصنيفي فاروه عني»

قال: والمكاتبة من وجوه التحمل، وهي أن يكتب الشيخ حديثه بخطه، أو يأذن لمن يثق به بكتبه ويرسله بعد تحريره الى الطالب، و يأذن له في روايته عنه، وقد سوى المصنف بينها وبين المناولة ورجح قوم المناولة عليها لحصول المشافهة فيها بالإذن دون المكاتبة.

ومن قول أنس «نسخ عثمان المصاحف، اخذوا تسويغ الرواية بالمكاتبة، فأذن عثمان امرهم بالاعتماد على ما في تلك المصاحف، ومخالفة ما عداها، والمستفاد من بعثه المصاحف الى الأمصار إنما هو اسناد صورته المكتوب فيها الى عثمان، لا أصل ثبوت القرآن، فإنه متواتر عندهم ( ) وفي حديث ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث بكتابه رجلاً وأمره أن يدفعه الى عظيم البحرين» وجه الدلالة على المكاتبة ظاهر، ويمكن أن يستدل به على المناولة، من حيث ان النبي صلى الله عليه وسلم ناول الكتاب لرسوله، وأمره أن يُخبر عظيم البحرين بأن هذا كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإن لم يكن سمع مافيه ولا قرأه.

«وفي حديث أنس» فقليل له — للنبي صلى الله عليه وسلم — [انهم لا يقرأون كتاباً الا محتوماً] تعرف فائدة ابراده هذا الحديث في هذا الباب وهي انه ينبه على أن شرط العمل بالمكاتبة ان يكون الكتاب محتوماً ليحصل الأمن من توهيم تغييره، لكن قد يستغنى عن ختمه اذا كان الحامل عدلاً موثقاً

قال ابن عبد البر رحمه الله «لم يذكر المصنف من أقسام التحمل، الاجازة المجردة عن المناولة أو المكاتبة ولا الوجداء، ولا الأعلام المجردات عن الاجازة، وكأنه لا يرى شيئاً منها»

قال «وقد ادعى ابن منده أن كل ما يقول البخاري فيه . قال لى: فهي اجازة ورد ابن حجر هذه الدعوى بدليل أنه استقرى كثيرا من المواضع التي يقول فيها البخاري قال لى، فوجده في غير الجامع يقول فيها .. حدثنا .. والبخاري لا يستجيز في الاجازة اطلاق التحديث، فدل على أنها عنده من المسموع، لكن سبب استعماله. لهذه الصيغة ان يفرق بين ما يبلغ شرطه وما لا يبلغ (٢١١)

#### ٤٣ — باب من قعد حيث ينتهى به المجلس ومن رأى فرجة في الحلقة فجلس فيها

قال ابن حجر مناسبة هذا الكتاب للعلم من جهة أن المراد بالمجلس وبالحلقة، حلقة العلم ومجلس العلم، فيدخل في أدب الطالب .. والتراجم الماضية كلها تتعلق بصفات العالم (٢١٢) ومطابقة الترجمة للحديث جلية، وفي الحديث أريد منها، وهو خبر الذي أعرض وتولى .. والثلاثة رجال يقول فيهم ابن حجر — رحمه الله — «ولم اقف في شيء من طرق هذا الحديث على تسمية واحد من الثلاثة المذكورين» (٢١٣) وحسب الناس منهم بيان أحوالهم ومآلهم !!

#### باب قول النبي صلى الله عليه وسلم رب مُبَلِّغ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ

أورد الامام البخاري معنى هذا الحديث المعلق في هذا الباب، واما لفظه فموصول عنده في باب الخطبة بنى من «كتاب الحج» وذكر ابن حجر الحديث وفي نهاية هذا اللفظ الذي في الترجمة و يظهر من طرق الحديث في الباب وفي الحج وفي الفتن ان بعضهم رواه بطوله لقربه كأبي بكره لأنه كان ممسكا بخطام باقة رسول الله صلى الله عليه وسلم، بينما رواه ابن عباس مختصرا .. أو أن الرسول كرر الخطبة، فان صح ذلك ففي غير يوم النحر، لاحتياج ذلك لدليل كما قال ابن حجر — وفي الحديث جواز التحمل قبل كمال الأهلية، وأن الفهم ليس شرطا في الأداء وأنه قد يأتي في الآخر من المتقدم من يكون أفهم ممن تقدمه لكن بقلة ..

(٢١١) الفتح ص ١٤٦ طبعة السلفية

(٢١٢) ص ١٤٧ — ١٤٨ «الفتح» السلفية

(٢١٣) ١٤٩ — ١٥٠ السلفية وفيها تحقيق كلمة الحسن من سياق الخطيب عن احمد بن حنبل رحمه الله.

واستنبط ابن المنير من تعليل كون المتأخر أرجح نظرا من المتقدم، أن تفسير الراوى أرجح من تفسير غيره — (٢١٤)

#### ٤٤٠ — باب العلم قبل القول والعمل..

أسلفت لك قول على رضوان الله عليه وقول الغازلي كذلك فيا لعلم والعمل وأن تقدم العلم ضروري على القول والعمل كما ترجم الامام البخاري ههنا وابن المنير يدعم ذلك فيقول «أراد به أي بهذا الذي ترجم به وبتقديم العلم — أن العلم شرط في صحة القول والعمل، فلا يعتبران الا به، فهو متقدم عليهما لأنه مصحح للنية المصححة للعمل»

قال ابن حجر «فنه المصنف لذلك حتى لا يسبق الى الذهن من قولهم إن العلم لا ينفع الا بالعمل» تهوين أمر العلم، والتساهل في طلبه،

«ولقد بدأ الله بالعلم في قوله «فأعلم أنه لا آله الا الله» ثم ثنى بالعمل في قوله «واستغفر لذنبك» وفي الآية دليل شرف العلم كما قال سفيان بن عيينة، «ألم تسمع أن الله بدأ به فقال «اعلم» كما فهم من كلام أبي نعيم في الحلية.

وقد ذكر المصنف مع الآية «وأن العلماء ورثة الأنبياء الى قوله «بحظ وافر» وذكر من حسنوا هذا الحديث ومن ضعفه ومستندهم في التضعيف، ثم قال ابن حجر ولكن له شواهد يتقوى بها.. وقال

ولم يفصح المصنف بكونه حديثا، فلهذا لا يُعَدّ في تعاليقه، لكن ايراده له في الترجمة يُشعرُ بأن له أصلا، وشاهده في القرآن «ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا» (٢١٥)

وذكر ابن حجر مناسبة ذلك للترجمة «.. من جهة أن الوارث قائم مقام المورث، فله حكمه فيما قام به (٢١٦)

(٢١٤) المصدر السابق ص ١٥٨ ط الحلبي

(٢١٥) ص ١٦٣ — ط الحلبي

(٢١٦) ص ١٦٥ ط الحلبي

قال ابن حجر «اقتصر المصنف في هذا الباب على ما أورده من غير أن يورد فيه حديثاً موصولاً على شرطه» فإما أن يكون بيّناً له ليورد فيه ما ثبت على شرطه.. أو يكون تعمد ذلك اكتفاء بما ذكر» اية (٢١٧)

وقد أسلفنا أن فيما قيل في تفسير الآية أو الآيات غنية، فكيف وقد قفّى عليها بأطراف من أحاديث ناقش فيها ابن حجر من ضعفوها وأورد شواهد تقويها»

#### ٤٥ — باب ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتخولهم «الترجمة»

استعمل في الترجمة معنى الحديثين اللذين ذكرهما، وذكر مناسبة الباب لما قبله من جهة ما حكاه أخيراً.. من تفسير الرّياني، ولعله قصد أن الرّياني لا يقال إلا لمن يكون عالماً معلماً كما في كلمة ابن الأعرابي، وفي الحديث «تعاهدكم بالموعظة» كي يعلموا ويعلموا ويترشدوا.. وفي الذي قبله تشديد أبي ذر في أمر التبليغ المناسب لما قبله من الأمر بالتبليغ» وأضاف ابن حجر جديداً وهو قوله «والغالب في أبواب هذا الكتاب — العلم — لمن امعن النظر فيه أنه لا يخلو من ذلك» أي تناسب الأبواب وترابطها.. وقد نفى بالدليل توهم التدليس عن الأعمش في رواية الحديث الأول، وذكر أن اجتماع الروایتين في الباب يشير إلى أن إيراد الثانية وإن كانت نازلة فإنها تركت للرواية الأولى، أو أنه ينبه بإيرادها على عنايته بالرواية، من حيث أنه سمعه نازلاً، فلم يقنع حتى سمعه عالياً (٢١٨)

#### ٤٦ — باب من جعل لأهل العلم أياماً معلومة

هذا الباب بحديثه بسبيل من سابقه في التخول، بزيادة «كان عبد الله يذكر الناس في كل يوم خميس» ورواية «يوماً معلوماً» كأنه الخميس المأخوذ من

---

(٢١٧) ص ١٦٥ ط الحلبي

(٢١٨) ص ١٦٧ ط الحلبي

صنيع ابن مسعود أو استنباط عبد الله ذلك الحديث الذي أورده.. وقال ابن حجر وحديث ابن مسعود هذا كل رواته كوفيون، وحديث انس في الباب قبله كل اسناده بصريون.. (٢١٩)

#### ٤٧ — باب من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين..

الترجمة تتعلق بأحاديث هذا الباب من جهة اثبات الخير لمن تفقه في دين الله، وأن ذلك لا يكون بالاكْتساب فقط، بل لمن يفتح الله عليه به «وأكد ابن حجر أن هذا الجنس لا يزال موجوداً في الناس حتى تقوم الساعة، وروى جزم البخاري أن المراد بهم أهل العلم بالآثار «وكلمة الامام احمد «ان لم يكونوا أهل الحديث فلا أدري من هم»؟

وقد يُعين الله على ايراد مزيد من القول في شرح يأتي ان شاء الله لهذا الحديث

#### ٤٨ — باب الفهم في العلم

وهو يعنى فضل الفهم في كل علم نافع، ومناسبة الحديث للترجمة أن ابن عمر لما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم المسألة عند احضار الجمار اليه، فهم أن المسئول عنه، النخلة.. فالفهم فطنة يفهم بها صاحبها من الكلام ما يقترب به من قول أو فعل.

وذكر حديث الرسول الذي فطن أبو بكر فيه وفهم أن النبي هو المخير، وأن إيثار الرسول الرفيق الأعلى قد حان حينه.

وحديث الباب يبرز — كما قال ابن حجر — ما كان بعض الصحابة عليه من توقى الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الا عند الحاجة خشية الزيادة والنقصان، وهذه كانت طريقة عمر وابن عمر وما كثرت احاديث ابن عمر مع ذلك الا لكثرة من كان يسأله ويستفتيه لمزيد ورع.. (٢٢٠)

---

(٢١٩) ص ١٦٩ ط الحلبي  
(٢٢٠) الآية ٣٢ — فاطر



#### ٤٩ - باب الاغتياب في العلم والحكمة.. وقال عمر، تفقهوا قبل ان تسودوا

أشار ابن حجر الى ما في الترجمة من شبه بين ترجمة «بالموعظة والعلم» وقال لكن هذا عكس ذلك، وأكد المس اشتراك العلم في الترجمتين، وأن الموعظة.. لا تعمل عملها الا من وجوه الحكمة فيها، كما أن الحكمة لا يُستاهل اسمها حتى تكون واعظة هادية و يبقى بعد ذلك ما يقال في العلم والحكمة من فروق العموم والخصوص أو الترادف حيث يكون عطف أحدهما على الآخر عطف تفسير.

وأورد مخرج قول عمر ومعناه، وقال وإسناده صحيح وأن البخاري عقب عليه بقوله «و بعد ان تُسَوِّدوا وبيّن مراد عمر فيه

وساق ابن حجر قول ابن المنير في موافقة الترجمة لقول عمر رضى الله عنه وأنها مطابقة له، فانه جعل السيادة من ثمرات العلم، وأوصى الطالب باغتنام الزيادة قبل بلوغ درجة السيادة وذلك يحقق استحقاق العلم بأن يغبط صاحبه فإنه سبب لسيادته.

وذكر ابن حجر ما بداله من مراد البخاري «ان الرياسة وان كانت مما يغبط بها صاحبها في العادة لكن الحديث دل على أن الغبطة لا تكون الا بأحد أمرين: العلم والجود.... ولا يكون الجود محمودا الا اذا كان بعلم، وتكلم عن الغبطة بعامة والحسد كذلك وعنهما في الحديث» (٢٢١)

#### ٥٠ - باب ما ذكر في ذهاب موسى صلى الله عليه وسلم في البحر الى الخضر - وقوله تعالى هل أتبعك....

أشار ابن حجر الى التناسب بين الباب والذي سبقه، فان الباب معقود للترغيب في احتمال المشقة في طلب العلم، لأن ما يغبط، تحتل المشقة فيه، ولان موسى عليه السلام لم يمنعه بلوغه من السيادة المحل الأعلى، من طلب العلم، وركوب البر والبحر لأجله.. قال

(٢٢١) الفتح جـ ١ ص ١٦٩ ط الحلبي

«وظاهر التبويب ان موسى ركب البحر لما توجه الى الخضر، وفيه نظر، لأن الذي ثبت عند المصنف وغيره أنه خرج في البر بدليل ماسيأتي بعد بلفظ «فخرجوا يمشيان» وجوز الظاهر بتقدير «في ساحل البحر» (٢٢٢)

قال ابن حجر «لعله قوى عنده» أحد الاحتمالين في قوله «فكان يتبع أثر الحوت في البحر فالظرف يحتمل ان يكون لموسى، ويحتمل ان يكون للحوت، واستظهر للأول بما جاء عن أبى العالية وغيره مما يفهم من نصه أن توصل موسى الى جزيرة فيها الخضر لا يقع الا بسلوك البحر غالباً، وحكمة غالباً في عصر هؤلاء فتح رباني فهي احتراس يومئذ لما عرف من بعد من الوصول الى الجزيرة التي هي يابسة في ماء بوسائل اخرى غير الماء..

ورواية أخرى في الاحتمال الأول في رواية عنده من طريق الربيع بن أنس قال «فانجاب الماء عن مسلك الحوت فصارت طاقة مفتوحة فدخلها موسى على اثر الحوت حتى انتهى الى الخضر، فهذا يوضح أنه ركب البحر اليه — وهذان الأثران الموقوفان رجالهما ثقات (٢٢٣)

#### ٥١ — باب قول النبي صلى الله عليه وسلم «اللهم علمه الحكمة»

ابرز ابن حجر من استعمال لفظ الحديث ترجمة تمسك البخاري رحمه الله بأن ذلك لا يختص جوازه بإبن عباس، والضمير على هذا لغير مذكور، ويحتمل ان يكون لابن عباس نفسه لتقدم ذكره في الحديث قبله اشارة الى أن الذي وقع لابن عباس من غلبته الحربين قيس انما كان بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم. (٢٢٤)

#### ٥٢ — متى يصح سماع الصغير؟!

هذه الترجمة بأسلوب الاستفهام كما تقدم في بيان أقسامها، قال ابن حجر ومقصود الباب الدلالة على أن البلوغ ليس شرطاً في التحمل، ونقل قول

(٢٢٢) ص ١٧١ — ١٧٢ طبعة الحلبي

(٢٢٣) الفتح ص ١٧٣ ط الحلبي

(٢٢٤) ص ١٧٤ طبعة الحلبي

الكرماني ان معنى الصحة — هنا أي في الترجمة.. جواز قبول مسموعه قال ابن حجر «وهذا تفسير لثمرة الصحة لا لنفس الصحة وذكر رحمه الله ما انتهى إليه الخطيب «الكفاية» من كلام عبد الله بن احمد وغيره فقال «قال يحيى:

«اقل سن التحمل خمس عشرة سنة لكون ابن عمر رد يوم أحد اذ لم يبلغها» فبلغ ذلك احمد فقال «بل اذا عقل ما يسمع وانما قصة ابن عمر في القتال ثم أورد الخطيب أشياء مما حفظها جمع من الصحابة ومن بعدهم في الصغر، وحدثوا بها بعد ذلك وقبيلت عنهم» قال وهذا هو المعتمد.. وذكر أقوالا ومواقف تؤيد المعتمد، وتؤكد أن من ردهم الرسول غير ابن عمر في القتال، كان لما لا بد ان يُلحظ في المقاتل من قوة و بصر بالحرب وذلك فظنته البلوغ، اما السماع فيقصد به الفهم وفظنته التيقن، وقد احتج الأوزاعي لهذا بحديث «مروهم بالصلاة لسبع» (٢٢٥)

وفي الحديث ما ترجم له أن التحمل لا يشترط فيه كمال الأهلية، وإنما يشترط عند الأداء و يلتحق بالصبي في ذلك العبد والفاسق والكافر (٢٢٦)

وقامت حكاية ابن عباس لفعل النبي صلى الله عليه وسلم وتقريره مقام حكاية قوله، اذ لا فرق بين الأمور الثلاثة في شرائط الاداء.

وساق ايراد أن التقييد بالصبي والصغير في الترجمة لا يطابق حديث ابن عباس وجواب الكرماني: ان المراد بالصغير غير البالغ وذكر الصبي معه من باب التوضيح (٢٢٧)

ومحمود بن الربيع في الحديث كان ابن خمس سنين كما قال المصنف أو اربع كما ذكر ابو عمر في الاستيعاب (٢٢٨)

وعرض ابن حجر اعتراض المهلب على البخارى لكونه لم يذكر هنا حديث ابن الزبير في رؤيته والده يوم بنى قريظته ومراجعته له في ذلك، ففيه

(٢٢٥) الفتح ط ص ١٧٤ — ١٧٥ — الحلبي

(٢٢٦) ١٧٥ — ١٧٦ — الفتح — الحلبي

(٢٢٧) ١٧٧ — الفتح — الحلبي

(٢٢٨) الفتح — ١٧٧ — ١٧٨ — الحلبي

السماع منه، وكان سنه إذ ذاك ثلاث سنين أو أربعاً فهو اصغر من محمود، قال —  
وليس قى قصة محمود سماعه فكان ذكر حديث ابن الزبير أولى لهذين المعنيين ..  
واجاب ابن المنير. بأن البخارى انما أراد نقل السنن النبوية لا الأحوال الوجودية،  
ومحمود نقل سنة مقصودة فى كون النبى صلى الله عليه وسلم مج مجة في وجهه،  
بل فى مجرد رؤيته إياه فائدة شرعية تثبت كونه صحابياً، اما قصة ابن الزبير  
فليس فيها نقل سنة من السنن النبوية حتى تدخل فى هذا الباب» (٢٢٩) وقال  
ابن حجر وهو جواب مسدد .. وهذه فوائد أوردها ابن حجر فى هذا الحديث ..  
جواز احضار الصبيان مجالس الحديث، وزيارة الامام لأصحابه فى دورهم  
ومداعبة صبيانهم، واستدل به بعضهم على تسميع من يكون ابن خمس وما كان  
دونها، يكتب له حضور»

قال ابن حجر «وليس فى الحديث ولا تبويب البخاري ما يدل عليه،  
بل الذى ينبغى فى ذلك اعتبار الفهم، فمن فهم الخطاب سمع وإن كان دون ابن  
خمس، وإلا فلا»

قال ابن رشيد الظاهر أنهم أرادوا بتحديد الجنس أنها مظنة ذلك، الا أن  
بلوغها شرط لا بد من تحققه «قال ابن حجر» وقرىب فيه ضبط الفقهاء سن التمييز  
بست أو سبع والمرجح أنها مظنة لا تحديد، وذكر ابن حجر أن المرء فى ذلك كله  
إلى الفهم، وهو يختلف من شخص الى آخر وأورد كلام الخطيب عن ابى عاصم  
أنه ذهب بابه وهو ابن ثلاث سنين الى ابن جريح فحدثه (٢٣٠)

### ٥٣ — باب الخروج فى طلب العلم

مطابقة الترجمة للحديث تامة، فقد سافر جابر رضوان الله عليه الى عبد  
الله ابن أنيس فى الشام كما فى الأدب المقرد للمصنف فى حديث واحد وأخرجه

(٢٢٩) ١٧٩ الحلبي  
(٢٣٠) الفتح/ ١٨٠ الحلبي

أحمد وأبويعلی فی مسندیہما عن طریق عبد اللہ بن محمد بن عقیل أنه سمع جابر بن عبد اللہ يقول وذكر حديث رحلته إلى ابن أنيس في الشام .. وله طريق أخرى أخرجه الطبراني في مسند الشاميين، وتمام في فوائده من طريق الحجاج بن دينار عن محمد بن المذكور عن جابر وكانت رحلته إلى مصر في طلب حديث القصاص .. وبرز ابن حجر التزام البخاري لقاعدته المشهورة «أن البخاري حيث يعلق بصيغة الجزم يكون صحيحاً، وحيث يعلق بصيغة التريض يكون فيه علة» وقد علقه بالجزم هنا .. ثم أخرج طرفاً من متنه في كتاب «التوحيد» بصيغة التريض فقال و يذكر عن جابر عن عبد الله بن أنيس .. الحديث. قال ابن حجر «ودعوى نقض البخاري لقاعدته مردودة، والقاعدة بحمد الله غير منتقضة، ونظر البخاري أقوى من أن يعترض عليه بمثل هذا فإنه حيث ذكر الارتحال فقد جزم به لأن الإسناد حسن، فقد اعتضد، وحيث ذكر طرفاً من المتن لم يجزم به لأن لفظ الصوت مما يتوقف في إطلاق نسبته إلى الرب .. حتى قال «ومن هنا يظهر شفووف علمه ودقة نظره وحسن تصرفه رحمه الله .. وابن حجر يرى حديث جابر دليلاً على طلب علو الإسناد، لأنه بلغه الحديث عن عبد الله بن أنيس فلم يقتعه حتى رحل إليه فأخذه عنه بلا واسطه (٢٣١)

#### ٥٤ — باب فضل من علم وعلم

الترجمة نص في الحديث وليس وراء ذلك تطابق يبحث عنه، ومحمد بن العلاء هو أبو كريب مشهور بكنيته أكثر من اسمه، وكذا شيخه أبو أسامة، وأبو بردة هو ابن الجاموس الأشعري رضي الله عنه، وأبو بردة جد أبي أسامة .. وقد قال في السياق عن أبي بردة عن أبي موسى ولم يقل عن أبيه تفنناً، والإسناد كلهم كوفيون (٢٣٢) وفي الحديث أقسام الناس أمام الرسالة.

---

(٢٣١) ١٨١ الحلبي  
(٢٣٢) الفتح/ ١٨١ — الحلبي

## ٥٥ - باب رفع العلم وظهور الجهل

الترجمة واردة بالنص و بالفحوى فى حديثى الباب، ومقصود المصنف الحث على تعلم العلم فإنه لا يرفع إلا بقبض العلماء كما هو نص فى أحاديث ذوات طرق، وربيعه هو الفقيه المدنى ابن أبى عبد الرحمن، قيل له ربيعة رأى لا اشتغاله بالاجتهاد بكثرة، ومراد ربيعة بما قال .. أن من كان فيه فهم وقابلية للعلم لا ينبغي له أن يهمل نفسه فيترك الاشتغال لئلا يؤدي ذلك إلى رفع القلم»

وذكر ابن حجر عتّة مرادات لربيعة «آثر منها» تعظيم العلم وتوقيره، فلا يهين نفسه بأن يجعله عرضاً للدنيا .. قال: وهذا معنى حسن .. لكن اللائق بتبويب الباب ما تقدم قال «وقد وصل اثر ربيعة المذكور الخطيب فى الجامع، والبيهقى فى المدخل من طريق عبد العزيز الأويسى، عن مالك، عن ربيعة (٢٣٣) ورجال هذين الاسنادين كلهم بصريون، وقد كان أنس آخر من مات من الصحابة فى البصرة، وكان تحديثه بهذا الحديث فى آخر عمره، ولم يكن هذا المتن فى مروي أحد من الصحابة ممن ثبت سماعه من النبى صلى الله عليه وسلم، ويحتمل أن يكون المراد بقلة العلم» أول العلامة، ورفعه آخرها إذ اطلقت القلة وأريد بها العدم، كما يطلق العدم ويراد به القلة . قال ابن حجر .. وهو الالئق لاتحاد المخرج والنص على كثرة النساء فى إشراف الساعة من الحديث، أورد فيه ابن حجر معانى وناقشها وساق العلة من حديث أبى موسى فى الزكاة وفيه «من قلة الرجال وكثرة النساء» .. وهذه العبارة نص لا بيان علة.

قال ابن حجر .. والظاهر أنها علامة محضة لا لسبب آخر، بل يقدر الله فى آخر الزمان أن يقل من يولد من الذكور ويكثر من يولد من الإناث .. وذلك تدبيره وتقديره وهو العزيز العليم. قال «وكون كثرة النساء من العلامات مناسبة لظهور الجهل ورفع العلم ..» (٢٣٤) فإن ما قُطِر الله عليه النساء من الحياء من

(٢٣٣) الفتح/ ١٨١ - ١٨٢ الحلبي  
(٢٣٤) الفتح ج١ ص ١٨٢

جهة، وما هو من اخلاق الذكور في الزمن الاخير من انحلال من ربة الاسلام .. وإن اعان على ذلك بعض من لا يتقين الله بترك التزام التصون والاحتشام — من دواعي ظهور الجهل وندرة العلم، والعلم النافع بخاصة وهو العلم الشرعى .. فتى يبصرون ونبصر هدايات الاسلام؟ وتوجيهات الرسول عليه الصلاة والسلام؟

ومن الضروري تأمل قوله صلى الله عليه وسلم «حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد» فإن ذلك يسكت هدير الباطل وضجيج الاثم الذى يعلو على حقائق الفطرة، وعلى هدايات الله للزوجين الذكر والأنثى، فلا بد من قوامة أبرزها كتاب الله فى سورة النساء «الرجال قوامون على النساء» لا اعتسافاً ولكن للأسباب الإلهية التى اجملتها الآية، ومن الناس من يمارى فى أولاهها، ويقول فى الأخرى ان شقائق الرجال يكتسبون اليوم و ينفقن، و ياولى الحياة من أعمال تكسب منها بعض بنات حواء و ينفقن!!

ومرة أخرى، فلم تعد كثرة النساء تخفى على أحد، فأنعم النظر فيما حولك ومن حولك تُلَف الحقيقة الدالة، وان جادل ذلك فيها من درسوا الاحصاء على قواعد دول الكفر ومناهجها ونظراتها المادية المعروفة.

«ما يجادل فى آيات الله إلا الذين كفروا فلا يغررك تقلبهم فى البلاد» غافر/ ٤ تقول جريدة الاهرام فى ١٩٧٤/١/٩ م تحت عنوان «نساء العالم فى زيادة مستمرة !!» تشير الاحصائيات الدولية (!!!) إلى أن النساء فى العالم يزددن بدرجة ملحوظة على عدد الرجال، وان هذه الزيادة مستمرة ..

ففى أمريكا أصبح عدد النساء يفوق عدد الرجال بنسبة ٣٠٪ وفى السويد بنسبة ٢٤٪ و يوجد فى بريطانيا الآن ١٥ مليون أنثى مقابل ١١ مليون رجلا وفى الاتحاد السوفيتى تبلغ الزيادة فى تعداد الإناث فى سن الزواج عن عدد الرجال فى نفس السن ٩ ملايين فتاة!!

انقل هذا من قصاصاتي والجرائد المصرية تعلن هذا الأسبوع أن الاحصاء الأخير المعلن فى ابريل ١٩٧٧ قد اثبتت زيادة الإناث عن الذكور مليون أنثى!! فأين فهم القوم .. ياقوم؟!

ولقد استطردت فى مقام ينبغي أن يخلص لبيان فنون البخارى فى كتاب العلم من صحيحه فعدرة .

ولأورد نظرة ابن حجر فى الأمور الخمسة فى رواية أنس لأهميتها . . قال «وكأن هذه الأمور الخمسة خصت بالذكر لكونها مشعرة باختلال الأمور التى يحصل بحفظها صلاح المعاش والمعاد، وهى الدين، لأن رفع العلم يخل به، والعقل لأن شرب الخمر يخل به والنسب لأن الزنا يخل به، والنفس والمال لأن كثرة الفتن تخل بهما. .» قال الكرمانى وإنما كان اختلال هذه الأمور مؤذنا بخراب العالم، لأن الخلق لا يتركون هملا، ولا نبى بعد نبينا صلوات الله عليه وسلامه عليهم، فيتعين ذلك وقد اشار رحمه الله إلى ما يمكن أن يقع فى آخر الزمان، مما فعله بعض ملوك التركمان من الخروج فى الزواج على أربع (٢٣٥)

#### ٥٦ - فضل العلم

قال ابن حجر . . الفضل هنا بمعنى الزيادة، والفضل الذى تقدم فى اول الكتاب من الفضيلة، فلا يكون تكرارا، وقد رد ابن حجر على ابن المنير لما قاله من الفضيلة غير المارة هنا - إذ كلمة «اعطيت فضلي عمر . .» بمعنى ما زاد عن حاجته صلوات الله عليه، وهو قدر يتفق والترجمة، وقد أول الرسول اللبن بالعلم ولا ريب أن الاشتراك بينهما فى النفع لا يخفى، (٢٣٦) واللبن كما ورد فى السنة أنفع الاغذية وأبركها، وقد قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى الاسراء (اخترت الفطرة) حين اختار اللبن كما فى الصحيح .

#### ٥٧ - باب الفتيا وهو واقف على الدابة وغيرها

المراد فتوى المفتى، و يبرز المصنف أن العالم يجيب سؤال الطالب ولو كان راكبا والمراد بالدابة فى الترجمة: كل ما يركب، اعم من المعنى اللغوى، وهو كل ما يمشى أو يدب على الأرض.

(٢٣٥) ١٨٣

(٢٣٦) الفتح ج١ ص ١٨٤



وأجاب على ما قد يقال «ليس في سياق الحديث ذكر الركوب» بأنه أحال به على الطريق الأخرى التي أوردها في الحج فقال «على ناقلته» ترجم له .. باب الفتيا على الدابة عند الجمرة فأورد الحديث عن طريق مالك عن ابن شهاب (٢٣٧) .

#### ٥٨ - باب من أجاب الفتيا بإشارة اليد والرأس

دار هذا الباب على ثلاثة أحاديث أولها لابن عباس وثانيها من رواية أبي هريرة والإشارة باليد فيها كما في الترجمة، وهما مرفوعان والحديث الثالث من رواية أسماء وفيه الإشارة بالرأس وهو من فعل عائشة رضي الله عن الجميع فيكون موقوفاً لكن له حكم المرفوع لأنها كانت تصلي خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان في الصلاة يرى مَنْ خلفه فيدخل في التقرير فطابقة الترجمة للأحاديث الثلاثة تامة.

#### ٥٩ - باب تحريض النبي صلى الله عليه وسلم وفد عبد القيس .. الترجمة

هذا الحديث تقدم في كتاب الايمان (٢٣٨) وقد أخرجه المصنف هناك عالياً عن علي بن الجعد عن شعبة ولم يتردد - كما تردد ههنا إلا في المزفت والمقبّر فقط، فهو هنا كما قال ابن حجر في قوله «قال شعبة وربما قال المقيّر» بالنون المفتوحة وتخفيف القاف المكسورة قال «وربما قال المقيّر» بالميم المضمومة، والقاف المفتوحة، والياء المشددة المفتوحة وليس المراد انه كان يتردد في هاتين اللفظتين ليثبت إحداهما دون الأخرى لأنه يلزم من ذكر «المقيّر» التكرار لسبق ذكر المزفت، لانه بمعناه، بل المراد انه كان جازماً بذكر الثلاثة الاولى، شاكا في الرابع وهو النقيض فكان تارة يذكره، وتارة لا يذكره، وكان ايضاً شاكا في التلفظ بالثالث، فكان تارة يقول المرفت، وتارة يقول المقيّر (٢٣٩)

(٢٣٧) الفتح ص ١٨٥ الحلبي

(٢٣٨) ص ١٨٨ الحلبي

(٢٣٩) الفتح ص ١٨٩ الحلبي

#### ٦٠ - باب الرحلة فى المسألة النازلة

تكلم ابن حجر عن الرحلة لغة بين فتح الرء اشارة إلى الارتحل مرة واحدة، وبضمها بمعنى الجهة وقد تطلق على من يرتحل إليه.

وذكر كلاماً عن الرواة تعريفاً بهم، وفى قوله «فركب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة مناط الرابطة بين الترجمة والمثنى - وفى كتاب النكاح التصريح بأن عقبة هو ابن الحارث (٢٤٠) وأشار رحمه الله إلى الفرق بين هذه الترجمة، وترجمة باب الخروج فى طلب العلم .. وقد تقدمت أن هذه خاصة، وتلك عامة، فقد خرج هنا لمعرفة حكم هذا الرضاع والخروج هناك كان لمسيرة شهر طلباً للعلم بعامة (٢٤١)

#### ٦١ - باب التناوب فى العلم

مقصود المصنف تناوب النزول .. كما يظهر فى قول عمر «كنت أنا وجار لى ..» وهو قد ذكر كاف فى بيان المطابقة بين الترجمة والمثنى، والحديث عن أبى اليمان وحده اتم فى كتاب النكاح (٢٤٢) وفى هذا الحديث الاعتماد على خبر الواحد، والعمل بمراسيل الصحابة وفيه ان شرط التواتر أن يكون مستند نقلته الامر المحسوس لا الإشاعة التى لا يُدرى من بدأ بها .. الفتح ص ١٩٥ - ١٩٦

#### ٦٢ - باب الغضب فى الموعظة والتعليم اذا رأى ما يكره

إن صدق الواعظ يبدو فى انفعاله هو وتأثره بالأمر الذى يفيض فيه قوله أمراً أو نهياً وهو فيما وراء ذلك راوٍ حكماً، أو مقدم تاريخاً يلزم ان يكون فيه واعياً يقطاً حتى يتضح ذلك على السامعين إليه والا كان العكس تماماً.

---

(٢٤٠) الفتح/ ١٨٩ - ١٩٠ ط الحلبي

(٢٤١) الفتح/ ١٩٠

(٢٤٢) الفتح/ ١٩٠ وفى صحيح البخاري ط الحلبي

قال ابن حجر «قصر المصنف النص على الموعظة والتعليم دون الحكم لأن الحاكم مأمور ألا يقضى وهو غضبان أما الواعظ فمن شأنه أن يكون في صورة الغضبان لأن موقفه يقتضى تكلف الانزعاج، لأنه في مقام المنذر .. أقول وهذا هو القدر الذى عنت ان يكون الواعظ منفعلا بما يتناول وقد يكون هذا الانفعال يعكس سرورا واستبشاراً!!!!

قال ابن حجر، وكذا المعلم اذا انكر على من يتعلم منه سوء فهم وغيره، لأنه قد يكون أدعى للقبول منه، وليس ذلك لازما فى حق كل احد بل يختلف باختلاف احوال المتعلمين وأما الحاكم فهو بخلاف ذلك كما ذكر المصنف فى كتاب الاحكام ص ١٦٧ ج ٤ صحيح البخارى طبعة الحلبي — وذكر ابن حجر أن قول الرسول وهو غضبان لرجل ابوك فلان إنه ليس حكماً، وإن كان حكماً فهو من خصوصياته صلى الله عليه وسلم لحل العصمة التى يستوى فيها غضبه ورضاه، ومجرد غضبه من الشىء امارة تحريمية او كراهته بخلاف غيره صلى الله عليه وسلم» (٢٤٣)

٦٣ — باب من برك على ركبته عند الامام او المحدث وفيه «بروك عمر رضوان الله عليه فقال .. ص ١٩٨

٦٤ — باب من اعاد الحديث ثلاثاً لِيُفْهَمَ فقال .. الترجمة لاحاديث الثلاثة فى الباب مبرزة للاعادة مطابقة للترجمة، .. وقوله «الا وقول الزور فزال يكررها» فيها الاعادة وكذا قول ابن عمر قال النبى صلى الله عليه وسلم «هل بلغت ثلاثاً فالمطابقة فى التكرار لا مريّة فيها» وابن حجر يرى ان ثلاثاً راجعة الى «قال» لا إلى بلغت «وقوله صلى الله عليه وسلم» الا وقول الزور طرف معلق — كما قال ابن حجر — من حديث ابى بكر فى الشهادات (٢٤٤) وفي الديات (٢٤٥)

(٢٤٣) شرح الفتح/ ١٤٣ وقد استنبط منه المصنف الاعتماد على اخبار الآحاد

(٢٤٤) الفتح ج/ ١٩٤

(٢٤٥) كتاب النكاح باب شهادة المرضع «صحيح البخارى بتعليق السندى جـ ٣ ص ١٧٤ وكتاب الشهادات جـ ٢ ص ٦٩ أيضا

وقول ابن عمر طرف من حديث مذكور في الحدود (٢٤٦) اوله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع «أى شهر هذا؟ فذكر الحديث». وقوله عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان.. أى من عادته، وأنس يخبر عما عرفه من شأن النبي، لا أن النبي صلى الله عليه وسلم اخبره بذلك، ويؤيد ذلك ان المصنف اخرجه في كتاب الاستئذان عن اسحق بسنده الى انس فقال «ان النبي صلى الله عليه وسلم كان..» كتاب الاستئذان ج ٤ ص ٦٤ صحيح البخاري ط الحلبي.

وارود ابن حجر قول ابن المنير به البخاري بهذه الترجمة على الرد على من كره اعادة الحديث، وانكر على الطالب الاستعادة وعده من البلادة، قال: والحق أن هذا يختلف باختلاف القرائح، فلا عيب على المستفيد الذي لا يحفظ من مرة اذا استعاد، ولا عذر للمفيد اذا لم يعد (٢٤٧) وتكرار السلام فى الاستئذان لا فى المرور كما قال الاسماعيلي .

قال ابن حجر وفد فهم المصنف هذا بعينه فأورد هذا الحديث مقرونا بحديث ابي موسى فى قصته مع عمر كما فى كتاب الاستئذان ج ٤ صحيح البخارى — لكن يحتمل ان ذلك التكرار كان يقع ايضا منه اذا اخشى انه لا يسمع سلامه، وليست الثلاث شرطا ، بل ما تم به التفهيم فيه كفاية (انظر ص ٢٧٥ — ٢٧٦ من كتاب الطهارة فى هذا الجزء من الفتح .

#### ٦٥ — باب تعليم الرجل أمته وأهله

قال ابن حجر مطابقة الحديث للترجمة نص فى الأمة، وقياس فى الأهل .. قال اذ الاعتناء بالأهل الحرائر فى تعليم فرائض الله وسنن رسوله أكد من الاعتناء بالاماء»

---

(٢٤٦) الفتح ١ — ١٧٥  
(٢٤٧) صحيح البخاري ج ٣ — ص ١١١

والحديث المفرد كما قال ابن حجر أخرجه البخارى لصالح بن حُيَيٍّ عن الشعبي من طرق منها فى الجهاد من طريق ابن عيينة قال حدثنا صالح بن حُيَيٍّ أبى حسين قال سمعت الشعبي .

واصرح من ذلك، انه اخرج الحديث المذكور فى كتاب «الأدب المفرد» بالاسناد الذى أخرجه هنا فقال صالح بن حُيَيٍّ (٢٤٨)

#### ٦٦ - باب عظة النساء وتعليمهن

هذا الباب يتفق فيه الترجمة والمتن، وهو عام فى تعليم الامام «ووعظه لعامة النساء بعد تعليم الرجل خاصة من اماء واهل، قال ابن حجر: نبه بهذه الترجمة على ان ما سبق من النذب الى تعليم الأهل ليس مختصاً بأهلهم بل ذلك مندوب للامام الاعظم ومن ينوب عنه (٢٤٩)

قال ابن حجر: واستفيد الوعظ بالتصريح من قوله فى الحديث فوعظهن وكانت الموعظة بقوله «انى رأيتكن اكثراهل النار..»

واستفيد التعليم من قوله «وامرهن بالصدقة» كأنه أعلمهن ان فى الصدقة تكفيراً لخطاياهن التى ذكرها سبباً لكونهن اكثراهل النار.

#### ٦٧ - باب الحرص على الحديث

فى الحديث حرص أبى هريرة على الحديث وفضله بهذا، والترجمة والمتن متطابقان، وقد لحظ ابن حجر من قول أبى هريرة «من أسعد ..» وقول النبى صلى الله عليه وسلم «اسعد الناس بشفاعتى» اموراً فهو يقول «ومعنى افعل فى قوله» اسعد الفعل، لا أنها افعل التفضيل أى سعيد الناس، كقوله تعالى «واحسن مقيلاً» الفرقان / ٢٤ ويحتمل ان يكون افعل التفضيل على بابها، وان كل احد يحصل له سعد بشفاعته، لكن المؤمن المخلص اكثر سعادة بها، فانه صلى

---

(٢٤٨) الفتح ١٩٧ - ١٩٨  
(٢٤٩) صحيح البخاري ص ٦٩ ج ٢

الله عليه وسلم يشفع في الخلق لراحتهم من هول الموقف، ويشفع في بعض الكفار بتخفيف العذاب كما صح في حق ابي طالب، ويشفع في بعض المؤمنين بالخروج من النار بعد ان دخلوها، وفي بعضهم بعدم دخولها بعد ان استوجبوا دخولها، وفي بعضهم بدخول الجنة بغير حساب، وفي بعضهم برفع الدرجات فيها، فظهر الاشتراك في السعادة بالشفاعة وأن اسعدهم بها المؤمن المخلص (٢٥٠)

#### ٦٨ - باب كيف يُقبض العلم؟

هذا لون في الترجمة بالاستفهام، والمراد كيفية قبض العلم، وقد سبق «رفع العلم» وههنا تتفق الترجمة بالاجابة على الاستفهام في الحديث التالي «يقبض العلماء» وفي الحديث الاول ابتداء تدوين السنه، وكانوا قبل ذلك يعتمدون على الحفظ، كذا قال ابن حجر (٢٥١) وكثيرون من العلماء يرون ان ذلك حكم غالبي، والا فقد كانت هناك صحف وكان هناك اذن لعدد من الصحابة بالتدوين والكتابة وقد ذكر ابن حجر عدة فوائد من الحديث وأشار الى مزيد في كتاب الاعتصام .

#### ٦٩ - باب هل يجعل للنساء يوما على حدثه في العلم

موافقة الترجمة وهي استفهام للمتن متطابقة إذ سألن النبي ان يجعل لهن يوما فوعدهن يوما لقين فيه « والذي يجعل هو الامام وفيه ان الاختيار له في اجابة طلبهن بتحديد اليوم الذي يراه هو، ونبه ابن حجر الى مزيد قول في الحديث الجنائز والاعتصام ..

#### ٧٠ - باب من سمع شيئا فراجع حتى يعرفه ..

المتن موافق للترجمة بشهادة ام المؤمنين عائشة كما يروى ابن مليكة، وشهادة قولها أو ليس الله يقول «فسوف يحاسب حساباً يسيراً» الانشقاق / ٨

(٢٥٠) صحيح البخاري جـ ٤ ص ١٣٨

(٢٥١) جـ ٤ ص ١٢٢ صحيح البخاري طبعة الحلبي

فعرّفها النبي صلى الله عليه وسلم «ان ذلك العرض —» اى عرض الناس على الميزان، لئتمايز اهل الاساءة واهل الاحسان، وفي الحديث حرص عائشة على القيم، وان الرسول لم تكن تضجره المراجعة النافعة، وفيه جواز المناظرة، ومقابلة السنة بالكتاب، وان السؤال فى مثل ذلك لم يدخل فيما تُهَيّى الصحابه عنه فى قوله تعالى «لا تسألوا عن اشياء» المائدة / ١٠١ واورد ابن حجر حديث أنس كُتِّا نهينا ان نسأل رسول الله عن شيء وذكر رحمه الله ما وقع من مثل ذلك لغير عائشة رضى الله عنها .. (٢٥٢)

#### ٧١ — باب ليبلغ العلم الشاهد الغائب قاله ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم:—

الشاهد هنا الحاضر اى ليبلغ من حضر من غاب وهو المعنى المشترك بين الترجمة والمتن والعلم «ليس في رواية ابن عباس ولا غيره كما يقول ابن حجر، ولكنه بمعناه فيها، لان المأمور بتبليغه هو العلم ..

وبعد ان استخلص ابن حجر من الحديث احكامه وفوائده قال .. وقد تقدم هذا الحديث في اوائل كتاب العلم ( ) من طريق أخرى عن محمد عن عبد الرحمن بن ابي بكرة عن أبيه ونبه الى ذكره بعد في تفسير براءة وفي كتاب «بدء الخلق» ذكر النبي صلى الله عليه وسلم في اختصار توجيهه هناك (٢٥٣) وقد تقدم الجزم بقوله «وأعراضكم في أول باب» العلم.

#### ٧٢ — باب اثم من كذب على النبي صلى الله عليه وسلم.

قال ابن حجر «ليس في الاحاديث التى في الباب تصريح بالاثم، وإنما هو مستفاد من الوعيد بالنار على ذلك لانه لازمه ..»

والكذب عام في كل أنواعه والنهي لكل كاذب بدون نظر الى ان ذلك له أو عليه صلوات الله عليه، قال ابن حجر «وقد إغتر قومٌ فوضعوا احاديث في

(٢٥٢) الفتح ص ١٩٩ ط الحلبي

(٢٥٣) الفتح ص ٢٠٠

الترغيب والترهيب وقالوا نحن لم نكذب عليه ولكننا فعلنا ذلك لتأييد شريعته ومادروا أن تقويه صلى الله عليه وسلم ما لم يقلل يقتضى الكذب على الله تعالى، لانه اثبات حكم من الاحكام الشرعية سواء كان في الايجاب أو الندب وكذا مقابلها وهو الحرام والمكروه، ولا يعتد بمن خالف ذلك من الكرامية حيث جوزوا وضع الكذب في الترغيب والترهيب في تثبيته بين ماورد في القرآن والسنة واحتج بأنه كذب له لاعليه وهو جهل باللغة العربية.. وتمسك بعضهم بما ورد في بعض طرق الحديث من زيادة لم تثبت وحتى ما اخرج البزار من حديث ابن مسعود بلفظ « من كذب على ليضل به الناس الحديث .. » وأشار الى الخلاف في وصله وارساله وتكلم فيه على فرض ثبوته بما لا ينض حجة للمحتجين به على الكذب على رسول الله مستأنساً بالنظر في آيات من القرآن الكريم.. (٢٥٤)

وفي الحديث الثاني «عن جامع بن شداد» لطيفتان في الاسناد يقول فيهما ابن حجر.

«احدهما انه من رواية تابعي عن تابعي، يرويه صحابي عن صحابي فجامع كوفي تابعي صغير ثانيتهما: أنه من رواية الأبناء عن الآباء بخصوص رواية الاب عن الجد وقد أفردت بالتصنيف.

ولازم ملازمة الزبير للرسول صلى الله عليه وسلم فهو السماع في قوله «أما انى لم أفارقه ولكن سمعته» وابن حجر يقرر ان الخبر في الغالب فقد هاجر الزبير الى الحبشة ولم يكن مع النبي صلى الله عليه وسلم في حال هجرته الى المدينة. ولازم السماع التحديث لكن منعه من ذلك ماخشيه من معنى الحديث الذى ذكره وقد ساق ابن حجر جواب الزبير بسؤال ابن عمه خشية تحديده نقلا عن الزبير بن بكار في كتاب «النسب» (٢٥٥) وذكر ان رواية «متعمداً لم ترد في رواية البخارى» من كذب على فليتبوأ وفي الحديث الثالث «من تعمد على» وفي الذى يليه «ومن كذب على متعمداً»

(٢٥٤) ٢٠١-٢٠٢ ط الحلي  
(٢٥٥) الفتح/ ٢٠٤



ولقد أبرز ابن حجر من تحرز الزبير معنى جليلا وهو يقول «وفي تمسك الزبير بهذا الحديث على ما ذهب اليه من اختيار قلة التحديث دليل للأصح في أن الكذب هو الاخبار بالشئ على خلاف ما هو عليه سواء كان عمدا أم خطأ، والمخطيء وان كان غير مأثوم بالاجماع لكن الزبير خشى من الاكثار ان يقع في الخطأ وهو لا يشعر لأنه وان لم يأثم بالخطأ لكنه قد تأثم بالاكثار لأن الاكثار مظنة الخطأ، والشقة اذا حدث بالخطأ تحمل عنه وهو لا يشعر انه خطأ يعمل به على الدوام، للوثوق بنقله فيكون سببا للعمل بما لم يقله الشارع..»

وفي الحديث الذي رواه أنس «خشيت مما خشى منه الزبير..» قال ابن حجر «ولهذا صرح بلفظ الاكثار» حديثا كثيرا لأنه يظنه ومن حام حول الحمى لا يأمن وقوعه فيه..»

ومع ذلك كان أنس من المكثرين لانه قد تأخرت وفاته وكانت الحاجة اليه وقد قدمت أن ابن عمر مع توقيه وتوقفه كان من المكثرين لكثرة مستفتيه وسأليه رضى الله عنه وابرز ابن حجر الرد على من قالوا ان انسا كان بتحرز ليروى اللفظ النبوى فقال رحمه الله «والمعروف عن أنس جواز الرواية بالمعنى — كما اخرج الخطيب عنه صريحا وقد وجد في رواياته ذلك كالحديث في البسملة وفي قصة تكثير الماء عند الوضوء.

ومكى بن ابراهيم من كبار شيوخ البخارى — رحمه الله سمع عن سبعة عشر نفسا من التابعين ومنهم يزيد بن ابي عبيد التالي له في السند هنا وهو مولى سلمه بن الأكوع صاحب النبي صلى الله عليه وسلم..

واشار ابن حجر الى طريقة أن حديث مكى عن يزيد هو أول ثلاثي وقع في البخارى قال وليس فيه اعلا من الثلاثيات.. وقد ذكر انها افردت فبلغت عشرين حديثا ومن قوله صلى الله عليه وسلم «ما لم اقل» أثنى شيئا لم اقله ذكر القول لانه الأكثر قال ابن حجر وحكم الفعل كذلك لاشتراكهما في علة الامتناع، وقد دخل الفعل في عموم حديث الزبير وانس، لتعبيروهما بلفظ الكذب عليه، ومثلها حديث أبي هريرة الذي ذكره من حديث اسلمة فلا فرق في ذلك

بين ان يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا وفعل كذا.. اذا لم يكن قاله اوفعله، وقد تمسك بظاهر هذا اللفظ من منع الرواية بالمعنى وأجاب المجيزون عنه بان المراد النهى عن الاتيان بلفظ يوجب تغيير الحكم مع الاتيان باللفظ، لاشك في اولويته ونظر في الفرق بين الكذب على رسول الله والكذب على غيره - فبين كفر الكاذب على رسول الله اذا تعمد ذلك عند بعض اهل العلم.. وذكر أبا محمد الجويني وخلاف امام الحرمين ابنه ومن بعده في ذلك واختيار ابن المنير له ووجهة نظره في ذلك ورد ذلك ابن حجر، واثبت رأي الجمهور ان من تعمد الكذب لا يكفر إلا اذا اعتقد حِلَّ ذلك..

وبين ان الكذب المتعمد على رسول الله كبيرة والكذب على غيره صغيرة.. فافترقا.. وبقي بعد ذلك ان يكون ولوجه النار على التأبید، وذلك لا يكون الا للكافرين بخاصة وفي كتاب الجنائز مزيد من الأحكام في هذا السياق.. (٢٥٦). وهذه نظرة نافعه لابن حجر في أحاديث الباب قال .. «تنبيه». رتب المصنف أحاديث الباب ترتيبا حسنا، لانه بدأ بحديث على وفيه مقصود الباب وثنى بحديث الزبير الدال على توقي الصحابة وتحريمهم من الكذب عليه وثالث بحديث أنس الدال على أن اقتناعهم انما كان من الاكثار المفضى الى الخطأ، لا عن أصل التحديث، لانهم مأمورون بالتبليغ، وختم بحديث أبي هريرة الذي فيه الإشارة الى استواء تحريم الكذب عليه سواء كانت دعوى السماع منه في البقطة اوفي المنام (٢٥٧)

قال ابن حجر.. وقد اخرج البخارى حديث من كذب على...» أيضاً من حديث المغيرة وهوفي الجنائز ح ١ ص ١٥٩ صحيح البخاري.. ومن حديث عبد الله بن عمرو بن العاص وهوفي أبجد بنى اسرائيل (٢٥٨) ومن حديث واثلة بن الأسقع وهوفي مناقب قریش لكن ليس هو بلفظ الوعيد بالنار صريحا..

(٢٥٦) ٢٩٤

(٢٥٧) الفتح/٢٠٧

(٢٥٨) الفتح/٢٠٨ - ٢٠٩ ج ١ - الحلبي

وذكر ابن حجر اتفاق البخاري ومسلم على تخريج الأحاديث الأربعة لعلی وأنس وأبي هريرة والمغيرة واخرجه مسلم من حديث أبي سعيد أيضا وذكر صحته في غير الصحيحين ومن روه بأسانيد حسان حتى قال .. فهو لاء ثلاثون نفساً من الصحابة .. وأشار الى عدد من روه بأحاديث ضعيفه، ومن روه بأحاديث ساقطة ومن جمع طرقه من الحفاظ ابتداء من أول من وقف هو عليه منهم ومن تبعه وهكذا حتى قال:

«ولأجل كثرة طرقه اطلق عليه جماعة انه متواتر، ونازع بعض مشايخنا في ذلك، لان شرط المتواتر استواء طرفيه وما بينهما في الكثرة، وليست موجودة في كل طريق منها بمفردها .. قال .. وأجيب بان المراد باطلاق كونه متواترا رواية المجموع عن المجموع من ابتدائه الى انتهائه في كل عصر وهذا كاف في إفادة العلم».

أورد بعد ذلك آخرين من التابعين والثقات روهوا احاديث انس وعلى وابن مسعود وابو هريرة وعبدالله بن عمرو ثم قال .. فلوقيل في كل منها انه متواتر عن صحابته لكان صحيحا، فان العدد المعين لا يشترط في المتواتر بل ما أفاد العلم كفى، والصفات الكلية في الرواة تقوم مقام العدد .. الى آخر ما أصّل وفصّل رحمه الله .. (٢٥٩).

### ٧٣ — باب كتابة العلم

لم يجزم البخاري في الكتابة اباحة أو منعا فطر يقتضيه رحمه الله — كما قال ابن حجر — في الاحكام التي يقع فيها الاختلاف ان لا يجزم فيها بشيء بل يوردها على الاحتمال قال ..

وهذه الترجمة من ذلك لان السلف اختلفوا في ذلك عملا وتركوا وإن كان الامر استقر والاجماع انعقد على جواز كتابة العلم بل على استحبابه بل لا يبعد وجوبه على من خشى النسيان ممن يتعين عليه تبليغ العلم ( ) وقد تقدم ذلك غير مرة.

«أكد ابن حجر أن» سفيان هو الثوري — لا إبن عيينه كما قال أبو مسعود الدمشقي في الأطراف — قال اذ لو كان ابن عيينه لنسبه لان قاعدة الامام في كل من روى عن متفقى الاسم أن يحمل من أهمل نسبه على من يكون له به خصوصية من اكثار ونحوه (٢٦٠) قال ابن حجر وهكذا تقول هنا لان وكيعاً قليل الرواية عن ابن عيينه بخلاف الثوري (٢٦١) واسناد الحديث الاول كلهم كوفيون الا محمد بن سلام شيخ البخاري وقد دخل الكوفة والحديث من رواية صحابي عن صحابي.

وسؤال الصحابي ابي جحيفة لعل ضروري قال ابن حجر لان جماعة من الشيعة كانوا يزعمون ان عند اهل البيت لاسماً علياً اشياء من الوحي خصهم النبي صلى الله عليه وسلم بها، لم يطلع غيرهم عليها.. وذكر ابن حجر جماعة اخرين سألوا ذلك علياً رضي الله عنهم (٢٦٢) وما زال يقال ما يقال عن مصحف فاطمة واضعافه مرات ومرات على المصحف الامام وهو كلام نجلوه في غير هذا المقام.

ومن قول علي «أو فهمم أنعطيه رجل مسلم» «من استخلص ابن المنير ان علياً كان عنده اشياء مكتوبة من الفقه المستنبط من كتاب الله بدليل رفع «فهمم» فلو كان الاستثناء من غير الجنس لكان منصوباً.. قال ابن حجر والظاهر ان الاستثناء منقطع والمراد يذكر الفهم اثبات امكان الزيادة على ما في الكتاب وقد رواه المصنف في الديات (٢٦٣) بلفظ «ما عندنا الا ما في القرآن إلا فهما يعطى رجل في الكتاب».

- 
- (٢٦٠) الفتح ٢١٠  
(٢٦١) الفتح/ ٢٠٩ - ٢١٣  
(٢٦٢) الفتح/ ٢١٣  
(٢٦٣) المصدر والصحيفة

والجميل في أمر صحيفة على الذي اختلفت اقوال الرواة فيها ان ابن حجر اورد هذه الاقوال للرجال ثم قال والجمع بين هذه الاحاديث ان الصحيفة واحدة وان جميع ذلك كان مكتوبا فيها فنقل كل واحد من الرواة عنه (محافظة) (٢٦٤)

وفي قول ابي شاه «اكتبوا لى فقال رسول الله اكتبوا لأبي شاه مطابقة الحديث للترجمة.

وقد فصل ابن حجر رحمه الله ما أجلناه من قبل في أمر أبي هريرة وعبد الله بن عمر وكيف كتب ولم يكتب أبو هريرة فكثير واستفاض ما روى أبو هريرة دون ابن عمر وأضاف أطرافاً جديدة عن أبي هريرة فقد روى عنه كما قال البخاري ثمانمائة من التابعين (٢٦٥) ولم يقع هذا لغيره كما ذهب بخصيصة دعوة النبي صلى الله عليه وسلم بأن لا ينسى ما يحدث به وقد نظروا الى قول أبي هريرة ولم يكتب (٢٦٦) وما روي انه اخرج كتباً للحسن بن عمرو بن أمية وأنه كتب بعد النبي أو ان ما كان مكتوباً عنده ليس بخطه «أقول وهو وان صح في أن أبا هريرة لم يكتب اذ لم يكن كاتباً — فان ذلك يدل على أن المكتوب قد تعدد وجاوز ابن عمرو وأبا شاه (٢٦٧) والكلام بعد ضروري في دعم ما اسلفت في تدوين السنة بين الفعل والترك وقد انتهى ابن حجر رحمه الله من هذا السبح الجليل الى ابراز فوائد من حديث الباب منها.

جواز كتابة العلم، ووقوع الاجتهاد في عصر النبي صلى الله عليه وسلم فيما لم ينزل عليه وحى وحسن التبويب بتقديم حديث على انه كتب بعد رسول الله واحتمال ان النهى لم يبلغه وثنى بحديث ابي هريرة وفيه الامر بالكتابة وهو بعد

---

(٢٦٤) الفتح ٢١٣ — ٢١٤

(٢٦٥) ٢١٤

(٢٦٦) الفتح ص ٢١٤ الحلبي

(٢٦٧) ٢١٤ — ٢١٥ الحلبي

النبي فيكون ناسخاً وتلت بحديث ابن عمرو، واذن النبي فيه صريح وواضح والاحتجاج به في الكتابة ادل من حديث ابي شاه والاذن له لانه كان معذورا بأميته وفقد بصره وانه ليس مقياً.

وختم بحديث ابن عباس الدال على انه صلى الله عليه وسلم هم أن يكتب لأئمة كتاباً يحصل معه الأمن من الاختلاف وهو لا يهتم الا بحق (٢٦٨)

#### ٧٤ — باب العلم والعظة بالليل

ان تعليم العلم والعظة يكونان بليل ونهار، وانما أراد البخاري رحمه الله التنبيه على ان النهي عن الحديث بعد العشاء انما هو مخصوص بما لا تقع فيه والترجمة تلتقى صراحة مع الحديث في قول أم سلمة «استيقظ» فقال سبحانه الله ماذا؟! الحديث وابرز ابن حجر مافي اسناد الحديث من رواية الاقران في موضعين

أولهما: ابن عيينه عن معمر، وثانيها عمرو ويحيى عن الزهري.

وفيه رواية ثلاثة من التابعين بعضهم عن بعض في نسق..

وهند قد قيل انها صحابية فان صح فهو رواية تابعي عن تابعي عن صحابية عن مثلها. وهي أم المؤمنين أم سلمة المخزومية وكانت الليلة ليلتها (٢٦٩)

#### ٧٥ — باب السمر في العلم

المراد به على فتح الميم وتسكينها مصدراً أو أسماً للفعل، هو الحديث بالليل قبل النوم خلافاً لما سبق فانه تعليم ووعظ في الليل وهو الفرق بين الترجمتين. وسالم في الحديث الاول هو سالم بن عبد الله بن عمر، والحكم في الحديث الثاني هو ابن عتيبة وهو تابعي صغير وكان أحد الفقهاء.

(٢٦٨) صحيح البخاري ج ٤ ص ١٣٦  
(٢٦٩) ٢١٥

ومناسبة حديث ابن عمر للترجمة ظاهرة لقوله فيه قام فقال بعد قوله صلى  
العشاء واما حديث ابن عباس فقال ابن المنير ومن تبعه يحتمل ان يكون اراد ان  
اصل السمر يثبت بهذه الكلمة «نام الغليم» ويحتمل ان يريد ارتقاب ابن عباس  
لأحوال النبي صلى الله عليه وسلم، ولا فرق بين التعليم من القول والتعليم من  
الفعل قد سمر ابن عباس ليلته في طلب العلم واورد ابن حجر اقوالا اخرى عقب  
عليها بقوله.

وكل ما ذكره معترض لأن من يتكلم بكلمة واحدة لا يسمى سامرا  
وصنيع ابن عباس يسمى سهراً لاسمراً اذ السمر لا يكون الا عن تحدث ولأن  
ما يقع بعد الانتباه من النوم لا يسمى سمرا واورد كلمة في السمر للكرمانى ثم قال  
والاولى من هذا كله ان مناسبة الترجمة مستفادة من لفظ آخر في هذا الحديث  
بعينه من طريق أخرى وهذا يصنع البخارى كثيرا يريد به تنبيه الناظر في كتابه  
الى الإعتناء بتتبع طرق الحديث والنظر في مواقع الفاظ الرواة لان تفسير الحديث  
بالحديث أولى من الخوض فيه بالظن.

وانما اراد البخارى هنا ما وقع في بعض طرق الحديث مما يدل صريحا على  
حقيقة السمر بعد العشاء وهو ما اخرج في التفسير وغيره من طريق كريب عن  
ابن عباس قال «بت في بيت ميمونه فتحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم»  
الحديث

فان قيل ان هذا اسم مع الأهل لا في العلم قال ابن حجر انه يلحق به  
إجماع تحصيل الفائدة أو هو بدليل الفحوى فانه اذا شرع في السباح نفى المستحب  
من باب اولى (٢٧٠)

#### ٧٦ - باب حفظ العلم

لم يذكر في الباب شيئا عن غير أبي هريرة وتلك وجوه اخرى لفضله  
رضوان الله عليه وحفظه للعلم بعد ان دعا له الرسول ان لا ينسى ما حفظ جامعة

الترجمة والاحاديث ورحم الله ابن حجر فقد جال جولة بعيدة الاطراف في الكلام عن فضل الصحابي الجليل الذي يتناول عليه من ينتسبون الى الرسول صلوات الله عليه اليوم وفي كلامه الصحيح ما تقوم به حجة فضله اليوم كما قامت من قبل على أقوام حتى قال ابن حجر «وفي الحديثين فضيلة ظاهرة لأبى هريرة ومعجزة واضحة من علامات النبوة، لان النسيان من لوازم الانسان، وقد اعترف ابو هريرة بانه كان يكثر منه ثم تخلف عنه ببركة النبي صلى الله عليه وسلم ودعوته له».

وفى الحديث الرابع عن سعيد المعبري عنه «حفظت عن رسول الله صلى الله وسلم دعاء من...» ما يدل على ان أبا هريرة وعى الكثير وانه امسك ما لا يتعلق بالشرعية، وهو الذى تمثل آية كتمان العلم في أول الباب مما يتعلق بالفتن واشراط الساعة. (٢٧١)

## ٧٧ - باب الانصتات للعلماء

صحح ابن حجر تاريخ إسلام جرير بن عبد الله البجلي راوى الحديث، وانه كان في رمضان سنة عشر كما قال البغوى وذكر ان المصنف له رواية تعضد ماذهب اليه البغوى وهى عنده في حجة الوداع (٢٧٢)

قال ابن بطال فيه ان الانصتات للعلماء لازم للمستعلمين لان العلماء ورثة الانبياء وكأنه اراد بهذا مناسبة الترجمة للحديث - وذلك أن العقبة المذكورة كانت في حجة الوداع والجمع كثير جدا وكان اجتماعهم لرمى الجمار وغير ذلك من أمور الحج وقد قال لهم خذوا عني مناسككم كما ثبت في صحيح مسلم (٢٧٣) فلما خطبهم ليعلمهم ناسب أن يأمرهم بالانصتات (٢٧٤) وفاوت بين الانصتات والاستماع في الاية وأفاد فى المعنى .

(٢٧١) ٢٢٠ - ٢١٧

(٢٧٢) الفتح / ٢٢٠

(٢٧٣) ٢٢٢ - ٢٢١

(٢٧٤) عن آل عمران الآية / ١٩٠ صحيح البخاري جـ ٦ ص ٥١



## ٧٨ - باب ما يستحب للعالم اذا سئل أى الناس اعلم؟ فيكُل العلم الى الله.

ان كلم الله صلوات الله عليه ترك المستحب فعوتب في ذلك على النحو الذى سبق فيه الحديث وما شابهه والقرآن الكريم حجة فيه . قال ابن حجر في قوله «قال أنا اعلم» (في جواب أى الناس أعلم)؟ قيل انه مخالف لقوله في الرواية السابقة في باب «الخروج في طلب العلم» «قال هل تعلم أحداً أعلم منك»؟ قال ابن حجر «وعندى لا مخالفة بينها لان قوله هنا «أنا أعلم» أى فيما أعلم، فتطابق قوله «لا» في جواب من قال له «هل تعلم أحد أعلم منك؟ في اسناد ذلك الى علمه لا الى ما في نفس الأمر»

وساق ابن حجر ما عند النسائي وعند عبد الرزاق، وعند مسلم، وظن ابن بطلال كما رآه ابن المنير ورده عليه بأن اجابة موسى برد العلم الى الله وحده كانت متعينة قال إنما عوتب على انتصاره على ما قال لان الجزم يوهم انه كذلك في نفس الأمر وانما مراده الاخبار بما في علمه .. والعتب من الله على الوجه الذى يليق به تعالت أسماؤه وصفاته.. (٢٧٥)

والمح ابن حجر رحمه الله الى تعقب ابن المنير على ابن بطلال ايراده في هذا السياق شواهد كثيرة من اقوال السلف في التحذير من الدعوى في العلم والحث على قول العالم لا أدري ورأى ان ذلك في هذا السياق غير لائق ووافق ابن حجر على ذلك وقال:

«وليس قول موسى عليه السلام «لا اعلم» كقول آحاد الناس مثل ذلك ولا نتيجة قوله كنتيجة قولهم بأن نتيجة قولهم العجب والكبر ونتيجة قوله المريد من العلم والحث على التواضع والحرص على طلب العلم، واستدلالة به على انه لا يجوز الاعتراض بالعقل على الشرع خطأ لان موسى انما اعترض بظاهر الشرع لا بالعقل المجرد» (٢٧٦)

(٢٧٥) الفتح/ ٢٢٣ - ٢٢٤

(٢٧٦) الفتح/ ٢٢٤ - ٢٢٧

وفي قوله «حدثني أبي بن كعب دليل على قوة خبر الواحد المتفن عند البخارى وفي الاسناد رواية تابعى عن تابعى وهما عمرو وسعيد ورواية صحابى عن صحابى وهما ابن عباس وأبى (٢٧٧)

وفي النص «أن موسى هو موسى بنى اسرائيل كما قال صلى الله عليه وسلم للخضر فبعد أن سلم عليه عرفه بنفسه .. وكان سلام موسى عليه مثيراً قول الخضر «أتى بأرضك السلام ؟! قال ابن حجر «والمعنى: من أين السلام في هذه الأرض التى لا يعرف فيها وكأنها كانت بلاد كفر أو كانت تحيتم بغير السلام»

ولقد استخرج ابن حجر فوائد ذات بال من حديث موسى والخضر عليهما السلام وحقق من أمور الخضر ما تشد الحاجة اليه وأهمه أن الخضر ليس افضل من كليم الله ومجمع هباته وأعطيته فغاية الخضر أن يكون كواحد من انبياء بنى اسرائيل وموسى افضلهم واقرأ صحيفتى ٢٣١ - ٢٣٢ من الفتح ح ١ ففيها تفصيل جليل.

#### ٧٩ - باب من سأل وهو قائم عالماً جالسا

حديث أبى موسى نص فى الرجل الذى جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله فظهرت المطابقة بين الترجمة والحديث بدلالة «ومارفع اليه رأسه الا أنه كان قائماً» وظاهر قوله «ومارفع اليه رأسه» أنه من كلام أبى موسى ويحتمل أن يكون من دونه فيكون مدرجا في اثناء الخبر. . للتفسير وبيان حال النبى صلى الله عليه وسلم وحال الرجل (٢٧٨)

(٢٧٧) شرح السنة ج ٧

(٢٧٨) هو برواية جابر وأم الحصين ج ٩ ص ٤٤ وما بعدها بلفظ «لتأخذوا»

#### ٨٠ - باب السؤال والفتيا عند رمي الجمار

بيان مراد البخارى لا يصعب فاشتغال العالم بالطاعة لا يمنع من سؤاله عن العلم مالم يكن مستغرقاً في الطاعة وأن الكلام في الرمي وغيره من المناسك جائز..

لكن على الحاج أن يتقى الله فيما يقول و يفعل وفيما يجيب به حين يُسأل!!

والحديث تقدم في «باب الفتيا على الدابة..» والترجمة نص في المتن من جهة أن المصنف - كما قال ابن حجر - كثيراً ما يتمسك بالعموم، فوقع السؤال عند الجمرة أعم من أن يكون في حال اشتغاله بالرمي، أو بعد الفراغ منه واشكال الاسماعيلى الأول اجيب عليه في باب الفتيا وهو واقف على الدابة .

أما اشكال كفاية «السؤال يوم النحر» وأن فيه غنى عن الترجمة ههنا فوجهها انه أراد أن يقابل المكان بالزمان وان كان معلوماً أن السؤال عن العلم لا يتيقّد بيوم دون يوم (٢٧٩)

#### ٨١ - باب قول الله تعالى «وما أوتيتم من العلم الا قليلا» الاسراء (٨٥)

اسناد الاعمش الى منتهاه كما قال ابن حجر مما قيل إنه اصح الأسانيد وقد عنون للباب بآية وقد سبق وجه ذلك وأكد ابن حجر رحمه الله ان رواية الاعمش لآخر الآية «وما أوتوا» ليست في السبعة ولا في المشهور من غيرها..»

باب من ترك بعض الاختيار مخافة أن يَقْصُرْفَهُمْ بعض الناس عنه فيقعوا في أشد منه

ترك الرسول جعل بابن للكعبه كما هو في المتن بعلته وسببه فالاختيار فعل الشيء المختار والإعلام به كما قال ابن حجر وفي الحديث معنى ما ترجم له لأن قريشا كانت تعظم امر الكعبة جدا فخشى صلى الله

عليه وسلم أن يظنوا لقرب عهدهم بالاسلام انه غير بناءها لينفرد بالفخر عليهم في ذلك (٢٨٠)

٨٢ - باب من خص بالعلم قوما دون قوم كراهية أن لا يفهمون وقال على حدثوا... الترجمة

ذكر أبو حجر أن اسناد عبيد الله بن موسى الى على من عوالى البخاري لانه يلتحق بالثلاثيات من حيث أن الراوى الثالث منه صحابى وهو ابو الطفيل عامر بن واثله الليثي آخر الصحابة موتاً، وليس له في البخاري غير هذا الموضع.. وفي كلمة على حدثوا.. دليل على ان المتشابه لا ينبغي أن يذكر عند العامة ومثله قول ابن مسعود الذى اخرج مسلم ما انت محدثاً قوما حديثاً لا تبلغه عقولهم الا كان لبعضهم فتنة.

و يبدو ان التوافق بَعْدَ بين الترجمة والاحاديث في صنيع رسول الله بايثار معاذ ههنا (٢٨١)

٨٣ - باب الحياء في العلم وقال مجاهد : لا يتعلم العلم مستحى ولا مستكبر.

المراد حكم الحياء في طلب العلم ، والحياء من الايمان وهو الحياء الشرعى الذى يقع على وجه الاجلال والاحترام للأكابر وهو محمود، وهو تغير وانكسار يعتري الانسان من فعل ما يعاب به أو يذم والمذموم ما يقع سببا لترك أمر شرعى وليس بحياء شرعى ولكنه ضعف ومهانة وهو المراد بقول مجاهد «لا يتعلم العلم مستحى» ولا في هذه الجملة ناهية وكأنه أراد تحريض المتعلمين على ترك العجز والتكبر، لما يؤثر كل منها من النقص في التعليم وقد وصل ابو نعيم في الحلية كلمة مجاهد من طريق علي بن المدينى عن ابن عيينه عن منصور عنه.. وهو اسناد صحيح على شرط البخارى.

(٢٨٠) الفتح/ ٢٢٩

(٢٨١) ٢٣٠

«وقالت عائشة» هذا التعليق وصله مسلم من طريق إبراهيم بن مهاجر عن صفية بنت شيبة عن عائشة في حديث أوله أن أساء بنت يزيد الانصاريه سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن غسل المحيض.. قال ابن حجر وفي الاسناد من اللطائف رواية تابعي عن مثله، عن صحابه عن مثلها، وفيه رواية الابن عن أبيه، والبنت عن أمها!!!

والحديث وان تقدم في أول باب العلم لابن عمر، انما أعادة ههنا لقوله «فاستحييت» ولتأسف عمر على كونه لم يقل ذلك لتظهر فضيلته فاستلزم حياء ابن عمر تفويت ذلك وكان يمكنه اذا استحيا اجلالا لمن هو أكبر منه أن يذكر ذلك سرا لغيره ليخبر به عنه فجمع بين المصلحتين، ولهذا عقبه المصنف باب «من استحيا فأمر غيره بالسؤال» وذكر حديث على . . وسيلي هذا — واستدل به بعضهم على جواز الاعتماد على الخبر المظنون مع القدرة على المقطوع، وهو خطأ، ففى النسائي أن السؤال وقع وعلى حاضر — وحديثه فى باب من استحيا فأمر غيره بالسؤال موافق للترجمة وهو «كنت رجلا مذاء فأمرت المقداد أن يسأل النبي صلى الله عليه وسلم فسأله فقال «الله الوضوء» (٢٨٢)

#### ٨٤ — بابا ذكر العلم والفتيا في المسجد..

أى جوازهما، ويعلم العالم ويفتى المفتى في المسجد.. قال ابن حجر وأشار بهذه الترجمة الى الرد على من توقف في ذلك لما يقع في المباحثة من رفع الاصوات فنه على الجواز.

وفى ألفاظ الحديث جواز إطلاق الزعم على القول المحقق لان ابن عمر سمع ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم «و يُهْلُ...» وان لم يفقه هذه الجملة من النبي صلى الله عليه وسلم فصاريروها عن غيره وهو دال على شدة تحريره وورعه (٢٨٣)

(٢٨٢) الفتح/ ٢٢٩

(٢٨٣) ٢٣٣

## ٨٥ - باب من اجاب السائل بأكثر مما سأله.

قال ابن المنير موقع هذه الترجمة التنبيه على ان مطابقة الجواب للسؤال غير لازمه، بل اذا كان السبب خاصا والجواب عاما جاز، وحمل الحكم على عموم اللفظ لاعلى خصوص السبب لانه جواب وزيادة فائدة و يؤخذ منه ايضا أن المفتى اذا سئل عن واقعة واحتمل عنده أن السائل متذرع بجوابه الى ان يعتديه الى غير محل السؤال تعين عليه ان يفصل الجواب، ولهذا قال فان لم يجد نعين فكأنه سأل عن حالة الاختيار فأجابه عنها وزاده حالة الاضطرار، وليست أجنبية عن السؤال فليس المراد بالمطابقة عدم الزيادة بل المراد ان الجواب يكون مفيداً للحكم المستول عنه قال ابن دقيق العيد وفي الحديث أيضا العدول عما لا ينحصر الى ما ينحصر طلبا للايجاز لان السائل سأل عما يلبس فأجيب بما لا يلبس اذ الاصل الاباحة ولو عدد له ما يلبس لطلال به بل كان لا يؤمن أن يتمسك بعض السامعين بمفهومه فيظن اختصاصه بالمحرم، وأيضا فالمقصود ما يحرم لبسه لا ما يحل له لبسه لانه لا يجب له لباس مخصوص بل عليه أن يجتنب شيئا مخصوصا (٢٨٤)

## ٨٦ - قال ابن حجر تحت عنوان «خاتمة»

اشتمل كتاب العلم من الاحاديث المرفوعة على مائة حديث وحديثين، منها في المتابعات بصيغة التعليق وغيرها ثمانية عشر، والتعليق التي لم يوصلها في مكان آخر أربعة وهي «كتب لأمر السرية» و «رحل جابر الى عبد الله ابن انيس» و «قصة ضمام في رجوعه الى قومه وحديث انما العلم بالتعلم وباقي ذلك وهو ثمانون حديثا كلها موصولة فالمكرر منها ستة عشر حديثا وبغير تكرير اربعة وستون حديثا وقد وافقه مسلم على تخريجها الا ستة عشر حديثا وهي الاربعة المعلقة المذكورة وحديث ابي هريرة «اذا وُيِّدَ الامر الى غير أهله».. «وحديث ابن عباس اللهم علمه الكتاب» وحديثه في الذبح قبل الرمي وحديث عقبه بن الحارث في شهادة المرضعة وحديث انس في اعادة الكلمة ثلاثا، وحديث ابي هريرة «اسعد الناس بالشفاعة» وحديث الزبير «من كذب عليّ» وحديث سلمة

(٢٨٤) الفتح/ ٢٣٣ - ٢٣٤

«من تقول عليّ» وحديث عليّ في الصحيفة وحديث ابي هريرة في كونه أكثر الصحابة حديثاً وحديث أم سلمة «ماذا أنزل الليلة من الفتن»؟! وحديث ابي هريرة «حفظت وعاءين» والمراد بموافقة مسلم موافقته على تخريج اصل الحديث عن صحابية، وان وقعت بعض المخالفة في بعض السياقات .

وفيه من الآثار الموقوفة على الصحابة ومن بعدهم إثنان وعشرون أثراً .  
أربعة منها موصولة، والبقية معلقة»

وطرز ابن رشد نهاية مطاف البخارى في كتاب العلم بهذه اللطيفة قال (٢٨٥) ختم البخارى كتاب العلم بباب من اجاب السائل بأكثر مما سأل عنه اشارة منه الى انه بلغ الغاية في الجواب، عملاً بالنصيحة، واعتماداً على النية الصحيحة

واشار قبل ذلك بقليل بترجمة (من ترك بعض الاختيار مخافة أن يقصر فهم بعض الناس عنه) الى أنه ربما صنع ذلك فأتبع الطيب بالطيب بأبرع سياق وابدع اتساق رحمه الله ورحم ابن حجر الذى كان أعز اللبّات في بناء المجد العلمى لابي عبد الله «والارواح جنود مجنّدة»





## الفصل الثانى

### أحاديث مختارة من كتاب العلم

لقد أعان الله على تدريس «كتاب العلم» و«فضائل القرآن» من فتح  
البارى شرح صحيح البخارى لقسم التفسير في الدراسات العليا، السنة الأولى  
بكلية أصول الدين — جامعة الأزهر في العام الدراسي ١٣٩٣/٩٢ هـ.. (٢٨٦)  
وهأنا اختار من هذه الدراسة حديثي «بيننا النبي صلى الله عليه وسلم في  
مجلس يحدث القوم رواه أبو هريرة

وحديث سمعت معاوية خطيباً.. رواه حميد بن عبد الرحمن بن عوف  
رضى الله عنها — واود أن اكون قد قاربت فيها الصواب وهداني الله الى ما ينفع  
في جلاء حقائقها الكبرى والهدى هدى الله وبه استعين..

### الحديث الاول

٨٨ — باب من سئل علماً وهو يشتغل في حديثه....

وتمام الترجمة «باب من سئل علماً وهو يشتغل في حديثه فأتم الحديث ثم  
أجاب السائل...»

٨٩ — سند الحديث ومتمه

حدثنا محمد بن سنان قال: حدثنا قُليح ح ، وحدثني ابراهيم بن المنذر  
قال: حدثنا محمد بن فليح قال: حدثني هلال بن على عن عطاء بن يسار عن ابي  
هريرة قال:

(٢٨٦) الفتح/ ٢٣٥ — ٢٣٨

«بينما النبي صلى الله عليه وسلم في مجلس يحدث القوم جاءه أعرابي فقال متى الساعة؟ فضى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث فقال بعض القوم سمع ما قال فكره ما قال وقال بعضهم: بل لم يسمع. حتى إذا قضى حديثه قال أين أراه السائل عن الساعة؟.. قال: ها أنا يا رسول الله. قال: فإذا ضُيِّعَتِ الأمانة فانتظر الساعة. قال كيف أضاعتها؟ قال: إذا وُسِّدَ الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة (٢٨٧)

#### ٩٠ - تراجم السند

##### محمد بن سنان

روى عنه البخارى هنا وفي كتاب الرقاق.. قال في الفتح ح ١ ص ١٥١ «وانما أوردته - حديث الباب عالياً عن فليح بواسطة محمد بن سنان فقط ثم أوردته نازلاً بواسطة محمد بن فليح وإبراهيم بن المنذر عن محمد لانه أوردته في كتاب - «الرقاق» عن محمد بن سنان فقط.. (٢٨٨)

##### فليح :

هو ابن سليمان الخزازى الأسلمى أبو يحيى المدنى وفليح لقب مشهور، وهو من طبقة مالك احتج به البخارى وأصحاب السنن وروى له مسلم حديث الافك فقط - قال ابن حجر ولم يعتمد عليه البخارى اعتماده على مالك وابن عيينة وأضرابها وانما أخرج له احاديث اكثرها في «المناقب» وبعضها في «الرقاق».. (٢٨٩)

#### ح - اشارة تحويل السند

محمد بن فليح : قال ابن حجر أخرج له البخارى نسخة من رواية عن أبيه عن هلال بن أمية عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة - وهو حديث السياق

(٢٨٧) الفتح / ٢٣٩ - ٢٤٠

(٢٨٨) ٢٤٠ - ٢٤١

(٢٨٩) الفتح / ٢٤١

— وبعضها عن هلال عن أنس بن مالك توبع على أكثرها عنده، وله نسخة أخرى عنده بهذا الاسناد، لكن عن عبد الرحمن بن أبي عمرة مولى عطاء بن يسار، وقد توبع فيها أيضا وهي ثمانية أحاديث (٢٩٠)

#### هلال بن أبي هلال :

أو هلال بن علي — كما هنا — أو هلال بن ميمون الجهني أو الهذلي أبو علي الفلسطيني (تذهيب الكمال ح ٣ ص ١١٩) نشر مكتبة القاهرة.

و يرى ابن حجر أن الثلاثة شخص واحد، وأنه من صغار التابعين وشيخه في هذا الحديث من أوساطهم (٢٩١) وثقة ابن معين «تذهيب الكمال ح ٣/١٢٠» وقال النسائي «ليس به بأس» تذهيب الكمال ٣ — ١٢٠ وكذا هو في التهذيب

#### عطاء بن يسار:

تابعي جليل «الهلالى ابو محمد المدنى أحد الأعلام : عن ميمونة، وابن مسعود وأبي بن كعب وأبي ذر— وأبي هريرة كما في الحديث — وخلق..» وعنه أبوسملة، وحبيب بن أبي ثابت، وأبو جعفر الباقر، وعمرو بن دينار وخلق قال النسائي ثقة (٢٩٢)

#### ٩١ — أبو هريرة رضى الله عنه

عبد الرحمن بن صخر الدوسي الصحابي الجليل وهذا الاسم أشهر من عبد الله (٢٩٣) أسلم عام خبير وشهدا مع النبي صلى الله عليه وسلم ثم لزمه وواظب على شهود مجلسه، واندمج بين أهل الصفة وانتهت اليه رئاستهم، وشغف بالعلم وجد في تحصيله ونالته دعوة رسول الله وحفته بركاته صلى الله عليه وسلم بعد ان عرف له رسول الله بيده في ثوبه الذى بسطه بأمر النبي فما نسي شيئا مما كان

(٢٩٠) ص ٢٤٢

(٢٩١) محاضرات مخطوطة معونة للطبع

(٢٩٢) فتح الباري ج ١ ص ١٥٠ — ١٥١

(٢٩٣) الفتح ج ١ ص ١٥١

يشكو نسيانته الى رسول الله — وقد ضمه وزيد بن ثابت وصحابي آخر مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فقال لهم: أدعوا، فدعا زيد وصاحبه وأمر رسول الله على دعائهما، ثم دعا أبو هريرة فقال: اللهم انى أسألك مثل ما سأل صاحبائى، واسألك علما لا ينسى» فأمن النبي صلى الله عليه وسلم. فقالوا: ونحن يارسول الله كذلك. فقال: سبقكما الغلام الدوسى.

وكان غزير العلم وافر الحفظ سمع ما كتب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وحفظ أضعاف ما كتب، قال الحاكم أبو أحمد: ذكر لابى هريرة في مسند بقتى بن مخلد خمسة الاف حديث وثلاثمائة واربعة وسبعون حديثا فلم يبلغ مبلغه ولا دانه في الرواية أحد من صحابة رسول الله، وكان يستحوذ على اعزاز الصحابة بذلك ويقول ابن عمر «أنت كنت ألزمتنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم واحفظنا لحديثه» وحسبك بابن عمر شاهدا..

و يوم قال بعض الصحابة اكثر أبو هريرة، قال «لقد كان يشغل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفق في الأسواق، وكنت اتبع رسول الله على شيع بطنى، فأحضرما لا يحضرون وأسمع ما لا يسمعون . والحق أنه كان أثيرا عند رسول الله، حتى سأله أن يدعو لأمه فدعا صلوات الله عليه لها فكانت فور دعوته من المؤمنات. وقد اجمل العلماء عوامل اكثاره في الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على تأخر اسلامه، وقلة مدة صحبته وملازمته له صلوات الله عليه فقالوا:

«انه أفرغ وسعه في المدة الوجيزة التى أدرك فيها النبي، وانقطع للعلم وحفظه وادرك كبار الصحابة، وتحمل عنهم الكثير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تكامل علمه، وساعده على كثرة الاداء طول عمره ومكثته بعد الرسول صلى الله عليه وسلم سبعا واربعين سنة يبلغ الحديث، والوقائع تؤيده، وينشر السنة والإختبارات تعضده!!

روى عنه أكثر من ثمانمائة بين صحابى وتابعى وهو مستقر في المدينة..  
وكان من الصحابة الذين رووا عنه ابن عباس وابن عمر وجابر وأنس وائلة  
وخلق.. وهم شهود امانته وامامته رضى الله عنه وعنهم.  
وشهد له ابن عمر بالتفوق، وتتابع الناس على تقديره حتى قال الشافعى  
رحمه الله «أبو هريرة أحفظ من روى الحديث في دهره»  
ومات نَضَرَ الله وجهه سنة ثمان وخمسين من الهجرة في المدينة وترحم  
عليه ابن عمر في جنازته وقال «كان يحفظ على المسلمين حديث النبى صلى الله  
عليه وسلم»  
وصلى عليه الوليد بن عقبه والى المدينة من قبل معاوية

رحم الله أباهراً — كما كان يحب أن يُدعى — وبَصَرَ أُولَئِكَ الَّذِينَ  
تَطَاوَلُوا وَيَتَطَاوَلُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْفُؤَا فِي لَبْنَانَ وَمَصْرَ الْكُتُبِ الْمُتَجَنِّبَةِ عَلَى الصَّحَابِيِّ  
الْجَلِيلِ وَتَعْلِيقِ الشَّيْخِ أَحْمَدَ مُحَمَّدَ شَاكِرَ رَحِمَهُ اللَّهُ مَفِيدَ فِي التَّعْرِيفِ بِأَبِي هُرَيْرَةَ،  
وَفِي إِمَامَةِ الثَّامِ عَنْ أَقْوَامٍ خَاصَمُوا الصَّحَابِيَّ الْجَلِيلَ ظَالِمِينَ «مُسْنَدُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ  
حـ ١٢ ص ٨٣ وما بعدها تعليق الشيخ شاكر.

## ٨٢ — كلمات الحديث لغة واصطلاحاً

باب :- الباب موضوعه المدخل، فاستعماله في المعانى توسع..  
القوم :- في الأصل جماعة الرجال دون النساء.. قال الراغب:  
وحقيقته الرجال لما نُبِّهَ الله عليه بقوله «الرجال قوامون على النساء..»  
النساء/٣٤ — وقد ورد بهذا في قوله تعالى «لايسخر قوم من قوم» الحجرات/١١  
وقال ابن الأثير في حـ ٤ : ١٣٤ من النهاية «فليسبح القوم وليصفق  
النساء» «القوم في الاصل مصدر قام، فوصف به ثم غلب على الرجال دون  
النساء ولذلك قابلهن به، وسمو بذلك لأنهم قوامون على النساء بالأمر التي ليس  
للنساء ان يقمن بها»

و يراد بالقوم، فيما وراء آيتي النساء والحجرات، جماعة الرجال والنساء معا، اذ الجماعة من أي شيء، يرتبط بعضهم ببعض بروابط دم او نسب أو اجتماع (٢٩٤) والقوم في الحديث بمعنى الرجال والنساء معا، لان قوم كل نبي رجال ونساء.. وقد ذكر المفسرون أنهم داخلات في قوله تعالى «لا يسخر قوم من قوم» وانما ذكرهن بعد ذلك في قوله «ولانساء من نساء الحجرات/ ١١ ونص عليهن بخاصة لابرار ظاهرة أن سخريتهن بغيرهن غالبية.. وقد جعل القوم في الرجال خاصة من قال

وما ادرى ولست أخال أدرى اقوم آل حصن أم نساء؟!

أعرابي :

قال ابن الأثير: الأعراب ساكنو البادية من العرب الذين لا يقيمون في الأمصار ولا يدخلونها الا لحاجة، والعرب اسم لهذا الجيل المعروف من الناس، ولا واحد له من لفظه وسواء أقام بالبادية أو المَدُن والنسب اليها أعرابي وعربي» (٢٩٥)

والذي عليه العرف العام اطلاق لفظ العرب على سكان البوادي والامصار، ومثل ذلك في القاموس وغيره من كتب الفقه القديمة و يقول ابو العباس احمد بن عبد الله الشهير بابن ابي غدة في كتابه «نهاية الأرب» «ان العرب هم اهل الأمصار والاعراب سكان البادية، وفي العرف يطلق العرب على الجميع» (٢٩٦)

بينما :

اصلها بين الظرفية أضيفت اليها ما، وربما ذكرت «بينما» بدون ميم، وأصلها (بين) أشبعت فيها الفتحة، وقد استعملت بينما بدون اذ أو اذا وهو فصيح

---

(٢٩٤) هدى الساري ج ٢ ص ٢٠٣

(٢٩٥) هدى الساري ج ٢ ص ٢١٠

(٢٩٦) فتح الباري ج ١ ص ١٥١

الساعة: المراد بها هنا وفي قوله صلى الله عليه وسلم بعثت أنا والساعة كهاتين يوم القيامة، والاصل فيها: قطعة من الزمان، وفي عرف اهل الميقات «الفلك» جزء من اربعة وعشرين جزء من اليوم والليلة (٢٩٧)

والساعة كما قال الراغب «جزء من الزمان» ويعبر بها عن القيامة تنبيها بذلك لسرعة الحساب قال تعالى «وهو اسرع الحاسبين» الأنعام/٦٢ أو لما نبّه عليه بقوله «كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار بلاغ» الاحقاف/٣٥ والساعة تطلق على الساعة الكبرى: وهي بعث الناس للمحاسبة.

وعلى الساعة الوسطى: وهي موت اهل القرن الواحد، نحو ما روى أن الرسول رأى عبد الله بن انيس فقال: ان يطل عمر هذا الغلام لم يمت حتى تقوم الساعة فقليل انه آخر من هلك من الصحابة — وعلى الساعة الصغرى: وهي موت الانسان فساعة كل انسان موته ومنه الحديث عند هبوب تخوفت الساعة «يعنى موته!!»

وابن حجر في الفتح لم يقف على ما ذكر عن ابن انيس وانه آخر من هلك من الصحابة ومتى الساعة؟ استفهام عن الوقت الذى تقوم فيه القيامة لحساب الناس

**أين أراء السائل..؟** أراه بضم الهمزة أي اظنه وقد ورد بغير شك أين السائل.. والسائل بالرفع في الحديث على الحكاية..

**الأمانة :** ما أؤتمنت عليه من ودائع وتكاليف.. قال ابن الاثير «والأمانة تقع على الطاعة والعبادة والوديعة والثقة والأمانة» (٢٩٨) وعندي أنها وعاء الدين وسياسج اليقين، و يقول «المقرى الفيومى» أمين بالكسر أمانة فهو أمين، واستعمل المصدر في الأعيان — توسعا — فقليل: «الوديعة أمانة» والجمع أمانات (٢٩٩) ولقد خص الرسول الامانة هنا باسناد ما يتعلق بالدين كالخلافة والقضاء والافتاء الى غير أهله من ذوى الدين الاكفاء.

(٢٩٧) خلاصة تذهيب الكمال ج ٢ — ٢٣٢

(٢٩٨) يرجع الشيخ احمد محمد شاكر في تعليق على ج ١٢ ص ٨٣ من مسند الامام احمد إسم عبد الله.

(٢٩٩) معجم الفاظ القرآن الكريم لمجمع اللغة العربية في القاهرة ج ٤.

فانتظر الساعة: الفاء للتفريع أو هي في جواب إذا المضمنة معنى الشرط..  
وُسُـد: أُسند، وأصله من الوسادة التي كانت عاداتهم أن يثبونها تحت الامير  
إذا جلس كيف اضاعتها؟! السؤال عن الكيفية، والجواب المذكور بالزمان،  
وقد أجيب عن هذا بأن ذلك متضمن الجواب، أو يفهم منه أن كيفيتها هو  
التوسيد المذكور..

## ١٠٥ - الشرح

٩٣

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث أصحابه — بنور من ربه —  
فيما يرى ان حاجتهم اليه ماسه «وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى» (٣٠٠)  
وتتابع حديثه واتصل، يده فيه وحى مولاه «وانزل الله عليك الكتاب  
والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما» (٣٠١)  
«وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون» (٣٠٢)  
ومما أدب الله به المؤمنين «يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبدلكم  
تسؤكم وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبدلكم .. (٣٠٣) .

وان من الانصاف ان ندع المحدث يمضى في حديثه — وهو اهل الثقة —  
فلا نقاطعه بما يخامرنا من جوانب الموضوع، فاذا انتهى دون ان يتناول مامر  
بخاطرننا، سألناه ولا حرج — وحين سأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو  
يحدث أصحابه عن فرضية الحج — «أكلّ عام يا رسول الله؟!» تركه الرسول حتى  
قالها ثلاثا ثم قال «لا ولو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم» وفي لفظ مسلم:

- (٣٠٠) جـ ٣ ص ٢٠٢ النهاية في غريب الحديث والأثر..  
( ) شرح ثلاثيات الامام احمد جـ ٢ للسفارني وله كلام في الساعة وسر تسميتها بذلك  
(٣٠١) نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب وفي بلوغ الأرب للأوسى من ذلك ما ينفذ  
(٣٠٢) جـ ١ ص ٧١ «البداية في غريب الحديث والأثر»  
(٣٠٣) المصباح المنير جـ ١ ص ٢٩ تحقيق الأستاذ السقا



«دعوني ما تركتكم فانما اهلك من كان قبلكم سؤالهم واختلافهم على انبيائهم  
فاذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه واذا امرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم» (٣٠٤)  
وقال « ان الله تعالى فرض فرائض فلا تضيعوها، وحد حدودا فلا  
تعتدوها، وحرم أشياء فلا تنتهكوها، وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا  
تسألوا عنها» (٣٠٥)

ولا يتعارض هذا الأدب مع قول الله تعالى «فاسألوا أهل  
الذكر...» (٣٠٦)

والمسألة نصف العلم كما ذكر ابن حجر من كلام الائمة (٣٠٧)  
وان الآيات والاحاديث توجب السؤال في الدين وضروريات العلم،  
بعيدا عن مقاطعة متحدث أو السؤال عما يكون في كشفه افتضاح او سوء حال.  
وحديثنا ذلك يقدم درساً في التربية حقيق بأن يؤثر، وإذا كان نبينا  
صلوات الله عليه أهلاً لتفرض خواطر الناس وهو يقول « اتقوا فراسة المؤمن فإنه  
ينظر بنور الله» (٣٠٨)

فإن من حق المتحدثين بعده الى يوم القيامة حين يجدون ويرتفعون إلى  
ما ينفع ان لا يقاطعهم من يستمع اليهم، حتى يفرغوا مما هم بسبيله من قول، فإن  
هذه المقاطعة مع ما فيها من اشغاب على الآخرين، ربما شغبت على المتحدث وجوه  
القول، وصرفته عما هو أحق بالمضى فيه من سواه! ولقد مضى الحكيم الكريم  
صلوات الله عليه يحدث صحابته برغم سؤال من سأله عن القيامة التي يجمع الله  
في ساحتها الأولين والآخرين.. فلما اتى الرسول صلوات الله عليه من البيان على  
ما اراد، بادري سؤال عن السائل ويحييه دون أن تغنف به أو يشق عليه!!

(٣٠٤) النجم/ ٣ - ٤

(٣٠٥) النساء/ ١١٣

(٣٠٦) النحل/ ٤٤

(٣٠٧) المائدة، ١٠١ وتفسير المنارج - ٧

(٣٠٨) الاعتصام، والافتداء، الفتح/ ١٣

ان السؤال عن الساعة ههنا ينطلق من وعى الأعرابى بأنها حق<sup>١</sup> يؤثر ويحذر، وفي الناس من يمارون فيها، و ينكرونها، وفيهم من يذكرونها و يتعللون بالأمانى الكذاب يوم لاشيىء الا الجنة او النار «يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها، والذين آمنوا مشفقون منها و يعلمون انها الحق ألا إن الذين يمارون في الساعة لفي ضلال بعيد» الشورى/١٨..

وانها لواحدة من امور خمسة استأثر الله بعلمها وتكفلت السنة بتفصيلها روى الامام احمد عن ابن عمر رضى الله عنها قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن الا الله (إن الله عنده علم الساعة .../٣٤ الآية لقمان.

و يشرح ابن حجر حديث سؤال جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم عن الايمان والاسلام والاحسان وعلم الساعة ونورد قول القرطبي المقصود من هذا كفى المسلمين عن السؤال عن وقت الساعة لانهم كانوا قد أكثروا السؤال عنها كما ورد في كثير من الآيات والاحاديث (٣٠٩)

### اسلوب الحكيم

وكم من مرة صرف النبي صلى الله عليه وسلم سائليه عن الساعة بأسلوب الحكيم الى ما هو اعم نفعاً، واعد فائدة في عاجل وأجل كقوله لأحدهم «فما أعددت لها» حتى قال «المرء مع من أحب» (٣١٠)

وكأن النبي قال لهم «دعوا السؤال عن الساعة وسلوا عن وقت انقضاء أجالكم، فهو احرى أن يبعثكم على العمل.. ورحم الله الامام القرطبي فهو يقرر ان لامطمح لأحد في علم شىء من هذه الامور الخمسة لهذا الحديث الذي نسر

(٣٠٩) أبو ثعلبة الخشني — رواه الطبراني مجمع الزوائد ورجاله رجال الصحيح، والمطالب العالية ٧٢/٣  
(٣١٠) النحل/٤٣

النبى الخمس فى آية لقمان وهو يفسر «وعنده مفاتيح الغيب.. الأنعام/ ٥٩ قال القرطبي «فن أوتى شيئا منها غير مسنده الى رسول الله كان كاذبا في دعواه» (٣١١).

#### فرق ما بين العلم اليقيني والنظري

يقول الامام القرطبي «وأما ظن الغيب فقد يكون من المنجم أو غيره اذا كان في الأمر العادى، وليس ذلك بعلم ص ١/١٣٢ الفتح» وهذا القول من القرطبي سعة أفق من جهة وهو من جهة أخرى واقعية تتجدد فيما تعطي الارصاد وأجهزة الفلك مما يجيب على كنهه أو بعضه.. كما قالت.. واعتبار ذلك.. وهو حساب يسد ابواب الاوهام في وجوه لا ترى نور الاسلام ولكنها تدعن لطوارق الحصى وزاجرات الطير وقارئات الكف.. وابن مسعود رضى الله عنه يقول «أوتى نبيكم صلى الله عليه وسلم كل شيء سوى هذه الخمس عن ابن عمر مرفوعاً أخرجه أحمد، وأخرج حميد بن زنجويه أنه ذكر العلم بوقت الكسوف، فأنكر عليه فقال «انما الغيب خمس وتلا هذه الآية — من سورة لقمان — وما عدا ذلك غيب يعلمه قوم ويجهله قوم (٣١٢)

ولقد قال العلماء في تردد الصحابة في الحكم على عدم مبادرة النبى صلى الله عليه وسلم الى جواب السائل كما قال بعضهم «سمع ما قال فكره ما قال» وقال بعضهم لم يسمع..

ان ذلك انما كان بسبب عدم التفات النبى الى السؤال، ولكونه صلى الله عليه وسلم كان يكره السؤال عن هذه المسألة بخصوصها، وقد تبين عدم انحصار ترك الجواب في الأمرين المذكورين، بل احتمال ان يكون أخره ليكمل الحديث الذي هو فيه، أو أخر جوابه ليؤخى اليه به (٣١٣)

(٣١١) ذكر ابن حجر مما يفيد الحديث «أن العلم سؤال وجواب وقال «وقيل حسن السؤال نصف العلم»

الفتح ج ١ ص ١٤٢ — السلفية

(٣١٢) رواه أبو أمامه وأخرجه الطبراني والترمذي وأخرجه الترمذي أيضا من رواية أبي سعيد. وهو بلفظ آخر احذروا دعوة المسلم.. الخ عن أبي نعيم والعسكري عن ثوبان/ كشف الخفا.

(٣١٣) في كتاب «الايان» من الفتح/ ٦

#### ٩٤ - الرفق النبوى

ولقد دعا الرسول السائل فور انتهائه صلوات الله عليه من حديثه، فلما جاءه لم ينهره، ولم يكلفه باعادة سؤاله، وما أن قال «ها أنا يا رسول الله حتى قال له» ان الساعة لايسأل عن زمان قيامها، وأنها تعرف — في الأحاديث الأخرى — بأماراتها الدالة على قرب قياسها» ولقد علم الله نبيه بعض تلكم الأمارات فقال تعالى: «أنفت من ذكرها» على قراءة من وقف على «فيم» في قوله تعالى «يسألونك عن الساعة أبان مرساها، فيم أنت من ذكرها (٣١٤)

وفي حديث الايمان «وسأخبرك عن علاماتها» وحديث لا تقوم الساعة الا على كعب ابن كعب و «حتى يخون الأمين و يؤتمن الخائن» ومن أحاديث اشرط الساعة في كتاب العلم «ان يقل العلم و يظهر الجهل و يظهر الزنى، وتكثر النساء و يقل الرجال..»

ومن الأحاديث التى في «علامات النبوة» لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا أقواما نِعَالُهُمُ الشعر «وتقوم الساعة حتى تقتتل فئتان فيكون بينهما مقاتلة عظيمة دعواهما واحدة، ولا تقوم الساعة حتى يبعث رجالون كذابون، قريبا من ثلاثين كل منهم يزعم أنه رسول الله»

وفي كتاب الرقاق شرح لصاحب الفتح يُملَى على فيه للقلم قُ بيان أسلوب الحكيم في دعوة الرسول الرحيم للأعرابي «أين أراه السائل» وفي اجابته له صلوات الله عليه.

#### ٩٥ - إنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ

ولقد أكد الله قرب قيام الساعة فقال أتى أمر الله فلا تستعجلوه آية النحل/١ وفي التعبير بالماضى فيما لم يقع بعد، مايفيد تحقق الوقوع، وقال تعالى «اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون... الأنبياء/١  
«اقتربت الساعة وانشق القمر» القمر/١

---

(٣١٤) الفتح/١ ص ١١٩

وفى السنة «بعثت في نيسم الساعة ( )» ويقول ابن الأثير حـ: «بعثت في أول اشرط الساعة» «بعثت أنا والساعة كهاتين..»

ومن كلمات عيسى عليه السلام «فانها كالحامل المتم التي لا يدري أهلها متى تفجؤهم بوضعها ليلا أو نهارا» ونعى سبحانه على الذين قالوا «ماندري ما الساعة ان نظن إلا ظناً وما نحن بمستيقنين» الجاثية/ ٣٢ وبين تعالى شأنه — أمر الناس حيالها فقال:

«وما يدريك لعل الساعة قريب يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها، والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق الا ان الذين يمارون في الساعة لفي ضلال بعيد «الشورى/ ١٧ — ١٨»

## ٩٦ — الأمانة في الحديث

وخلق بالأمانة — تكاليف وتخلُّقا.. أن يلفت الرسول إليها الأنظار في هذا الموقف الذى أثار الانتباه وحشد الافكار، وتوجهت إليه فيه البصائر والأبصار.. ان الأمانة في قول الله تعالى «أنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض...» الأحزاب/ ٧٢ عامة في التكاليف الالهية.. وهى هنا... في الحديث — ضد الخيانة، وهى اصطناع غير الأكفاء الذين لا ترشحهم فضائلهم العلمية والنفسية لعمل هام — واذا كانت الخيانة فيما استودع بعض الناس من ودائع، من اشنع الرذائل، وأدلها على خسة صاحبها وأثرته الظالمة وأنانيته الهادمة، وأعودها بالقلق والحيرة وانعدام الثقة بين الناس.. وهى أمور لا يرضاها الله ولا تصلح بها حياة.. فان الأمانة — بحق — من أشرف الفضائل فهى تدنى الناس من الناس، وتجعلهم بحسن المداخلة وكرم المعاملة كالجسد الواحد تماسكا وتعاوننا واحساسا، وفى ذلك من سكينه النفس وسعادة الفؤاد ما ليس وراءه وراء..

— ولقد كان محمد صلوات الله وسلامه عليه «الصادق الأمين» عرفه بذلك قومه قبل الرسالة والاصطفاء، وأجمعت عليه كلمتهم يوم ارتضوه حكما فحقن

الله به دماءهم من يوم الحجر الأسود وبقى القرآن الكريم بعلی من قدر الأمانة وهو يوجبها على المؤمنين بمثل قوله جلّت حكمته «ان الله يأمرکم ان تؤدوا الأمانات الى اهلها...» النساء/ ٨٨

وان الرسول صلوات الله عليه ليجعل اضاءة الأمانة في هذا الحديث أمارة قرب الساعة بأسلوب الشرط الذى اقترن فيه الجواب بالفاء في جملة فعلية طلبية تحمل من الوعيد مالا يحتاج الى توكيد!!

ولما لم يتفطن الاعرابى الى قول الرسول «اذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة» وراح يستوضح رسول الله مالم يفهمه، قائلا «وكيف اضاءتها» جاءه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم «اذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة»

ومراد النبى صلوات الله عليه بهذا الكلام البين على ما علمت من عادة القوم انهم كانوا اذا جلس أميرهم ثنوا له وسادة تحته.. أي أنه اذا جعل للأمر من الفتيا أو القضاء أو الخلافة العامة أو الولاية الخاصة في الجانب الذى ينهض به أهله، واحتج هذه الأمور غير أهلها كان ذلك كما تجعل الوسادة خاصة للأمير، فعند حدوث ذلك ووقوعه وشيوعه تكون الساعة متوقعة!!

وبقول ابن بطال «ان الائمة ائمتهم الله على عبادته وفرض عليهم النصيح فاذا قلدوا الأمور غير أهل الدين، فقد ضيعوا الأمانة التى قلدهم الله إياها!!

#### ٩٧ - أدب العالم والمتعلم في الحديث

والحديث حجة على بعض المعلمين الذين جعلهم الله أوعية للعلم، وألسنة للحق، وأعلاما للهدى، وهم مع ذلك يعثفون على غير المأمول منهم بالمتعلمين، وربما صدّوا بعضهم بذلك عن موارد العلم، واذا كانت الملائكة تضع اجنحتها لطالب العلم رضى بما يصنع ويستغفر له كل شيء حتى الحيتان في البحر كما قال معلم الناس الخير صلوات الله عليه في غير ما حديث اخرجها ابن

عبد البر بسنده في الجزء الأول من (جامع بيان العلم وفضله) (٣١٥) أفلا يذهب المتعلمون أفراداً وجماعات بشيء من رفق معلمهم الذين يروون قول رسول الله صلى الله عليه وسلم «الكلمة الطيبة صدقة»

«انكم لن تسعوا الناس بأموالكم فليسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق» وما يسترق قلب الإنسان، ويثنى الناس إلى الناس شيء كالإحسان، وهو يمثل خير ما يمثل في الكلمة اللينة، وبشاشة الوجه عن ثقة و يقين.

بشاشة وجه المرء خير من القرى فكيف إذا جاء القرى وهو ضاحك؟

والعلماء يعرفون من تاريخ الامام البخارى أنه كان جواداً سخياً، وإن العلماء من قبله ومن بعده كانوا يتألفون بالعطاء شدة المعرفة وطلبة العلم.. وقد روى الأهدل فى مخطوطه في تاريخ ملوك اليمن وعلمائه «أن الفقيه احمد بن محمد بن يوسف بن فحيص الذى عرف بأحمد معوضة القرشى، كان يباسط تلاميذه وربما أنفق وكسا بعضهم، وقد توفى سنة ست عشرة وثمانائة للهجرة .

ان كلمة طيبة من الاستاذ تحكم بينه وبين تلاميذه وثاق مودة لا تنفصم عراها، وما زالت الاخلاق تسلس أعنة كان الشيطان يقودها الى الهوى والضلal.. وانها لأخلق بالعلماء ورثة الأنبياء ومصابيح الهدى وينابيع الرشاد..

وكم نعرف طلاباً كانوا لمعلمهم أبناء أوفياء، عرفانا لما أفادوه منهم من علم وسلوك.. وعسى ان يكون لطلاب العلم — ونحن منهم نطلب العلم من المهد الى اللحد، ان شاء الله، بعض عرفان ذلك الأعرابي لقدر العلم وحرصه على التعلم، فانه وان بدا مجاوزا القصد بسؤال النبي وهو يحدث، فإنه لم يغضب ولم تأخذه العزة بالاثم، ولم يعط عدم رد الرسول من فوره عليه، معنى ضخما، يدع به المجلس، ويحسبه انتقاظاً لكرامته، وهضمًا لشرفه، ولكنه انتظر لم يطل انتظاره حتى دعاه الرسول إليه، وأجابه عما سأل في نور من قول الله تعالى في مصطفاه.

---

(٣١٥) متفق عليه عن أنس «كشف الخفا ٢٠٢/ وهو عن عبد الله في رواية أخرى وكلاهما في جـ ١٦ ص ١٨٦ — ١٨٨ النووي على مسلم

«لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم» التوبة / ١٢٩ وما كان اعظم شجاعة الرجل النفسية حين لم يفهم قول رسول الله «إذا ضيعت الأمانة.» انه لم يخدع نفسه، ولم يتحرج من الاستفسار عن كيفية إضاعة الأمانة .

روى الامام البخارى في باب «الحياء في العلم» قول مجاهد لا يتعلم العلم مستحي ولا مستكبر (٣١٦) وروى احاديث منها «نعم النساء نساء الانصار لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين (٣١٧)

ان الحياء والكبر وابعاء خفض الجناح للعلم، والانصراف اليه عن بعض نوافل الطاعات فضلا عن الشواغل الأخرى، مضيعة للعلم - أشرف ما يقتنى وأنفس ما يجاهد في سبيله عاقل ومجاد، وينفق في تحصيله كلال ليله ونهاره .. ورحم الله ابن الجوزى، عالم الآفاق، وواعظ العراق، فهو يقول في يواقيته :

«ان العلم لا يحصل الا بالنصب، والمال لا يجمع الا بالتعب، واسم الجواد لا يدركه بخل، ولا يلقب بالشجاع الا بعد تعب طويل ..»  
لولا المشقة ساد الناس كلهم الجود يفر، والاقدام قتال .

ولله در القائل  
وقالوا كيف حالك . قلت خيرا      تُقَضَّى حاجة، وتنفوت حاج  
اذا ازدحت هموم الصدر قلنا      عسى يوم يكون له انفراج  
ثديى قطتى، وأنيس بيتي      دفاترلى، ومعشوقى السراج  
حاج .. جمع حاجه .

والله ينير لنا طرق العلم به وبنبيه، وبما شرع سبحانه لصالح الحياتين ..  
امين .

(٣١٦) الفتح ١/ ١٣٢  
(٣١٧) الفتح ١- ص ١٣٢



## ٩٨ - مأستفاد من الحديث

- ١ - صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اداء المهمة غير آبه لسؤال ليس فى تأخير ضرر .
- ٢ - رفقه بالمتعلم .
- ٣ - أن لا يسأل المتعلم المعلم وهو يشتغل بغيره لأن حق الأول مقدم .
- ٤ - مراجعة العالم حتى يفهم السائل ما لم يفهم .
- ٥ - التثبت من كفاءة من يُلَوَّن أمر الناس فى دينهم ودنياهم حتى لا تصير هذه الأمور الماسة لمن ليسوا لها أهلا وفى ذلك ائذان بانتهاء الحياة وقيام الساعة .

## ٩٩ - مراجع البحث فى هذا الحديث

- ١ - القرآن الكريم وكتب تفسير ابن كثير والمنار .
- ٢ - فتح البارى، وهدى السارى لابن حجر، وشرح الزبيدى للشرفاوى، وشرح العيني والكرمانى . ومسند الامام أحمد وصحيح الامام مسلم بشرح النووى .
- ٣ - كتب الرجال الاصابه لابن حجر، والاستيعاب لابن عبد البر .
- ٤ - النهاية فى غريب الحديث والأثر . لابن الأثير، مخطوط الأهدل، المصباح المنير، وغيرها من كتب اللغة كمفردات الراغب ومعجم الفاط القرآن لمجمع اللغة بالقاهرة .
- ٥ - كتب «بلوغ الأرب» للألوسى» ونهاية الأرب لابن أبى غدة .

## الحديث الثانى

### باب «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين»

١٠٠ — السند والمتن :

حدثنا سعيد بن عفير قال حدثنا ابن وهب عن يونس عن ابن شهاب قال، قال حميد بن عبد الرحمن سمعت معاوية خطيباً يقول : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، وإنما أنا قاسم والله يعطيني، ولن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله لا يضرها من خالفها حتى يأتي أمر الله» (٣١٨) .

.. الترجمة والحديث متطابقان، وفي الحديث زيادة بيان حال الرسول فى أداء رسالته، وحال الأمة المستمسكة بدين الله ..

١٠١ — تراجم السند :

سعيد بن عفير .. هو هكذا فى السند، وسماه ابن حجر «سعيد بن كثير بن عفير، نسبة الى جده ، وقال الخزرجى «سعيد بن كثير بن عفير مصغراً (٣١٩) مولا هم ابو عثمان المصرى الحافظ - التقريب ص ٣٨٨ ص ١٢٥ لابن حجر.. روى عن ابن وهب والليث ومالك، وعنه البخارى.. كما هنا - وأبو بكر الصاغانى - محمد بن اسحق - وعثمان بن خُرَزَّادَه .. كما ذكر الشيخ فايد فى تعليقه على الخزرجى قال ابن عدى صدوق ثقة، وكان من أعلم الناس، بالانساب - كما قال ابن يونس - ادباً فصيحاً مات سنة ست وعشرين ومائتين (٣٢٠).

ابن وهب :

---

(٣١٨) المصدر السابق ص ١٥١

(٣١٩) النازعات/ ٤١ - ٤٣

(٣٢٠) ص ٣٨ - ٤٠ وقال رواه ابن ماجه وابن حبان، ورواه الترمذى والحاكم وصححه

حدث عنه البخاري ههنا بواسطة سعيد، وحدث عنه في غير ما باب في غير هذا الكتاب حدثنا احمد عن ابن وهب «كتاب رفع الصوت في المساجد» و «باب اذا قام الرجل عن يسار الامام فحوله» واختلفوا هل هو احمد بن عبد الرحمن بن وهب وثقوه «المتوفى ٢٦٤ هـ كما في الخلاصة أو هو ابن أخي ابن وهب كما في التقريب» (٣٢١)

يونس :

صاحب الزهري هو يونس بن يزيد الأيلي .. كما قال ابن حجر- يقول ابن معين فيه : أثبت الناس في الزهري : مالك ومعمرو يونس وعقيل وشعيب» واحمد بن صالح يقول «نحن لانقدم على يونس في الزهري أحداً، وذكر كلاماً فيه جرح له حتى قال : وثقة الجمهور مطلقاً وذكر وجه من خالفوه، وضعفوا يونس، وانتهى بإيراد من وثقوه ومنهم الامام احمد (٣٢٢) .

ابن شهاب :

صاحب الفضل في تدوين السنة محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب بن زهرة الكلبي القرشي الزهري المدني ولد سنة ٥٠ هـ، وهو من رءوس الرابعة وخليق بقولهم «لولا الزهري لضاع كثير من السنن متفق على جلالته واتقانه وكنيته ابو بكر وتوفي في رمضان سنة أربع وعشرين ومائة (٣٢٣).

حميد بن عبد الرحمن

حميد بن عبد الرحمن بن عوف الزهري المدني ثقة من الثانية «التقريب / ٨٤ ووثقة ابو زرعة عن أمه أم كلثوم بنت عقبة ونحاله عثمان وطائفة وعن ابنه عبد الرحمن وابن أخيه سعد والزهري كما في الخلاصة ح ١ ص ٢٥٩.

(٣٢١) ص ٢٣٩ ج ١ فتح الباري قال ابن حجر وقول مجاهد وصله ابو نعيم في الحلية من طريق علي بن المديني بسنده وهو اسناد صحيح على شرط المصنف ..  
(٣٢٢) ذكره البخاري معلقاً في ترجمته «كتاب الحياء» ووصله مسلم في كتاب الحيض «شرح النووي ج ٤ ص ١٦ غسل الحيض»  
(٣٢٣) الفتح / ١ من ١٧٣ - ١٧٤

## ١٠٢ - معاوية رضى الله عنه :

الصحابى الجليل معاوية بن أبى سفيان بن حرب بن صخر بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف الأموى القرشى أمير المؤمنين . ولد قبل الهجرة بخمس سنين فى أشهر الأقوال ، وأسلم عام الفتح وهو ابن ثلاث عشرة سنة ، وفى رواية الواقدى أنه أسلم بعد الحديبية ، وكنم إسلامه فلم يعلنه الا يوم الفتح ، وكان يكتب الوحى ، ( ٣٢٤ ) وقد أسلم بين يدي النبى صلى الله عليه وسلم - ولا يعارض رواية الواقدى من إسلامه بعد الحديبية ، وأنه كان فى عمرة القضاء مسلماً ، ما روى عن سعد بن أبى وقاص فى الصحيح أن سعداً قال عن هذه العمرة «لقد فعلناها وهذا - معاوية - كافر ! ويحتمل أن سعداً ما كان يدرى بما أخفاه معاوية من أمر إسلامه ، وأرسل قوله بحسب ما استصحبه من حاله .

وكان معاوية بادية الذكاء منذ طفولته ، يرى فيه كل من رآه سمات النجابة ، وأمارات اتقاد الذهن . اخرج البغوى بسنده عن أبان بن عثمان «كان معاوية يشى وهو غلام مع أمه ، اذ عثر . فقالت : قم لارفعك الله . فقال لها اعرابى : لم تقولين له هذا ؟ ! والله أنى لأراه سيسود قومه ! فقالت ؛ لارفعه الله ان لم يسد الا قومه»

فليس عجباً أن تقرأ فى روايات أخرى ذكرها صاحب الاصابة عن ابن سعد عن المدائنى قال : «نظر أبوسفيان الى معاوية وهو غلام فقال : ان ابني هذا العظيم الرأس ، وانه خليق أن يسود قومه فقالت هند : قومه فقط ؟ ثكلته ان لم يسد العرب قاطبة .. ( ٣٢٥ )

وكان ابن عباس رضى الله عنها يقول «ما رأيت أحدا أحلى للملك من معاوية وابن عباس لا يعطى حكمه على ظواهر جسميه ولا لمجرد ملامح نفسه فحسب ، ولكنه يراه فقيهاً عالماً .

( ٣٢٤ ) الفتح / ١٧٣ والخلاصة / ١ ص ٣٨٨  
( ٣٢٥ ) الخلاصة تعليق الشيخ فايد ج ١ ص ٣٤٤

روى البخارى بسنده عن عكرمة قلت لابن عباس : «إن معاوية أوتر بركة» فقال «انه فقيه» وحسبك بابن عباس متحدثاً !

صحب معاوية النبی صلی الله علیه وسلم وكان يقول لقد أسلمت قبل عمرة الحديبية، ولكنى كنت أخاف أن أخرج الى المدينة، لأن أمى كانت تقول : «ان خرجت قُطِعَتْ وكان يقول «اتبعت رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضوء، فلما توضأ نظر الى فقال «يامعاوية .. ان وليت أمراً فاتق الله واعدل » فازلت أظن انى مُبْتَلَى» (٣٢٦)

ولقد روى كثيرا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم «ومما لم يروه الا معاوية قول رسول الله صلى الله عليه وسلم «الخير عادة، والشر لاجاجة» (٣٢٧) ... وروى معاوية عن ابي بكر وعمر وعثمان واخته أم حبيبه أم المؤمنين . وروى عنه من الصحابة ابن عباس جرير البجلي ومعاوية بن خديج والسائب بن يزيد وعبدالله بن الزبير، والنعمان بن بشير، وغيرهم من كبار التابعين جم غفير من الرجال وله في البخاري ثمانية احاديث منها هذا الحديث ..

وكان عمر يقول اذا رأى معاوية «هذا كسرى العرب» وروى ابن المبارك في كتاب الزهد عن أسلم مولى عمر قال : «قدم علينا معاوية، وهو ابهى الناس وأجلهم، فخرج الى الحج مع عمر بن الخطاب، وكان عمر ينظر اليه فيتعجب منه، ثم يضع اصبعه على جبينه، ثم يرفعها عن مثل الشراك (٣٢٨) فيقول :

«بخ .. بخ إذا نحن خير الناس أن جمع لنا خير الدنيا والآخرة» فقال معاوية : يا أمير المؤمنين إنا بأرض الحمامات والريف .. فقال عمر: «سأحدثك ما بك الطافك بنفسك بألفط الطعام، وتصبحك حتى تضرب الشمس جنبيك وذووا الحاجات وراء الباب» قال حتى جئنا ذا طوى فأخرج

(٣٢٦) هدى الساري ج ٢ / ٢٢٦ والتقريب طبعة باكستان دار النشر الاسلامية ص ١٤  
(٣٢٧) ج ٢ ص ٢٥٩ الخلاصة تعليق الشيخ فايد .. وهو في التقريب لابن حجر «من كبار السابعة»  
(٣٢٨) أقرأ في ابن شهاب تذكرة الحفاظ للذهبي الطبعة الرابعة ص ١٠٨ والخلاصة ص ٤٥٧ ج ٢

معاوية حلة فلبسها، فوجد عمر منها ريحاً كأنه ريح طيب.. فقال! يعمد أحدكم فيخرج حاجاً تفلأ (٣٢٩) حتى اذا جاء بلدان الله حرمة، اخرج ثوبيه كأنهما كانا في الطيب فلبسها. فقال له معاوية: أنما لبستها لأدخل بهما على عشيرتي. يا عمر والله لقد بلغني أذاك ههنا وبالشام فإله يعلم أن لقد عرفت الحياء في عمر، فنزع معاوية الثوبين، ولبس ثوبيه اللذين أحرم فيهما.. قال ابن حجر: وهذا سند قوى .

وكان معاوية في الشام مع أخيه يزيد بن أبى سفيان، وولاه عمر الشام بعد يزيد، وثبته عثمان على ذلك، ثم استمر في الشام فلم يبايع علياً، ثم حاربه، واستقل بالشام، ثم اضاف اليها مصر، ثم تسمى بالخلافة بعد الحكيم، ثم استقل لما صالح، فاجتمع عليه الناس، وسمى ذلك العام عام الجماعة .

وكان معاوية حليماً وقوراً فصيحاً قوى الحجّة، وكان ابوسفيان يذعن لحجته.. وما أنسى قوله لأبيه وقد أستأذن بلال وأبوسفيان على عمر.. وقال الأذن لأمر المؤمنين: بالباب أبوسفيان وبلال . فقال له عمر مغضباً: قل بالباب بلال وأبوسفيان، ثم أذن لبلال ..

وكان معاوية في مجلس عمر.. فعرف ما يصنع ذلك بأبيه، وهو يحسب حساب شرفه في عبد شمس.. فخرج معاوية من فوره فوجد أباه ثائراً عاضباً .. فقال له: لعلك أخذت على أمير المؤمنين أنه أذن لبلال وخلأك ..

ان الله تعالى بعث رسوله محمداً بالهدى ودين الحق، فأمن بلال وكفرت وسبق وتأخرت، وانما قدّم أمير المؤمنين بلالا بالاسلام والقرآن ولوقدمك لقدمك بعبد شمس، أفترضى أن تسبق عبد شمس الاسلام . والقرآن؟.. واذا كنت تجد على أمير المؤمنين لذلك، فاذا أنت فاعل يوم القيامة حين يأذن الله لبلال فيسبقك الى الجنة؟!

---

(٣٢٩) في غير ما موضع في الإصابة عند الامام احمد بن مسلم .

فأذهب ذلك القول القاصد الحكيم غضب أبى سفيان، ونهه من خنزوانته، ودعا لابنه بخير، وقال.. «والله لو وجدت بلالا في إحدى سكك المدينة بعد اليوم ماوسعى أن أتقدم عليه»!!

والتاريخ يذكر لمعاوية وبنى أمية مواقف مع أهل البيت، تثير في أنفسنا شيئا من الأسى واللوعة، ولكننا نفىء أمامها مسرعين الى وصاة رسول الله صلوات الله عليه بالقصد في تناول أصحابه بخاصة، وبالاعراض عن مساوىء المسلمين بعامة وهو يقول «اذكروا محاسن موتاكم، وكفوا عن مساوئهم» كشف الخلفاء ص ١٠٥ ج١ وهو عند أبى داود والترمذى والطبرانى والحاكم عن ابن عمر رضى الله عنهما وعن عائشة مرفوعا في البخارى فى الجنائز، والرقاق بلفظ «لا تسبوا الأموات فانهم افضوا الى ما قدموا» .

فليكن ذلك سبيلنا أبدا، وليتق الله اخوة يشرعون أقلاماً جافية جاسية في علماء وأوائل على نحو يظهر فيه الهوى، وليتهم يذكرون عظة القائل .

لا تظلموا الموتى، وإن طال المدى  
أني أخاف عليكم أن تقبروا  
ولا ادري، أليس لهؤلاء الذين تنهشهم هذه الأقلام وهى ماتذكر من معايهم..  
ورحمتك اللهم وغفرانك.. اليس لهؤلاء حسنة تذكر؟ اوفضل يؤثر؟! أم أن في دنيا  
الناس عيوننا لا ترى الا النقائص؟! وليس لها فى المحامد مراد ولا مصلحة!!

ونسأل الله أن يرفعنا الى مستوى احسان من أحسنوا، وأن يعصمنا من الانزلاق في مثل ما واجهوا من فتن ومحن «وفى الحديث الذي رواه عمرو بن العاص، وهو فى البخارى فى «الاعتصام بالكتاب والسنة» «إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران ، وإذا حكم فاجتهد ثم اخطأ فله أجر»

واتوقف عند هذا الحد من أمير المؤمنين معاوية الى لقاء أسأل الله ان يعين عليه وفاء بموعدة لشيخ جليل أن اتبع فى امهات سماها، وأحسن ظنه بى حين ترك لى اختيار سواها معها، لاستخلاص ما فيها من كلام عن الخلفاء الأربعة ومعاوية رضى الله عن الجميع، وعنا معهم بفضل منه وإحسان .

### ١٠٣ - كلمات الحديث متناً واصطلاحاً

**يرد :** بضم الياء المثناه: وكسر الراء من الارادة، وهي تخصيص أحد طرفي الممكن بالوقوع.. قال صاحب القاموس في باب الدال فصل الراء «الرود الطلب.. كالرياد والارتياح والذهاب والمجىء، والمرادة والرياد والريد بكسر الراء فيها.. والارادة: المشيئة والميل الى الشيء، وهي بهذا المعنى حيث وقعت في القرآن الكريم من كلام الله أو من حكاية قول غيره ممن تتأق منه الارادة وتتأق بمعنى المشاركة والمدانة مما لا ارادة له على سبيل التوسع ومنه قوله تعالى «فوجدنا فيها جداراً يريد ان ينقض فأقامه» الكهف / ٧٧ (٣٣٠)

**خيراً:** الخير مافيه المنفع والصلاح والبركة والثناء.. وهو ضد الشر.. وهو في الحديث منكّر يفيد التعميم او التعظيم وقد رجح الاخير ابن حجر لاقتضاء المقام .

**يفقهه:** يفهمه، فالفقه في اللغة : الفهم ويقال فقه الرجل بكسر القاف يفقه بفتحها فقها اذا فهم كعلم يعلم علماً. وفقه بضم القاف في الماضي والمضارع كشرف يشرف اذا صار الفقه له سجيّه. وفقه بفتح القاف في الماضي والمضارع كبعث يبعث اذا سبق غيره الى الفهم .

وفي معجم الفاظ القرآن الكريم ج ٤ ، واشتقاق الصفه من الشق والفتح .. حتى قال : «وتفقه صار عالماً بالفقه أى علم الدين، وقد غلب الفقه على علم الدين كما غلب النجم على الشريا، وزاد تخصيصاً بعلم الفروع منها وهو تخصيص متأخر» (٣٣١)

(٣٣٠) اقرأ كلمة ابن عبد البر عنه في الإصابة  
(٣٣١) أخرجه البيهقي في الشمائل وغيره وقال ابن حجر في الإصابة في رواية سويد مقال..



## الدين:

كلمة تؤخذ من فعل متعد بنفسه «دانه يدينه» أى ملكه وحكمه، ولعل منه الحديث «الكيس من دان نفسه..» أى ضبطها وحكمها والله «الديان» القاضى بين عباده .. وتؤخذ تارة من فعل متعد باللام «دان له..» أى أطاعه وخضع له فالدين هنا العبادة والطاعة وكلمة «الدين لله تعنى» الحكم لله والخضوع له «وتؤخذ من فعل متعد بالباء» «دان به».

ويكون المعنى «اتخذ ديناً ومذهباً» أى اعتقده واعتمده وتخلق به.. والمادة كلها تدور على معنى لزوم الانقياد..

والانقياد للدين الذى هو وضع الهى سائق - لذوى العقول السليمة باختيارهم الى الصلاح فى الحال والفلاح فى المآل «وقد يكون أوضح من هذا التعريف الفلسفى أن الدين هو «وضع الهى يرشد الى الحق فى الاعتقادات والى الخير فى السلوك والمعاملات» كما قال الدكتور محمد عبد الله دراز رحمه الله (٣٣٢)

## الأمة :

لها معان منها - الرجل الجامع للخير، ولعل منه قوله تعالى «ان ابراهيم كان أمة» النحل / ١٢٠، والقائم مقام جماعة، ومن هو على الحق مخالف لسائر الأديان - والجيل من كل حى، انساناً أو حيواناً. ومنه الحديث «لولا ان الكلاب أمة تسبح لأمرت بقتلها».

والطائفة من الناس . ومنه «وجد عليه أمة من الناس يسقون» القصص / ٢٣ والطائفة من الزمان «واذكر بعد أمة» يوسف / ٤٥

والطريق والمذهب والطاعة «انا وجدنا آباءنا على أمة» الزخرف / ٢٢ / ٢٣ .

---

(٣٣٢) الإصابة عن ابن أبي داود بسنده..

قائمة على أمر الله: يقال قام على الأمر إذا دام وثبت عليه «أساس البلاغة

للزحشرى»

أمر الله : دينه ، والحق الذى أنهاه رسول الله الى البشرية وبلغه  
عن ربه تبارك وتعالى .

وأمر الله في قوله حتى يأتى أمر الله «القيامة كما وردت في  
بعض روايات الحديث أو هو الريح التى يقبض الله بها كل من  
فى قلبه شىء من الايمان .

### شرح الحديث

يؤكد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذا الحديث فضل العلم  
بعمامة، والفقه فى الدين بخاصة . ان الخير كله فى تعلم قواعد الاسلام، وما يتصل  
بها من الفروع، وما وراءها من هدايات الدين الذى لا بد من اعتباره فى القمة بين  
مقومات الأمة، وضرورات الحياة كلها.

وكأن رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا الأسلوب من الشرط «من يرد  
الله به خيرا يفقهه فى الدين» يقول : «إنَّ من لم يتفقه فى الدين على ذلك  
الاساس فقد حرم الخير كله ! وذلك حق، فمن لم يعرف أمور دينه بالقدر الذى تصح  
به عقيدته، وتصلح عبادته ويحسن سلوكه، ويستقيم فهمه لظواهر الضرورى من  
الشئون، لا يكون فقيها، ولا طالب علم، و يصح وصفه بأنه ما أريد به الخير، وان  
سبق وحلق في مجالات السعة والدعة والاختراع ومن هذا المنطلق يبدو فضل هؤلاء  
العلماء على سائر من دونهم، لفضل الفقه فى الدين، وانعام النظر فى مَصْدَرِيهِ وفيما  
وراءهما من الأصول المعتمدة ..

قال ابو حفص عمر رضوان الله عليه «تعلموا قبل ان تُسَوِّدُوا» وهو اثر ترجم .. به  
الامام البخاري فى احدى تراجمه (٣٣٣) و يريد به عمر رضوان الله عليه ان  
يكون للفقه فى الدين الصدارة، وان يكون البادرة الأولى في قدرة المرء على الفهم

(٣٣٣) الشراك ما يرى فى وجه النمل وهو بيان ههنا للبضامنة ومظهر التنعم في معاوية من النهاية لابن الاثير

ص ٤٦٧ / ٤٦٨ ج ٢

والاستيعاب قبل أن تشغل الشواغل وتتصل الأعمال والتكاليف فيستعصى الفهم بعد أوانه، وانقضاء زمانه، وإن كنا نطلب العلم من المهد إلى اللحد، فما للعلم حد يتوقف عنده طلابه، ولاغايه ينطوى لديها كتابه، ولايزال المرء عالماً ما يطلب العلم فإذا ظن أنه قد علم فقد جهل»

واذكر من كتاب «روضة المحبين» للامام بن قيم الجوزية أن أحد العلماء سأل تلميذه ان يعيد عليه — وهو في السكرات، قضية من قضايا الميراث، فقال التلميذ: وانت على تلك الحال؟ فقال الشيخ: الا يكون خيراً ان ألقى ربي وأنا أعلمها؟! فكانت آخر ما سمع!! وفي مخطوطي «اعرفوا انفسكم في هذه الاضواء» (٣٣٤) طرائف واعية من مكانة العلم وتوفر الأولين عليه ومنها ما قال ابن قيم الجوزية رحمه الله: وأما عشاق العلم فأعظم شغفا به وعشقاله من كل عاشق لمعشوقه.. وكثير منه لا يشغله عنه اجل صورة من البشر!!

وقيل لامرأة الزبير بن بكار أو غيره (٣٣٥) هنيئاً لك اذ ليست لك ضرة.. فقالت « والله لهذه الكتب اضر على من عدة ضرائر» أو أشد على من ثلاث ضرائر كما في قول غيرها!!

قال ابن قيم «وحدثني اخو شيخنا عبدالرحمن بن يتمية عن أبيه قال: «كان الجد اذا دخل الخلاء يقول لى اقرأ فى هذا الكتاب وارفع صوتك حتى أسمع» (٣٣٦)

وكان الحرص على العلم والتزود من الفقه والفهم سمة الأبرار، وهذا موسى عليه الصلاة والسلام كلّم الله لم يكتف بما علم، ولا اشتفى بما حصّل، ولكنه قال للعبد الصالح ..

---

(٣٣٤) تَفْلاً مهملاً ثوبه وشعره وفي النهاية لابن الأثير جـ ١ ص ١٩١ ترك استعمال الطيب والتخل هو الريح الكريه...  
(٣٣٥) جـ ١  
(٣٣٦) لمجمع اللغة العربية — القاهرة.

«هل اتبعك على ان تعلمن مما علمت رشدا» (٣٣٧)

وكان من ضراعات بعض العارفين «اللهم اجعلنى ممن قرأ ليعلم، وعلم ليعمل، وعمل فتقبل منه» .

وما دام العلم متسع الجوانب، فلنكن معه كما قال ابن سيرين : «العلم أكثر من أن يحاط به، فخذ من كل شيء أحسنه» والله درمن قال يلوموننى أن رحت للعلم طالبا أجمع من عند الرواة فنونه واكتب أبكار العلوم عيونها وآخذ مما استفيد عيونهم ولتكن تقوى الله زادنا ونحن نجد فى الطلب، ونجنى الثمار من رياض العلم والأدب، غير آبهين بالأشواك، ولا متقاعسين عن دراك خير ما هنالك، في فرصة ان فاقنت دون ذلك أعقبت أوجع غصه «واتقوا الله و يعلمكم الله» (٣٣٨).

ان الفقه فى الإسلام عقيدة وعبادة وسلوكا، والنظر المتأمل فى الكتاب الذي هو حجة الله على من بلغ، واستكناه حديث الرسول وسنته وآثار صحابته، انما هى انطلاقة برة لادراك حقيقة الرسالات السماوية، وفهم الحياة بالقدر الذي نملك له، القدرة على ابلاغها — بعون الله، الكمال البشرى، ونقيم به الدليل العملى على أننا أحقاء بالخلافة عن الله في ملكه وخلقه ..

والنبي صلوات الله عليه يُخبر ان هذا العلم لا يدرك بالاكْتساب وحده، ولا ينال بمجرد الطلب حتى يفتح الله به ويعين عليه، فهو صلوات الله عليه يبلغ أصحابه وحى الله اليه، لا يخص فيما أمر بتبليغه قبيل دون قبيل، لانه قاسم ومبلغ «ان عليك الا البلاغ» (٣٣٩) و يعطى الله كل واحد ممن بلغهم رسوله، أو بلغهم قوله الى يوم القيامة ما أراد لهم سبحانه من الفهم والعلم، فالتفاوت فى الأفهام

(٣٣٧) كتاب «الدين» للدكتور الشيخ محمد عبد الله دراز رحمه الله

(٣٣٨) «باب الاغتباط فى العلم والحكمة» (ص / ١٦٥ ج ١ الفتح — السلفية

(٣٣٩) مخطوط معد للطبع وهو قطف غنارة فى شتى جوانب العلم منسوبة الى أصحابها.

انما هو من الله، ولن يزال الناس على ذلك منذ صحابه رسول الله وتابعيه حتى آخر الزمان، وتبدو جوانب من العلم، ومسائل واستنباطات أكثر وأكثر مما بدا من قبل «وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها» (٣٤٠)

وقد رأى بعض العلماء ان الواو في قوله صلى الله عليه وسلم «وانما أنا قاسم ..» للحال من فاعل يفقهه فيكون المعنى ان الله يعطى كلا ممن اراد أن يفقهه استعدادا يدرك به ما قدره الله له من فهم المعاني، ثم يلهمنى بالقاء ما هو لائق باستعداد كل واحد» .. وذلك فهم معقول ومقبول .

ويحصر بعض العلماء القسمة في قسمة المال لأن مورد الحديث كان عند قسمة مال، فخص رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض صحابته بزيادة عن الآخرين، لمتقضيات نبوية، فلما راجع بعضهم في هذا الاختصاص الذي لم تبدلهم حكمته، جاءهم البيان الصادق «من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين» أى يزدده فهمها في أمر الشرع حتى لا يعترض أو يتعرض لأمر جرى على غير ما رأى، اذ الأمر كله لله يعطى ويمنع ويزيد وينقص وهو صلوات الله عليه قاسم؟ بأمر مولاه، وليس بمعط حتى تنسب اليه الزيادة او النقصان .. فالمعنى على القولين «وانما الله يعطى ، وأنا قاسم ما أعطاه وبلغنى عنه» والنبي صلى الله عليه وسلم يخبر وهو الصادق أن من يفتح الله عليه بالفقه في الدين واكتساب ما أعطاه الله مما بلغه مصطفاه، لا يخلو منهم زمان، وأن جنسهم لا يزال موجودا حتى يأتي أمر الله .

وأمر الله في قوله «قائمة على أمر الله» قد مرّ بين يديك أنه الحق الذي أدى رسالته وأتم بناءه النبي صلى الله عليه وسلم، والطائفة الظاهرون على الحق، لا يعيق مسيرتهم خلاف أقوام اتخذوا إلههم هواهم وكانوا سدة الشر في مرحلة من مراحل الحياة وراء مرحلة، فالحق ظاهر ظافر «وما يبدىء الباطل وما يعيد» (٣٤١).

(٣٤٠) أذكر أنها امرأة ابن رشد كما ذكر ابن خلكان.

(٣٤١) روضة المحبين ص ٦٨

وقد استشكل بعض العلماء في حقيقة أن تكون «حتى يأتي أمر الله» غاية لقوله «ولن تزال.. وأجيب بأن المراد في قوله قائمة على أمر الله» التكاليف و يوم القيامة ليس زمان تكاليف.

وبأن المراد بالغاية تأكيد التأييد على حد قوله تعالى «مادامت السموات والأرض..(٣٤٢) كأنه قال «ولن تزال الأمة قائمة على أمر الله أبدا.. «و يصح أن تكون لقوله» لا يضرهم من خالفهم، و يكون المعنى لا تيان أمر الله، القيامة، والغاية لتأكيد عدم المضرة أى لا يضرهم أبدا أو بلاء الله.. والمعنى «حتى يأتي بلاء الله فيضرهم حينئذ»

فيكون ما بعد حتى مغايراً لما قبلها، والمراد ببلاء الله فتنة الدجال فانها ربما ضرت بعض الأمة في دينهم والعياذ بالله .

أو يكون المراد بأمر الله الريح اللينة التي تأتي قبل يوم القيامة فتقبض روح كل مؤمن ومؤمنة فتكون الغاية — كما أسلفت — تأكيد التأييد.. ولا يبقى تعارض بين هذا الحديث وأحاديث «لا تقوم الساعة حتى لا يقول أحد الله الله» و «لا تقوم الساعة الا على شرار الناس».

فبأن هذين الحديثين يتحقق ما فيها عند القيامة، أما الريح فتأتي قريباً من القيامة.. ومع ذلك كله لا يغيب أن المراد بالأمة بعضها لا كلها كما وردت النصوص بذلك وبعد.. فكم رصدت لاعلاء الباطل أموال، وشمرت دول ورجال وصرخت أبواق ودقت طبول، ثم اضمحل كل ذلك وزال، وبقي للحق سلطانه، وللخير شموحه وصولجانه «ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا الي جهنم يحشرون» (٣٤٣).

وكم يُدمى القلوب ان يخالف عن أمر الله اقوام يحسبون من أهله، وقد يكون جدهم في الاشغاب عليه اكثر من جد الأعداء وكيد الخصوم الذين قد

(٣٤٢) الكهف/٦٦

(٣٤٣) البقرة/٢٨٢

يكون منهم من ينصف الحق في ساعة من ساعات صحو الضمير، وصدق  
الاحساس والشعور، فيكون الدين القيم وأهله بين هؤلاء وأولئك كالذى قال  
أصديقى يود أنى أشاءُ وعدوى يُظنُّ فيه الوفاء  
عُكس الأمر لاحتمال لکن ربما أنجد الغريق الماء !!

وانها محنة في دين هؤلاء وأخلاقهم تبرز من خلال ما يقولون وما يكتبون  
ان شعرنا معها بشعور الذي قال  
وظلم ذوى القربى أشدُّ مضاضةً على النفس عن وَقَع الحسام المهند  
فان يقيننا يربو بأن الحق لا بد ان ينتصر، وأن مدَّ الباطل سرعان  
ما ينحسر والحق أبلج والباطل للجلج.  
«أَقْمَنُ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقَّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَى فَالْكَفَّ  
كَيْفَ تَحْكُمُونَ (٣٤٤)».

مت بداء الهوى والا فخطاير وارقب الحسى والعيون نواظر  
لاتخف وحشه الطريق اذا سر ت، وكن في خفارة الحق سائر!!  
«ومن يؤمن بالله يهد قلبه» (٣٤٥)  
«ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم» (٣٤٦)

#### ١٠٥ — أما بعد

فلقد كنت اود ان يخلص هذا البحث كله «مع الامام البخارى» وفي  
«كتاب العلم» من صحيحه بخاصة، وبخاصة لأن ذلك الموضوع ما يزال قابلا  
للبحث، ومجالا للدراسة والنظر، وعسى الله أن يعين على ذلك.

(٣٤٤) الشورى / ٤٨  
(٣٤٥) النمل / ٩٣  
(٣٤٦) سبأ / ٤٩

لكننى رأيت أن من الضروري لبحث كهذا، أن يتقدمه كلام عن السنة ودواعى تدوينها، فى زمن يشغُب فيه عليها، من لم يتوفروا على دراستها فضلاً عن أن يكونوا ممن أعطوا قلوبهم وعقولهم لسنة المصطفى صلوات الله عليه، فحفظوا منها الكثير، وعرفوا مكانها من الدين الخاتم.

لكن الذين لم يفعلوا شيئاً من ذلك اجترأوا على سنة خير المرسلين، ومعدرة ان قدمت الفصول الأولى في حديث مع هؤلاء لم يتم.. والى لقاء...  
والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات..

#### ١٠٦ — ما استفاد من الحديث :

- ١ — فضل الفقه في الدين على سائر العلوم.
- ٢ — فضل العلماء على سائر الناس.
- ٣ — ان العلم لا يكون بالاكْتِسَاب وحسب بل لمن يفتح الله عليهم.
- ٤ — ان الزمان لا يخلو من مجتهد قائم على الحق .
- ٥ — ان المعطى في الحقيقة هو الله تعالى.



## ١٠٧ - مراجع البحث في الحديث :

- ١ - القرآن الكريم .
- ٢ - كتب السنة: فتح الباري في هذا الباب وأبواب التوحيد والاعتصام وغيرها شرح العيني على البخاري، والنووي على مسلم، والشيخ الشرقاوي على الزبيدي، والاصابة لابن حجر.
- ٣ - كتب اللغة: معجم الفاظ القرآن الكريم لمجمع اللغة... القاهرة المفردات للراغب الاصفهاني.  
القاموس المحيط للفيروزبادي.  
كتاب «الدين» للدكتور الشيخ محمد عبد الله دراز.
- ٤ - جامع بيان العلم لابن عبد البر.  
ألف بالبلوى للبلوى ومراجع أخرى مثبته في ذيل الصفحات اعرفوا انفسكم في هذه الأضواء - مخطوط للكاتب.



## مراجع البحث

### العدد الكتاب

- ١ - القرآن الكريم، وتفسيرى القرطبي والمنار.
- ٢ - صحيح الامام البخارى
- ٣ - هدي الساري للامام ابن حجر.
- ٤ - صحيح الامام مسلم بشرح النووي، و«تهذيب الاسماء واللغات» للنووى.
- ٥ - وفتح البارى له .
- ٦ - بقية الكتب السنه، وشرح السنه للبيغوى .
- ٧ - جامع الأصول في احاديث الرسول للجزرى وطبقات الشافعية للسبكي، وطبقات الحنابلة لأبى يعلى.
- ٨ - النهاية فى غريب الحديث والأثر للجزرى .
- ٩ - تقييد العلم للخطيب البغدادي .
- ١٠ - جامع بيان العلم لابن عبد البر .
- ١١ - كتب الرجال.. الاصابه لابن حجر، وأسد الغابة لابن الأثير، والاستيعاب لابن عبد البر.
- ١٢ - كتب علوم الحديث .
- ١٣ - السنه ومكانتها فى التشريع الاسلامى للشيخ الدكتور مصطفى السباعي.
- ١٤ - خلاصة تهذيب الكمال بتعليق الشيخ محمود فايد.. للخزرجي .
- ١٥ - التقرير. لابن حجر .
- ١٦ - أمير المؤمنين فى الحديث «البخارى» لجنة احياء كتب السنه فى القاهرة .
- ١٧ - محاضرات مخطوطه في مختارات من صحيح البخارى اعرفوا انفسكم فى هذه الاضواء للكاتب .
- ١٨ - المجلات الاسلاميه فى القاهرة والمملكه العربيه السعوديه ودولة الكويت .
- ١٩ - مراجع أخرى مذكورة فى أسفل الصفحات .

